

توجيهات شرعية
في مسائل اجتماعية

المؤلف:
أ. د. عبدالواحد بن حمد المزروع







توجيهات شرعية

في مسائل اجتماعية

فهرس مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

المزروع ، عبدالواحد حمد عبدالرحمن

توجيهات شرعية في مسائل اجتماعية. / عبدالواحد حمد عبدالرحمن المزروع . - الرياض ، ١٤٤١هـ

٢٤٦ ص ؛ ١٨ X ٢٥ سم

ردمك: ٩-٣٨٥٥-٠٣-٦٠٣-٩٧٨

١-الاسرة في الاسلام ٢-العلاقات الاسرية أ.العنوان

ديوي ٢١٩،١ ١٤٤١/٧٩٨٥

رقم الإيداع: ١٤٤١/٧٩٨٥

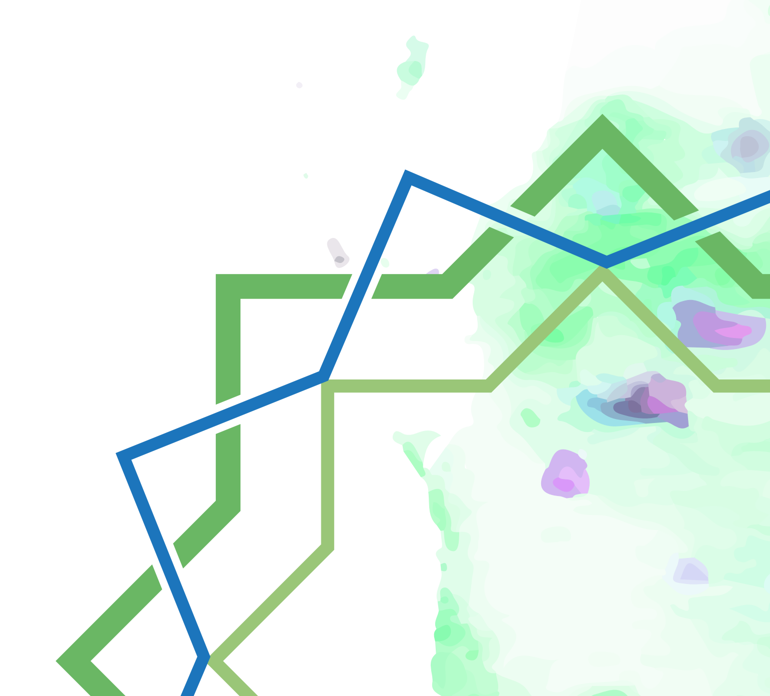
ردمك: ٩-٣٨٥٥-٠٣-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الأولى

١٤٤١هـ . ٢٠٢٠م


توجيهات شرعية
في مسائل اجتماعية





مقدمة

هذا الكتاب:

توجيهاتٌ شرعية في قضايا اجتماعية، أصله حلقات إذاعية لبرنامج آية وهداية بثت في إذاعة القرآن الكريم بالمملكة العربية السعودية، ورغب الفضلاء في جمعية وئام لتنمية الأسرة ضمن إطار عملهم المتميز في خدمة الأسرة وتنميتها نشر بعض من تلك الحلقات التي تعنى بالأسرة والقضايا الاجتماعية المتصلة بها بشكل عام حتى يستفاد منها ضمن هذا الكتيب.

حيث إن موضوعات هذا الكتيب تعالج عدداً من القضايا الاجتماعية المهمة التي لا غنى للأسرة المسلمة عنها سواء من حديثي الزواج أو غيرهم ؛ حيث يتحدث الكتيب عن بعض القضايا والمسائل التي تعرض للأسرة على وجه الخصوص وللمجتمع بصورة عامة، والتوجيهات الشرعية التي جاء بها الكتاب والسنة لعلاج كثير من المشكلات، ولا يخفى أن المعالجة الشرعية للقضايا الاجتماعية هي أفضل وأعظم وسيلة لحل الإشكالات وإبعاد الشرور وسلامة المجتمع وحماية الأسرة مما يعتريها من إشكالات وصعوبات، وتعين -بعد الله- أفراد الأسرة والمجتمع ذكورا وإناثا في خوض غمار الحياة بسلامة وطمأنينة.

وإني أشكر - بعد شكر الله- هذه المبادرة للأفاضل في جمعية وئام للتنمية الأسرية، كتب الله لهم الأجر وبارك في جهودهم، ولا عجب فهي الجمعية المبادرة لكل ما يخدم الأسرة ويسعى لاستقرارها.

أسأل الله جل وعلا أن ينفع الله بهذا الكتاب من يطلع عليه وأن يجزل الأجر لمن سعى في نشره وطباعته، وأسأله تعالى التوفيق والقبول للجميع والهناء والحياة السعيدة في الدارين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المؤلف.


أسباب
وقوع
الطلاق

أسباب وقوع الطلاق

يقول الله تعالى: ﴿الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان﴾

ويقول سبحانه ﴿وإذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن﴾

كثر في زماننا وانتشر وقوع الطلاق، بل لعل البعض منا قد سمع عن بعض حالات الطلاق وأنهم لم يكملوا ليلة الزواج.

وما من شك في أن التزام أحكام الشرع وتوجيهاته والأخذ بهداياته كفيل، بإذن الله، بعلاج هذه الظاهرة التي أرقت العقلاء؛ فإن أحكام الشريعة بُنيت على أسس متينة ثابتة راسخة وفيها تحقيق لمصالح العباد، كيف لا وقد جاءت من لدن حكيم عليم. ﴿ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير﴾

وإن مخالفة ما جاء به الشرع وعدم الالتزام بالضوابط الشرعية كفيل بهدم كيان الأسر والمجتمعات، ولذا فإن أولَ توجيه وأعظمَ نصيحة للمحافظة على كيان الأسرة وحمايتِها من التفكك والانهيار: طاعةُ الله تعالى والبعدُ عما يسخطه سبحانه والتزامُ التوجيهات الشرعية والقيامُ بما أوجب الله سبحانه وإعطاءُ كل ذي حق حقه، والرضا بما قسم الله، وتذكرُ عداوة الشيطان وحرصِه ودأبِه على التفريق بين الأزواج وإفسادِ البيوت وهدمِها كما ثبت ذلك في الحديث.

وما من شك أن للطلاق وفسادِ البيوت أسباباً كثيرة ومتنوعة، والموفق من وفقه الله لتجنبها وحمايةِ بيتِه وأسرتِه، وفي هذه الدقائق أشير لشيء مما كتبه بعض المهتمين في أبرز أسباب وقوع الطلاق، وهي:

١. عدم اهتمام المرأة ببيتها وأطفالها وزوجها، وإنما تعتني بنفسها فقط. واهتمام المرأة

بالهندام والزينةِ أمر طيب ولكن الإشكال عند المبالغة في ذلك مع إهمال الواجب، وعنايةُ المرأة ببيتها دعامةُ مهمةُ لبناء الأسرة.

٢. الاعتمادُ على العاملةِ أو المربيةِ في شؤون الأسرة، فمن النساء من تَعُدُّ تركَ شؤون الأسرة والاعتمادَ على الخادمة والمربية من مظاهر الرقي والتمدن، بحيث تترك أمورها بيد خادمة جاهلة وربما كافرة وربما سيئة الخلق، إضافة إلى أن هذه الخادمة لا يعنيها أمرَ تلك الأسرة بقدر ما يعنيها الراحةَ والعائد المادي غالباً، فماذا تفعل بالأطفال الأبرياء عند غياب الوالدين أو غفلتهما؟ فضلاً عما تحمله من عادات وأفكار مخالفة. وكم سمعنا من قصص ومآس في هذا السبيل.

٣. استخفاف بعض النساء وتهاونُهن في القيام بالمسؤولية الملقاة على عاتقها تجاه أسرتها وقبل ذلك تجاه ربها، وهذه مسؤوليةٌ كبيرة وعظيمة جداً والإخلالُ بها كبير وعظيم وخطره شديد.

٤. نقل المشكلاتِ صغيرها وكبيرها خارج إطارِ الزوجين، في حين أن تدخلَّ الآخرين في شؤونهما الخاصة أو حالَ الخلاف بينهما، يعقِّد حلَّ المشكلة وإن كانت يسيرة أو تافهة؛ فهذا التدخل كثيراً ما يؤدي إلى المشاحنات ويجعل تلك الاختلافاتِ والمشاحناتِ قائمةً ومستمرة وربما عظُمت وصعب حلُّها وأدى إلى أن تتسع دائرةُ النزاع والشقاق.

٥. البعدُ عن التوجيه الشرعي في علاج الخلافات وحالِ الغضب.

٦. عدم السعي للتفاهم بين الأزواج، ومن ذلك أن يتكلم الاثنان معاً ولا يسمع أحدهما ما يقوله الآخر، وعدم العناية بما يعانيه الطرف الآخر من ألم أو تعب، أو ظرف خاص، مما يعقد المشاكل وقد ينتبه هؤلاء لهذا الأمر ولكن بعد فوات الأوان.

٧. ضعف استعداد الزوجين وتوقعاتُهما غير المنطقية، وعدمُ التهيؤ للمسوؤلية في

الحياة الزوجية، فالفتاةُ أو الشابُ يحلمان أحياناً بحياة مليئةٍ بالحب والحنان، وبحياة خالية من المسؤوليات، وبعد الزواج يُصدم كلاهما بالمسؤوليات الكبيرة الملقاة على عاتقهما.

٨. قلة الخبرة بالزواج حيث تُفاجأ الزوجة بواقع ومتطلبات لم تخطر ببالها، واصطدامها بواقع مسؤولية الزواج وجديتِه والتزاماتِه مما يجعلها تعيش دون ارتياح، وهو ما ينعكس على الأسرة كلِها، وربما حصل هذا للزوج أيضاً.

٩. من الأمور التي تؤدي لوقوع الطلاق، تأخرُ الإنجاب أو تقدير الله بالعقم، فإن كان من جانب المرأة فهناك مخرج بالزواج من امرأة أخرى، وغالباً ما يؤدي هذا إلى غيرة الزوجة الأولى وربما طلبت الطلاق، أما إن كان العقم من جهة الرجل فالموقف يكون مختلفاً وعلى المرأة أن تتقبل الوضع وتصبرَ وهو أمر قد لا يحدث، ويحدث الطلاق.

١٠. مما يؤدي للطلاق إصرار المرأة على الخروج للعمل واعتقادها بأن الحياة تبدَّلت، وأصبحت تطمح في المشاركة بالعمل أسوة بالرجل، مما يؤدي إلى الخلاف والنزاع في بعض الحالات، وخاصة في العائد المادي، في حين أن الرجلَ قد لا يكون بحاجة لمساعدتها وإسهامها معه وهي تريد كما يقال أن تؤمّن مستقبلها.

١١. التوتر والقلق والشعور بعدم الاطمئنان والكآبة، نتيجة لما تزخر به الحياة في وقتنا الحاضر من صراعات ومشاكل تؤدي إلى إصابة الفرد بالتوتر والقلق وعدم الاطمئنان، وقد أطلق على هذا العصر عصرُ القلق والتوتر، وهذا الوضع ينعكس بالتأكيد على المعاملة القائمة بين الزوجين، مما يؤدي إلى كثرة المشاحنات والشجارِ وتوترِ العلاقة فيما بينهم، الأمر الذي يؤدي إلى الطلاق.

١٢. عدم التزام الأدب الشرعي، وصدور الإهانات والكلمات المؤذية والجارحة وحدوثُ

مواقفَ سيئةٍ، مما يؤدي إلى تأزم الأمور، وفقدان السيطرة على الانفعالات، مما يصاحبه إهانةٌ أو اعتداءٌ، و يسوء الأمرُ ويزيد الطينَ بلة استعمالُ الكلمات النابية بين الزوجين، وفقدانُ الاحترام بين الزوجين مما يؤدي إلى فقدان العلاقة الطيبة، وبالتالي يكره كل منهما الآخر ومن ثم حدوث الطلاق.

١٣. المقارنات التي تعقدها الفتاة، وذلك بأن زوج صديقتِها يكرم زوجته بالهدايا ويحيطها بالحنان والرعاية ويعطيها، وهو ما يسمم حياتَها الزوجية ويحيلُها جحيماً لا يطاق مع أن كثيراً مما يُحكى في هذا غير صحيح.

١٤. المشاكل الاقتصادية وعدم التعاون وعدم احتمالِ الزوجة ذلك، فتكثر الشكوى مما يسبب الطلاق.

١٥. طلب الزوجة الطلاقَ وترديدها لهذا الطلب بمناسبة وغير مناسبة، مما يؤدي فعلاً إلى وقوع الطلاق، وبعدها تندم ولات حين مندم.

١٦. الغيرة المفسدة من كل منهما على الآخر ومراقبة حركات وسكنات الطرفين لبعضهما مما يؤدي إلى فقدان الثقة بينهما.

عناية أحد الطرفين المبالغ فيه بطرف ثالث من صديق أو قريب، مما يؤدي لغيرة الطرف الآخر وعدم تقبله مما يوقع بينهما إشكالات تؤدي إلى الانفصال.

الانشغال بوسائل التواصل الحديثة طوال الوقت مما يحيل الحياة بين الزوجين إلى كآبة وسأم وملل.

وهنا سؤال يقول: كيف تكسبين زوجك؟ وهو ينطبق على الزوج أيضاً

إن من أهم أسباب كسب الزوج ونيل ثقته واستمالة قلبه:

■ ١- طاعة الله فيما أمر

■و ٢- الإقلاع عن المعاصي

■و ٣ - طاعة الزوج والتقرب إليه والتلطف معه والإحسان للزوجة

■و٤- نظافة المنزل، والحرص على أن تكون ربة منزل متميزة

■و ٥- تربية الأطفال تربية إسلامية

■و ٦- عبادة الله والتقرب إليه بخدمة زوجها وطاعته

■و ٧ - استقبال الزوج بابتسامة وتهيئة الجو المناسب المريح له

■و ٨ - إشعار الزوج بالحب والاحترام

■و ٩ - مراعاة أقارب الزوج واحترامهم وتقديرهم وخاصة والديه وإخوانه

■و ١٠ - حسن الخلق مع الزوج.. وهذا من أهم أسباب كسب الزوج، لأن الأخلاق هي الجمالُ الحقيقي، ومن المؤسف -حقا- أنك ترى امرأة متعلمة وربما قيل عنها مثقفة وربما قيل ملتزمة، ولكنها لا تعرف في مكارم الأخلاق شيئاً؛ فترفع صوتها على زوجها، وتعبس في وجهه أو في وجه والديه، والإسلام هو دين الخلق. قال تعالى: ﴿والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس﴾.. وفي الحديث (البر حسن الخلق)، وقال عليه الصلاة والسلام: (أثقل شيء في ميزان المؤمن خلق حسن، وإن الله يبغض الفاحش المتفحشَ البذيء).. وسُئل عليه الصلاة والسلام عن أكثر ما يُدخل الناس الجنة؟ قال: (تقوى الله وحسن الخلق).


إشاعة
الفاحشة

إشاعة الفاحشة

يقول الله تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة:٢٦٨) **وقال تعالى:** ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ (النور:١٩)

أيها الإخوة والأخوات: إن إشاعة الفاحشة سلوك شيطاني يفعله بعض الناس جهلاً وربما قصداً إرضاءً للشيطان وتحقيقاً لمآربه وأهدافه.

في حين أن الله أوجب على المؤمنين القول الحسن كما قال سبحانه ﴿وقولوا للناس حُسنًا﴾ وقال تعالى: ﴿وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن﴾ كما أوجب سبحانه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وليس إشاعة الفاحشة فقال جل وعلا: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران: ١٠٤)

والله تعالى أخرج هذه الأمة لتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وليس لإشاعة الفحش والبذاءة فقال: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ (آل عمران:١١٠) وقال تعالى واصفًا حال المؤمنين ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾

أيها الإخوة، إن من أعظم أبواب نشر وإشاعة الفاحشة الغناء وقد نصَّ العلماء على تحريم آلات اللهو والعزف، وهي مزامير الشيطان.، ليتبعه أولياؤه.. قال تعالى: ﴿واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك﴾.. وقال ابن مسعود: الغناء رُقيَة الزنا. أي أنه طريقُه ووسيلتُه.

وفي زماننا تنوّعت الألحان، وكثر أعوان الشيطان، فأصبحت الأغاني تُسمع في السيارة وفي الطائرة، وفي الشارع وفي المتنزهات وفي الأسواق، وفي البر وفي البحر.

بل إن الساعات والأجراس وألعاب الأطفال وأجهزة الحاسب والهاتف لم تخلُ من الموسيقى، بل مما يؤسَف له أنك تسمعها في المساجد والمواقع الشريفة وأماكن الدراسة وطلب العلم.

وهذا الوعيد في الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فقط مجرد محبة، لهم عذاب أليم، فكيف بمن يعمل على إشاعتها؟!

ومن أبواب إشاعة الفاحشة نشر صور النساء ويعظم الأمر إن كن مسلمات، وقد أجمع أهل العلم على تحريم الاطلاع على عورات الغير بأي طريقة.

ومما عمّ وطمّ ما وقع في هذا الزمان من تصوير النساء بواسطة آلات التصوير في الهواتف أو غيرها سواء كُنَّ في الشارع أو في السوق أو في صالات الأفراح أو كنَّ في سيارة أو في رحلة أو متنزه أو غيره، ولا يشك عاقل في تحريم هذا العمل، وقبحه ودناءة فاعله.

ومما وقع في عصرنا إدخال تلك الصور إلى أجهزة الحاسب ثم انتشارها عن طريق الإنترنت فيراها الملايين فأصبح من يصور في هذه الحال ومن ينشرها ممن يشيع الفاحشة في

الذين آمنوا.

وهذا العمل محرم لما فيه من المحاذير الكثيرة والكبيرة والخطيرة ومن ذلك: الإخلال بأعراض الآخرين، ووقوع المشكلات الأسرية، والتسبب في إشاعة الفواحش في المجتمع، وإيذاء المؤمنين والمؤمنات، وتساهل الناس واستمراؤهم هذه المنكرات.

والنتيجة ولاشك: سوء عاقبة فاعله في الدنيا والآخرة.

والله جلَّ شأنه يأمر بالستر ويرغب فيه، وحرم سبحانه هتك ستر المسلمين، وكشف عوراتهم. ومن يشيع الفاحشة وينشر صورَ النساء فإنه مخالف لأمر الله وراد على ربه، بل ومتبع لسبيل الشيطان الذي يسعى لكشف العورات وإظهار السوءات، كما أخبر الله عنه في كتابه الكريم، وحذر من متابعة سبيله، فقال عزَّ من قائل: ﴿يا بَني آدمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشيطانُ كما أخرج أبويكم من الجنة يَنْزِعُ عنهما لباسَهُما ليُرِيَهُما سَوءَاتِهِمَا إنَّه يَرَاكُم وهو وقَبيلُهُ مِنْ حيثُ لا ترونَهم إنَّا جَعَلْنَا الشياطينَ أَولياءَ للَّذينَ لا يُؤمنون﴾ (الأعراف: ٢٧) وقال سبحانه قبل هذا مخبراً عمَّا حصل لأبوينا عليهما السلام: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُما الشيطانُ لِيُبْدِيَ لَهُما ما وُورِيَ عنهما مِنْ سَوءَاتِهِما..﴾ الآية (الأعراف: ٢٠).

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله: عند تفسير الآية: ﴿إن الذين يُحبون أن تشيع الفاحشة﴾ أي الأمور الشنيعة المستقبحة المستعظمة، فيحبون أن تشتهر الفاحشة ﴿في الذين آمنوا لهم عذابٌ أليم﴾ أي موجعٌ للقلب والبدن وذلك لغشِّه لإخوانه المسلمين، ومحبة الشَّرِّ لهم، وجراءته على أعراضهم، فإذا كان هذا الوعيد لمجرد محبة أن تشيع الفاحشة، واستحلاء ذلك بالقلب، فكيف بما هو أعظم من ذلك، من إظهاره ونقله؟!

وسواءً كانت الفاحشة صادرة أو غير صادرة.

وقد ثبت عند الترمذي وغيرِه عن نافع عن ابن عمر قال: صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر، فنادى بصوت رفيع، فقال: «يا معشر من قد أسلم بلسانه ولم يُفْضِ الإيمانُ إلى قلبِه، لا تُؤذُوا المسلمين، ولا تُعيِّروهم، ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من تتبع عورة أخيه المسلم، تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته يَفْضَحْهُ ولو في جوف رحله».

قال نافع ونظر ابن عمر يوماً إلى البيت أو إلى الكعبة، فقال: ما أعظمك وأعظم حرمتك، والمؤمن أعظم حرمة عند الله منك.

ومن جملة ما يكون في الدنيا من العقوبة: أن يحيق به مثلُ ما ألحقه بغيره واعتدى به على إخوانه، وقد ثبت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فإنه من تتبع عورة أخيه المسلم، تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله» .

ومما يكون في الآخرة أيضاً: ما دلَّ عليه ما رواه مسلم عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أتدرون من المفلس؟» قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع. فقال عليه الصلاة والسلام: «إنَّ المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيُعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فَنِيَت حسناتُه قبل أن يُقضى ما عليه أُخِذَ من خطاياهم فطُرحت عليه، ثم طُرح في النار».

قال الإمام النووي رحمه الله: «فهذه حقيقة المفلس، وأما من ليس له مال، ومن قَلَّ مالُه،

فالناس يسمونه مفلساً، وليست هذه حقيقة المفلس؛ لأن هذا أمرٌ يزول وينقطع بموته، وربما ينقطع بيَسَارٍ يحصل له بعد ذلك في حياته، وإنما حقيقة المفلس هذا المذكور في الحديث، فهو الهالك الهلاك التام، والمعدوم الإعدام المنقطع، فتؤخذ حسناته لغرمائه، فإذا فرغت حسناته أُخذ من سيئاتهم، فوُضع عليه، ثم ألقي في النار، فتمت خسارته وهلاكه وإفلاسه».

ومن صنع مع مسلمة هذا النوع من الاعتداء، بأن صوَّرها، أو أشاع عنها الفُحش، فله نصيبه من هذه الخسارة، فما ظنّه يوم القيامة، حين تخيَّر صاحبةُ الحق وأهلُها في حسناته؟ هل سيبقون شيئاً؟!


إصلاح
ذات البين

إصلاح ذات البين

يقول الباري جل وعلا في محكم التنزيل: ﴿لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه أجراً عظيماً﴾ (النساء ١١٤)

هذه الآية العظيمة تُبين وتؤكد أنه لا خير ولا فائدة في الكثير مما يتناجى به الناس ويتحدثون فيه، والحال أنه إما ألا يكون له فائدة كفضول الكلام، وما لا حاجة له، وإما أن يكون لا خير فيه أصلاً، بل فيه شر ومضرة كالكلام المحرم من الغيبة والنميمة وغيرها، وإذا كان الحال أن هذا الكلام لا خير فيه، فإنه ينبغي للمسلم والمسلمة الحرصُ على ما فيه خير كما جاء في الحديث «احرِص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجزن» وفي هذه الآية ﴿لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس﴾ استثنى الله تعالى من النجوى والحديث الذي وصف بأنه لا خير فيه استثنى سبحانه الأمر بالصدقة سواء كانت الصدقة بالمال أو العلم، كما استثنى الأمر بالمعروف وهو الإحسان والطاعة وكل ما عرف شرعاً وعقلاً أنه حسن ومعروف.

وكذلك استثنى جل وعلا الإصلاح بين الناس والمقصودُ السعي في الإصلاح بين المتنازعين، ومن المعلوم أن النزاع والخصام والتغاضب يوجب من الشر والفرقة ما لا يمكن حصره، ولذا جاء الأمر بالإصلاح في عدد من المواضع قال تعالى: ﴿وإن طَائفَتَان منَ الْمُؤْمنينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلحُوا بَيْنَهُمَا فَإن بَغَتْ إحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتلُوا الَّتي تَبْغي حَتَّى تَفيءَ إلَى أَمْر الله فَإن فَاءَتْ فَأَصْلحُوا بَيْنَهُمَا بالْعَدْل وَأَقْسطُوا إنَّ اللهَ يُحبُّ الْمُقْسطينَ﴾ (الحجرات: ٩)

وقال جل وعلا ﴿والصلح خير﴾ والساعي في الإصلاح بين الناس أفضل من القانت بالصلاة والمداوم على الصيام والباذل للصدقة؛ لأن نفعه متعد، بينما الصلاة والصيام عبادات نفعها قاصر على صاحبها.

والمصلح لا بد أن يصلح الله سعيه وعمله، بفضله وكرمه سبحانه، كما أن الساعي بالإفساد

والعياذ بالله لا يصلح الله عمله ولا يتم له مقصوده كما قال تعالى: ﴿إن الله لا يصلح عمل المفسدين﴾

وكمال الأجر وتمامه بحسب النية والإخلاص، كما قال تعالى: ﴿ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه أجراً عظيماً﴾ ولهذا ينبغي للعبد أن يقصد وجه الله ويخلص العمل له في كل وقت وفي كل جزء من أجزاء الخير، ليحصل له بذلك الأجر العظيم وليتعود الإخلاص فيكون من المخلصين وليتم له الأجر سواء تم مقصوده أم لا، لأن النية حصلت واقترن بها ما يمكن من العمل.

ومن المعلوم أن شَرطَي العبادة الإخلاص والمتابعة كما قال تعالى: ﴿فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحدًا﴾

وأسوق أحبتي لكم هذه القصة التي وقعت قبل مدة في إحدى محطات الوقود حدثني بها صاحب الشأن فيها، ومضمونها: أنه قام أحد أصحاب السيارات بإعطاء عامل محطة الوقود ورقة نقدية من فئة مائتي ريال لتعبئة الوقود فرد له الباقي على أنه أعطاه مائة ريال فأخبره أنه أعطاه مائتين فأنكر العامل وأكد أنه لم يتسلم سوى مائة ريال، فوقع خلاف بينهما ونزاع وتعالت الأصوات فقدم شخص ثالث إليهما واستفسر عن سبب الخلاف وبعد أن عرف المشكلة حاول التقريب بينهما، ولكن كلاً منهما متمسك بما يقول عند ذلك أخرج هذا الشخص مائة ريال وأعطاها لصاحب السيارة الذي دفع المائتين، رغبة في الإصلاح بينهما، ومنعًا لتطور الخلاف، لم تنته القصة أيها الإخوة؛ فقد كان أحد الأشخاص - وهو من حدثني- من غير المسلمين يراقب الموقف من الخارج، فأقبل وسأل من دفع المائة ريال لماذا دفعتها؟ فأخبره أن ديننا يدعو للتسامح ومنع الخصام ويرغّب في الإصلاح بين الناس بل ويرتب على ذلك الأجر الجزيل والثواب العظيم في الآخرة، مع ما يحققه من مصالح عظيمة في الدنيا، يقول الرجل فجلست أفكر في هذا الكلام أسبوعين وأدركت أن الدين الذي جاء بمثل هذا دين حق ودين جدير بالاتباع يقول ثم جئت وأسلمت.

فانظر -أخي المستمع أختي المستمعة- كيف هدى الله جل وعلا رجلاً للإسلام بعد توفيق الله ورحمته بسبب قيام أحد المسلمين بإصلاح ذات البين، ولا حظوا -أيها الإخوة- أنه قام بعبادة عظيمة وترتب عليها فضل كبير من الله بهداية أحد الناس وصدق الله إذ يقول

﴿لا خير ﻓﻲ كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه أجراً عظيماً﴾ فحري بنا التزام أخلاق الإسلام والعمل بمقتضى ما جاء به كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام، والعمل بشرائع الإسلام، والسير على نهج المصطفى صلى الله عليه وسلم الذي قال الله تعالى ﻓﻲ شأنه ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ (آل عمران: ١٥٩) وقال ﻓﻲ حقه سبحانه ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم: ٤)

وخير خلُق وأفضله السعي للإصلاح بين الناس وإزالة أسباب الخلاف والنزاع ففيه أجر عظيم، ويترتب عليه ثمرات عظيمة ﻓﻲ جمع قلوب المسلمين، ووحدتهم وإشاعة المحبة بينهم، بخلاف ما لو استمر النزاع والخلاف والقطيعة بينهم، ولذا رخص ﻓﻲ هذه الحالة ﻓﻲ الكذب لمصلحة تأليف القلوب.

والإصلاح عبادة جليلة وخلق جميل يحبه الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، وهو خير كله ﴿والصلح خير﴾ (النساء: ١٢٨)

وبالإصلاح تكون الأمة واحدة متماسكة، قوية مهابة الجانب يعز فيها الضعف ويندر فيها الخلل ويقوى رباطها ويسعى بعضها ﻓﻲ إصلاح بعض.

وبالإصلاح يصلح المجتمع وتأتلف القلوب وتجتمع الكلمة وينبذ الخلاف وتزرع المحبة والمودة.

والإصلاح عنوان الإيمان ﻓﻲ المجتمع كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ (الحجرات: ١٠)

وبدون الإصلاح تهلك الأمة ويتفكك المجتمع وتفسد البيوت وتتشتت الأسر وتنتهك الحرمات ويعم الشر والفساد.

ومن لا يقبل الصلح ولا يسعى فيه رجل سوء تجده قاسي القلب قد فسد باطنه وخبثت نيته وساء خلقه فهو إلى الشر أقرب وعن الخير أبعد.

أما المصلح فقلبه من أحسن القلوب وأطهرها، نفسه تواقة للخير مشتاقة، يبذل جهده ووقته وماله من أجل الإصلاح.



الاستئذان

الاستئذان

يقول سبحانه ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً حتى تستأنسوا وتسلموا..﴾

وقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا ليستئذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات﴾

الاستئذان أدب عال وخلق رفيع يدل على حياء صاحبه وشهامته وعفته ونزاهة نفسه وتكريمها عن رؤية ما لا ينبغي رؤيته وتكريماً لنفسه أن يرى فيما لا ينبغي أن يُرى فيه، ومنعاً من أن يسمع حديثاً لا يحل له أو لا يرغب المتحدث أن يُسمعه، ويكرم نفسه عن الدخول على قوم دون ان يعلموا به، ومفاجاتهم وإحراجهم، ومع كون الكثير من المكاتب والمنازل والمواقع لها أبواب محكمة وطرائق للدخول محددة، إلا أنك تجد من يلج دون إذن ودون حياء، دون إعلام واستئذان، بل ربما تعمد استراق السمع والتجسس والنظر لما لا يحل له النظر إليه، أو ما لا يغرب صاحب الشأن أن يطلع عليه، فاقداً بذلك الخلق الكريم والنبل والأدب، ومخالفاً للتوجيه الكريم.

ومن المعلوم أن الله تعالى جعل البيوت سكناً يفيء إليها الناس، ويقرون بها، فتسكن أرواحهم وتطمئن نفوسهم ويأمنون على عوراتهم وحرماتهم ويلقون أعباء الحَذَر والحرص المُرهِقة والمجهدة.

والبيوت لا تكون سكناً ومكان اطمئنان إلا حين تكون ذات حرمة يأمن من فيها ألا يلج إليه ولا ينظر إليه ولا يستمع إليه أحد إلا بعلم أهل الدار وإذنهم وفي الوقت الذي يريدون وعلى الحالة التي يُحبُّون أن يلقوا عليها الناس.

لهذا أدّب الله المسلمين بهذا الأدب العالي أدب الاستئذان على البيوت والسلام على أهلها،

لإيناسهم وإزالة الوحشة عنهم، قال تعالى: ﴿يا أيها الذين أمنوا لا تدخلوا بيوتاً غيرَ بيوتِكُم حتَّى تستأنِسوا وتُسلِّموا على أهلها﴾ (النور/٢٧).

وهكذا دين الإسلام يحث أتباعه على كل خلق جميل وأدب جم وعمل رائع جليل.

والاستئذان هو طلب الإذن والإحاطة والإشعار لمن تود زيارته حتى لا يُفاجأ بدخولك أو زيارتك في وقت قد لا يكون مناسباً له أو يكون فيه مُنشَغلاً أو يكون غيرَ مستعد للزيارة فيه، أو لديه ما لا يريد إطلاعك عليه، وذلك مراعاة لحرمة الإنسان وشعوره وحريته.

وهو واجب على كل بالغ يريد الدخول، حتى لو لم يكن في البيت إلا الأم أو الأخت أو البنت ويستثنى الزوج فليس عليه أن يستأذن للدخول إذا لم يكن في الدار سوى زوجته.

ومن أهمية الاستئذان أنه شرع للصغار غير البالغين في أوقات بيّنها الله في كتابه وهي:

١. من قبل صلاة الفجر لأن الناس غالباً إذ ذاك يكونون نياماً في فرشهم.

٢. وقت الظهيرة (القيلولة) لأن الإنسان قد يضع ثيابه في تلك الحال.

٣. من بعد صلاة العشاء لأنه وقت نوم وراحة.

لقول الله تعالى: ﴿يا أَيُّها الذين أمنوا ليستأذِنكُمُ الذينَ مَلَكَت أَيمانُكُم والذينَ لم يَبلُغُوا الحُلُمَ مِنكُم ثَلاثَ مَرَّاتٍ من قَبلِ صَلاةِ الفَجرِ وحِينَ تَضَعُونَ ثِيابَكُم مِنَ الظهِيرَةِ ومِنَ بَعدِ صَلاةِ العِشاءِ ثَلاثُ عَوراتٍ لَكُم﴾ (النور/٥٨).

أما إذا بلغ الأولاد سن الرشد والبلوغ فعلى الآباء والمربين أن يُعلِّموهم آداب الاستئذان في كل وقت من هذه الأوقات الثلاثة وفي غيرها امتثالاً لقوله تعالى: ﴿وإذا بَلَغَ الأَطفالُ مِنكُمُ الحُلُمَ فَليستأذِنُوا كما استأذَنَ الذينَ مِن قَبلِهِم﴾ (النور/٥٩).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «كان إذا بلغ بعض ولده الحلم لم يدخل عليه إلا بإذن» رواه البخاري في الأدب المفرد

وهذه التربية القرآنية تدل دلالة أكيدة على عناية واهتمام الإسلام في تربية الأولاد اجتماعياً وتكوينهم سلوكياً وخُلُقياً، حتى يكون نموذجاً للإنسان الكامل في أدبه وخلقه، وتصرفه واتزانه.

ومن آداب الاستئذان التي ثبتت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يلي:

أولاً أن يستأذن ثلاث مرات: فقد ورد عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إذا أستأذن أحدكم ثلاثاً فلم يؤذن له فليرجع» متفق عليه. ويقول مالك: «الاستئذان ثلاث لا أحب أن يزيد أحد عليها إلا من علم أنه لم يسمع فلا أرى بأساً أن يزيد إذا استيقن أنه لم يسمع».

قال ابن عبد البر في التمهيد: قال بعضهم: المرة الأولى من الاستئذان: استئذان، والمرة الثانية: مشورة، هل يؤذن في الدخول أم لا، والثالثة: علامة الرجوع ولا يزيد على الثلاث. أهـ

ثانياً: أن يكون طرقه للباب معتاداً ولا يكون عنيفاً، ولا سيَّما إن كان صاحب المنزل ممن له فضل عليه كأب أو أستاذ رب المنزل، وفي زماننا يوجد لغالب البيوت أجراس فيطرق طرقاً معتاداً يسيراً، فربما كانت بعض الأجراس مزعجة وقوية، وقد يكون بالدار كبير أو مريض أو طفل أو نائم.

ثالثاً: أن يتجنب الوقوف أمام الباب: خشية أن يقع بصره على ما لا يحل أو إلى ما يكره صاحب المنزل اطلاعه عليه، ولهذا شُرع الاستئذان؛ ففي الحديث عن سعد بن عبادة رضي الله عنه قال: «جاء رجل فقام على باب النبي صلى الله عليه وسلم يستأذن مستقبل الباب، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: هكذا عنك فإنما الاستئذان من أجل البصر» رواه أبو داود وصححه الألباني.

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: « اطلع رجل من جُحرٍ في حُجَر النبي صلى الله عليه

وسلم ومع النبي صلى الله عليه وسلم مدري (أي مشط) يحك به رأسه فقال: لو أعلم أنك تنظر لطعنت به في عينك، إنما جُعل الاستئذان من أجل البصر» متفق عليه. ومعنى الحديث ظاهر في أنه لا يجوز النظر في دار أحد إلا بإذنه.

وورد أنه يقف عند ركن الباب الأيمن أو الأيسر: فعن عبدالله بن بسر رضي الله عنه قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أتى باب قوم لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه ولكن من ركنه الأيمن أو الأيسر ويقول: السلام عليكم» رواه أبو داود وصححه الألباني

رابعاً: أن يُسلِّم ثم يستأذن: لما روى أبو داود والبيهقي: جَاءَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَامِر اسْتَأْذَنَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ فِي بَيْت ، فَقَالَ: أَلِجُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِخَادِمِه: اخْرُجْ إِلَى هَذَا وَعَلِّمْهُ الاسْتِئْذَانَ «فَقَالَ لَهُ: قُلِ السَّلامُ عَلَيْكُمْ أَأَدْخُلُ؟ فَأَذِنَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَدَخَلَ. صححه الألباني.

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتاً فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً﴾ (النور ٦١)

قال النووي في شرح صحيح مسلم: أجمع العلماء أن الاستئذان مشروع وتظاهرت به دلائل القرآن والسنة وإجماع الأمة، والسنة أن يسلم ويستأذن ثلاثاً فيجمع بين كليهما السلام والاستئذان كما صرح به القرآن، واختلفوا في أنه هل يستحب تقديم السلام ثم الاستئذان أو تقديم الاستئذان ثم السلام؟

الصحيح الذي جاءت به السنة وقاله المحققون أنه يقدم السلام فيقول: السلام عليكم أأدخل؟ والثاني: يقدم الاستئذان، والثالث: هو اختيار الماوردي إن وقعت عينا المستأذن على صاحب المنزل قبل دخوله قدم السلام ولا يقدم الاستئذان، وصح عن النبي صلى الله عليه وسلم حديثان في تقديم السلام.

قال النووي في شرح صحيح مسلم: أجمع العلماء أن الاستئذان مشروع وتظاهرت به دلائل

القرآن والسنة وإجماع الأمة، والسنة أن يسلم ويستأذن ثلاثاً فيجمع بين كليهما السلام والاستئذان كما صرح به القرآن، واختلفوا في أنه هل يستحب تقديم السلام ثم الاستئذان أو تقديم الاستئذان ثم السلام؟

خامساً: أن يخبر باسمه إذا سئل: فعن جابر رضي الله عنه قال: « أتيت النبي صلى الله عليه وسلم في دَيْن كان على أبي فدققت الباب فقال: من ذا؟ فقلت أنا، فقال: أنا أنا كأنه كرهها» متفق عليه قال ابن الجوزي: إن السبب في كراهة قول «أنا»أن فيها نوعاً من الكبر، كأن قائلها يقول: أنا الذي لا أحتاج إلى أن أذكر اسمي أو نسبي.

وما من شك في أن الاستئذان في الإسلام إنما شرع صيانة لحرمات البيوت وعدم هتك أستارها، حتى لا تقع عين القادم أو سمعه على ما لا يحل، وهذا من عناية الإسلام بخصوصية الآخرين ورعاية شؤونهم ومنع وقوع ما يؤذيهم.

فيجب على المسلمين التزام ما جاء به ديننا الحنيف والحرص على تطبيق آدابه ففيه الخير والصلاح للفرد والمجتمع.


الإسراف

الإسراف

قال الله عز وجل: ﴿وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ﴾ (الأعراف:٣١).

أيها الأحبة والأخوات.

قال بعض أهل العلم: (جمع الله بهذه الآية الطب كله) (تذكرة السامع والمتكلم:١٢١).

قال لقمان عليه السلام لابنه: (يا بني إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة، وخرست الحكمة، وقعدت الأعضاء عن العبادة).

وقال عمر رضي الله عنه: (من كثر أكله لم يجد لذكر الله لذة).

وقال علي رضي الله عنه: (إن كنت بَطِناً فعد نفسك زمِناً).

وقيل في الحكمة: (أقلل طعامك تحمد مناماً).

وقال بعض الشعراء:

وكم لقمة منعت أخاها
بلذة ساعة أكلات دهري
وكم من طالب يسعى لأمر
وفيه هلاكه لو كان يدري

فأعظم المهلكات لابن آدم: شهوةُ البطن، فبها أُخرج آدمُ عليه السلام وحواءُ من دار القرار إلى دار الذل والافتقار، إذ نُهيا عن الشجرة فغلبتهما شهواتهما حتى أكلا منها فبدت لهما سوآتهما.

وقال ابن القيم رحمه الله: (وأما فضول الطعام فهو داع إلى أنواع كثيرة من الشر؛ فإنه يحرك الجوارح إلى المعاصي، ويثقلها عن الطاعات، وحسبك بهذين شراً. فكم من معصية جلبها الشبع، وفضول الطعام، وكم من طاعة حال دونها؛ فمن وقي شر بطنه فقد وقي شراً عظيماً. والشيطان أعظم ما يتحكم من الإنسان إذا ملأ بطنه من الطعام).

إلى أن قال رحمه الله: (ولو لم يكن من الامتلاء من الطعام إلا أنه يدعو إلى الغفلة عن ذكر الله عز وجل. وإذا غفل القلب عن الذكر ساعة واحدة جثم عليه الشيطان، ووعده، ومنّاه، وشهّاه، وهام به في كل واد، فإن النفس إذا شبعت تحركت، وجالت وطافت على أبواب الشهوات. وإذا جاعت سكنت، وخشعت وذلت) أهـ.

ثم إن الذين يتوسعون في المآكل لا يجدون لها لذة كما يجدها المقتصدون.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (فالذين يقتصدون في المآكل نعيمهم بها أكثر من المسرفين فيها؛ فإن أولئك إذا أدمنوها، وألفوها لا يبقى لها عندهم كبيرُ لذة مع أنهم قد لا يصبرون عنها، وتكثر أمراضهم بسببها) أهـ.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «مَا مَلأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ، بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ لُقَيْمَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لا مَحَالَةَ، فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ، وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ، وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ» رواه الترمذي (٢٣٨٠) وابن ماجه (٣٣٤٩). وصححه الألباني في صحيح الترمذي (١٩٣٩).

الإسراف أيها الإخوة والأخوات: هو تجاوز الحد في كل فعل يفعله الإنسان، واستعماله في الإنفاق أشهر، يقول تعالى: ﴿وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ (الأعراف: ٣١).

فالمال في الإسلام مال الله أعطاه للإنسان وديعة لينفقه على نفسه وعلى مجتمعه في سبيل الخير، قال تعالى: ﴿وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾ (النور:٣٣) ﴿وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ (الحديد:٧)

وقد وصف الله تعالى المبذرين بالسفه، وأمر بالحجر على أموالهم. فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَلا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا﴾ (النساء:٥)

وفي هذه الآية إشارتان بليغتان تَنهيان عن التبذير، الأولى- قوله تعالى: ﴿أموالكم﴾ ليلفت النظر إلى أن مال السفيه، هو مال الأمة.

الثانية - قوله تعالى: ﴿التي جعل الله لكم قيامًا﴾ أي أن الأموال جعلها الله لتقوم عليها

مصالحكم فيجب المحافظة عليها وعدم إعطائها للسفيه.

ولما للتبذير والإسراف من عواقب وخيمة جاء النهي عنها فقال تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ (الأعراف٣١)

ويقول النبي صلى الله عليه وسلم: (إن الله كرِه لكم ثلاثاً: قيل وقال، وإضاعة المال، وكثرة السؤال)

والإسراف كما يكون من الغني فإنه يكون من الفقير، ولهذا قال سفيان الثوري رضي الله عنه: «ما أنفقت في غير طاعة الله فهو سرف، وإن كان قليلاً»، وكذا قال ابن عباس رضي الله عنه: «من أنفق درهماً في غير حقه فهو سرف».

وكان السلف ممن يلتزم الاقتصاد في الإنفاق وعدم التوسع في غير حاجة قال الحسن -رحمه الله- في وصفهم: «كانوا في الرِّحال مخاصيب، وفي الأثاث والثياب مجاديب». أي: ما كانوا يعتنون بالتوسعة في أثاث البيت من فرش ووسائد وغيره، وفي ثياب اللبس وما يجري مجراها كما يتوسعون في الإنفاق على الأهل». لقد كانوا -رحمهم الله- مع زهدهم وورعهم يعتنون بقليل المال ولا يحتقرون منه شيئاً مع اقتصاد في المعيشة والنفقة؛ ولذا كان القليل من المال يكفيهم، وقد أبصرت أم المؤمنين ميمونة -رضي الله عنها- حبة رمان في الأرض فأخذتها وقالت: إنَّ الله لا يحب الفساد.

أيها الإخوة والأخوات:ويختلف الإسراف عن الكرم رغم أنَّ كلاً منهما عطاء، لكن الكرم يكون وفق أصول الشرع، مثل: إطعام الضيف، وإكرام الفقير، ومنه: فإنَّ البخل ضد الكرم، وليس ضد الإسراف، وإنما الإسراف ضد الاعتدال والاستقامة، والإسراف قرين الكبر والمَخيلة يظنُّ المسرف أنَّ له فضلاً بإسرافه، فيُصيبه الكبر والبطر، والإسراف كما يكون من الغنيِّ، فقد يكون من الفقير أيضاً؛ لأنَّ الإسراف في هذه الحالة أمر نسبيٌّ.

وأما الإنفاق في المباحات فيجب الالتزام بالعدل والاستقامة والتوسط فيها، حتى لا يتحول الإنفاق على المأكل والمشرب والملبس إلى البذخ والتفاخر والتعالي على الناس!

وأما المبالغة في بذل المال طاعةً لله وفي سبيله، فلا يكون إسرافاً، وإن كان هذا البذلُ مشروطاً

بألا يُضيِّع المنفِقُ من يعول، ويذرَ ذريته عالةً على الناس.

أحبتي: وهناك إسراف في باب آخر ألا وهو الإسراف في الذنوب، يقول تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾ (سورة الزمر:٥٣).

ولذا نرى التلازم بين الإسراف والكفر فهو من صفات الكافرين يقول تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِن بِآيَاتِ رَبِّهِ﴾ (سورة طه:١٢٧) . وهو صفة من صفات الجبارين يقول تعالى: ﴿وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ (سورة يونس:٨٣). وقال تعالى: ﴿وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ﴾ (سورة الشعراء:١٥١).

وطرق العلاج من الإسراف تتلخص في:

١. التفكر في الآثار والعواقب المترتبة على الإسراف فإن ذلك من شأنه أن يحمل على تدارك الأمر والتخلص من الإسراف قبل فوات الأوان.

٢. الحزم مع النفس وذلك بفطمها عن شهواتها ومطالبها وحملها على الأخذ بكل شاق وصعب من قيام ليل إلى صوم تطوع إلى صدقة إلى مشي على الأقدام إلى حمل الأثقال، ونحو ذلك.

٣. دوام النظر في سُنة النبي صلى الله عليه وسلم وسيرته فإنها مليئة بالتحذير من الإسراف بل ومجاهدة النفس والأهل والعيش على الخشونة والتقشف إذ يقول صلى الله عليه وسلم:

٤. دوام النظر في سيرة سلف هذه الأمة، من الصحابة المجاهدين و العلماء العاملين فقد اقتدى هؤلاء به صلى الله عليه وسلم فكان عيشهم كفافاً، ولا هم لهم من الدنيا إلا أنها معبر أو قنطرة توصل للآخرة.

٥. الانقطاع عن صحبة المسرفين، مع الارتماء في أحضان ذوي الهمم العالية و النفوس الكبيرة، الذين طرحوا الدنيا وراء ظهورهم، وكرسوا كل حياتهم من أجل استئناف حياة إسلامية كريمة، تصان فيها الدماء والأموال والأعراض، ويقام فيها حكم الله

عز وجل في الأرض، غير مبالين بما أصابهم ويصيبهم في ذات الله، فإن ذلك من شأنه أن يقضي على كل مظاهر السرف والدعة و الراحة، بل ويجنبنا الوقوع فيها مرة أخرى، لنكون ضمن قافلة المجاهدين وفي موكب السائرين.

٦. الاهتمام ببناء شخصية الزوجة والولد؛ فإن ذلك من شأنه أن يقضي على كل مظاهر الترف، وأن يحول دون التورط فيها مرة أخرى، بل ويعين على سلوك طريق الجادة حين تنقضي هذه الحياة بأشواكها وآلامها ونرد إلى ربنا فنلقى حظنا هناك من الراحة و النعيم المقيم.

٧. دوام التفكر في الواقع الذي تحياه البشرية عموماً و المسلمون على وجه الخصوص، فإن ذلك يساعد على التخلص من كل مظاهر الإسراف بل ويحول دون التلذذ أو التنعم بشيء من هذه الحياة، حتى يمكن لمنهج الله وترفع الراية الإسلامية من جديد.

٨. دوام التفكر في الموت، وما بعده من شدائد وأهوال، فإن ذلك أيضاً يعين على نبذ كل مظاهر الإسراف و الترف، ويحول دون الوقوع فيها مرة أخرى استعداداً لساعة الرحيل ويوم اللقاء.

٩. تذكر طبيعة الطريق، وما فيها من متاعب وآلام، وأن زادها ما يكون بالإسراف والاسترخاء و الترف بل بالخشونة و الحزم و التقشف، فإن ذلك له دور كبير في علاج الإسراف ومجاهدة النفس و القدرة على اجتياز وتخطى المعوقات و العقبات.


الترف

الترف

يقول تعالى: ﴿وإذا أردنا أن نُّهلك قرية أمرنا مُترفيهــا ففسقوا فيها فحقَّ عليْها القولُ فدمَّرْناها تدْميراً﴾ (الإسراء:١٦)

ويقول سبحانه: ﴿حتَّى إذا أخــذْنا مُتْرفيهم بالْعذاب إذا هُمْ يجأرُون﴾ (المؤمنون:٦٤)،
وقال تعالى: ﴿وكذلك ما أرْسلْنا من قبْلك في قرية مِّن نَّذير إلاَّ قال مُتْرفوها إنَّا وجدْنا آباءنا على أُمَّةٍ وإنَّا على آثارهم مُّقْــتدُون﴾ (الزخرف:٢٣).

﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ (سورة النحل: ١١٢)

الترف آفة من أعظم الآفات التي تصيب الأفراد والدول والجماعات، وهو عبارة عن نعمة تورث طغياناً أو كفراً ويصاحبها البطر والظلم، فمتى وقع ذلك أوجب سخط الله وعقوبته كما قال سبحانه: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ (إبراهيم:٧).

والمراد بالترف مجاوزة حد الاعتدال بنعمة أو الإكثار من النعم التي يحصل بها الترف، والمترفون هم: الذين أبطرتهم النعمة وسعة العيش، الحريصون على الزيادة في أحوالهم وعوائدهم، الساعون إلى بلوغ الغاية في حاجات الذات الحسية من مأكل ومشرب ومسكن ومركب.

ولم يُذكر الترف في كتاب الله تعالى: إلا في موضع الذم، فقد وصف القرآن الكريم المترفين بأنهم أول من يكفر بدعوات الأنبياء والمرسلين كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ. وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالاً وَأَوْلاداً وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ (سبأ: ٣٤،٣٥).

وقال جل وعلا: ﴿وَقَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾ (سورة المؤمنون:٣٣) والملأ هم الأشراف والقادة والرؤساء الذين أنكروا البعث والحساب، وسّع عليهم سبحانه نعم الدنيا حتى بَطَروا فأنكروا النبوة وقاسوا بعقولهم القاصرة.

والنعمة قد تنقلب إلى نقمة إذا لم تستعمل في طاعة الله ولم يؤد صاحبُها شكرَ النعمة للمنعم جل وعلا، قال تعالى: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لاَ يَعْلَمُونَ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ (الأعراف: ١٨٣) والمراد أنه: يسبغ عليهم نعمه و يمنعهم شكرها، أو أنهم: كلما أحدثوا ذنباً أحدث لهم نعمة فيزدادون بها أشراً وبطراً و غروراً و كبراً حتى ينسوا ربهم ودينهم وأنفسهم: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ (سورة يس: ٧٨ - ٧٩)

إن المال والسلطان والجاه والصحة والقوة من نعم الله على الخلق والعباد، وبدلاً من أن تكون عوناً على طاعة الله وعبودية خالق الأرض والسماوات، تستخدم أحياناً في مبارزة الله ومجاهرته بالمعصية كما قال سبحانه: ﴿كَلا إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَى. أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى. إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى﴾ (سورة العلق: ٦ - ٨).

وفي قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ (سورة الإسراء: ١٦)

في هذه الآية وعيد شديد وتنبيه أكيد فإنه سبحانه إذا أراد إهلاك قرية أمر أهلها بطاعته واتباع رسله ولكن المترفين فيها يأبون إلا الفسق والظلم فيها فيحق عليها القول بالتدمير، و«أمرنا»بالتخفيف والتشديد، أي أمرْناهم بالطاعة إعذاراً وإنذاراً وتخويفاً ووعيداً، وبالتشديد ﴿أمَّرنا﴾ أي جعلناهم أمراء متبوعين مطاعين في قومهم، والمراد: بعثنا مستكبريها ففسقوا فيها، حيث يسمع لهم ويطاع فيقع التدمير والفساد لهذه القرية، فالترف يؤذن بالخراب والدمار، وفي الصحيح من حديث زينب بنت جحش زوج النبي صلى الله عليه و سلم قالت: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً فزعاً محمراً وجهه يقول «لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب؛ فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل

هذه»و حلق بإصبعه الإبهام والتي تليها، فقالت: يا رسول الله، أنهلك و فينا الصالحون؟ قال: «نعم إذا كثر الخبث»وهذا ظاهر في أنه متى قل المصلحون فإن المعاصي تظهر وإذا لم يقع التغيير والنكير فإنها تكون سبباً لهلاك الجميع.

هذا حال المترفين في الدنيا وأما حالهم في الآخرة فإنه أشد، كما قال تعالى: ﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ۞ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ۞ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ۞ لا بَارِدٍ وَلا كَرِيمٍ ۞إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ﴾ (سورة الواقعة: ٤١ - ٤٥).

وهنا ربما يرد سؤال عن التوسعة على النفس وعلى العيال فالجواب: أنه ليس من الترف أن يكون الثوبُ حسناً والنعلُ حسناً، أو أن يتلذذ الإنسان بما أباحه الله من الطيبات، في المأكل والمسكن والمركب والملبس، أو أن ينفق على نفسه وأهله النفقة المعتادة اللائقة به والمناسبة لحاله، فالله تعالى يقول: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللّهِ الَّتِيَ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ (سورة الأعراف: ٣٢) ونعم المال الصالح للعبد الصالح، وكان سلفنا الصالح إذا وجدوا أكلوا أكل الرجال و إذا لم يجدوا صبروا صبر الرجال. والله تعالى يحب أن يرى أثر نعمته على عبده، يقول جل وعلا ﴿وأما بنعمة ربك فحدث﴾.

فدعوة الإسلام إلى ترك الترف، ومحاربته له، لا تعني ترك النعم وترك الطيب والمباح، وإنما المراد الاقتصاد في الإنفاق وعدم تعلق القلب بها والركون إليها، وإلا فإن النبي -صلى الله عليه وسلم- الذي حذر من الترف وأحوال المترفين قد قال: (إن الله جميل يحب الجمال، ويحب أن يرى أثر نعمته على عبده ويبغض البؤس والتباؤس) صححه الألباني في صحيح الجامع ١/٣٥٩ ح ١٧٤٢، وعزاه للبيهقي في الشعب عن أبي سعيد. وقال -صلى الله عليه وسلم- لوالد أبي الأحوص: «فإذا آتاك الله مالاً فليُرَ أثر نعمة الله عليك وكرامته»، أبو داود ٤/٣٣٣١ ح ٤٠٦٣ وصححه الألباني في صحيح الجامع ١/٢٨٤ ح ١٣٣٣.

وقد سئل الإمام أحمد: أيكون الإنسان ذا مال وهو زاهد؟ قال: نعم إن كان لا يفرح بزيادته ولا يحزن بنقصانه.

وأعظم أسباب الوقوع في الترف طول الأمل ونسيان الموت؛ فالله تعالى يحذر من ذلك يقول جل وعلا ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ (الحجر:٣)،

ومن أسباب الترف عدم موازنة الإنسان بين أمور حياته، فتجده ينغمس في زهرة الحياة وبهارجها وتأمين ما تطلبه نفسه.

ومن أسباب وقوع الترف حب التقليد أو التأثر بضغوط الواقع، فيحاول البعض أن يظهر بالمظهر اللائق به في زعمه فتجده يجاري في المظاهر ويفاخر ويباهي. وهذا مرض يجب علاجه. ونقص عقل يجب التنبُّه له والحذرُ منه.

كما أن من أسباب حصول الترف ضعف التربية، وضعف التوجيه الجاد لأفراد الأسرة. وعدم التوجيه المناسب مع فتن الحياة والشهوات. وربما كان كثرة المال ووفرة النعم من أسباب الترف، فالمال يعمي ويصم، ويدفع صاحبه إلى البذخ والإنفاق في غير حاجة غالباً. يقول (تعالى): ﴿كَلا إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَى ۞ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى﴾ (العلق:٦-٧). ومن أسباب الترف تعلق النفس بالشهوات: كما قال (سبحانه): ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ﴾ (آل عمران:١٤)، وليست المشكلة في هذا الحب فإنه فطرة وجبلة وطبيعة، وإنما الإشكال في تقديم حب تلك الأشياء على محبوبات الله تعالى، ورسوله -صلى الله عليه وسلم- وما ينتج عن ذلك من ترف وركون وبطر وأشر.

ولعلاج الترف وتجاوزه طرائق ووسائل منها، مجاهدة النفس، والدعاء، وتذكر أن الدنيا زائلة، وأن المال نعمة من الله يجب استخدامه فيما شرع، والحذر من آثار وأخطار الترف، ولنتذكر كيف عاش رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وكيف تعاملوا مع الدنيا. ومما يعين على ترك الترف تربية النفس على عدم تحقيق كل ما تشتهيه، قال رجل لابن عمر رضي الله عنه: ألا أجيئك بجوارش، قال: وأي شيء هو؟ قال: شيء يهضم الطعام إذا أكلته، قال: ما شبعت منذ أربعة أشهر، وليس ذاك أني لا أقدر عليه، ولكن أدركت أقواماً يجوعون أكثر مما يشبعون(الزهد للإمام أحمد، ١٨٩.) وفي رواية: ولكن عهدت أقواماً يجوعون مرة ويشبعون مرة (إصلاح المال لابن أبي الدنيا ١٠٦).

وسئل الحسن عن الرجل يبتاع الطعام ويبتاع اللحم، أي: يشتريه، هل عليه في ذلك؟ فقال: إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: كفى سرفاً ألا تشتهي شيئاً إلا أكلته (إصلاح

المال لابن أبي الدنيا، ١٠٦.)

وعلى المسلم النظر إلى ملذات الحياة الدنيا وشهواتها باعتبار مآلها وزوالها وليعلم أنها ليست غاية. قال عثمان بن عفان رضي الله عنه في آخر خطبة له: إن الله إنما أعطاكم الدنيا لتطلبوا بها الآخرة، ولم يعطِكُموها لتركنوا إليها، إن الدنيا تفنى والآخرةَ تبقى، لا تبطركم الفانية، ولا تشغلكم عن الباقية، آثروا ما يبقى على ما يفنى فإن الدنيا منقطعة وإن المصير إلى الله (عز وجل) (ذم المال لابن أبي الدنيا، ٧٧.)

ومما يعين على البعد عن الترف الإنفاق في وجوه البر والخير، وتذكر المحتاجين وتفقدهم، والاطلاع على أحوالهم فهو سبب عظيم يعين بإذن الله على البعد عن الترف. ومما يعين على البعد عن الترف أن يشغل الإنسان وقته بما ينفعه ديناً ودنيا، ويحذر من البطالة والفراغ، ومما يعين على ترك الترف محاسبة النفس عند سعة الرزق وانبساطه، والحذر من أن يكون ذلك استدراجاً؛ قال عبدالرحمن بن عوف: قُتل حمزة فلم نجد ما نكفنه فيه وهو خير مني! وقُتل مصعب بن عمير وهو خير مني فلم نجد ما نكفنه، وقد أصبنا منها ما قد أصبنا! ثم قال: إني لأخشى أن يكون قد عجلت لنا طيباتنا في الدنيا(حلية الأولياء ١/١٠٠.)

اللهم جنبنا ما يسخطك، وأبعدنا عما يغضبك، ووفقنا لما يرضيك اللهم أعذنا من فتن الدنيا ما ظهر منها وما بطن.

وصلى الله على نبينا محمد...



التغافل

التغافل

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله فاطر السماوات وبارئ النسمات رب كلِّ شيء ومليكه، وأصلي على من بعثه الله رحمة للعالمين نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين: أما بعد:
فسلام الله عليكم ورحمته وبركاته،أيها الإخوة والأخوات..

يقول الباري سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثاً فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾ (التحريم:٣). في هذه الآية العظيمة أيها الأحبة والأخوات هداية من أجَلِّ الهدايات ودلالة من أعظم الدلالات ففيها توجيه شرعي وأدب كريم وخلق قويم طبقه المصطفى صلى الله عليه وسلم، وهو قدوتنا وهو المعلم الأول وقد أُمِرْنا باتباعه والسير على نهجه، كما قال تعالى: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أُسوة حسنة﴾

ذلكم الخلق أيها الإخوة والأخوات من أرفع الآداب وأسماها وأجلّها أثراً وتأثيراً إنه خلق التغافل والتغاضي، فقد بيّن الله تعالى أن المصطفى صلى الله عليه وسلم، وهو القدوة والأسوة عليه الصلاة والسلام، أُتى ببعض الحديث وأعرض عن بعضه، وهذا ما يسمى بأدب التغافل.

وخلق التغافل والإغضاء والتسامح وعدم التمحيص والتدقيق من أعظم الأخلاق وأكثرها أثراً في حفظ الود وبقاء العلاقة وسلامة الصدر. والبعد عن البغضاء والإحن والشحناء.

أيها الإخوة والأخوات: لو استعرض أحدنا واستذكر موقفاً حصل له في عتاب أو خلاف أو أمر من الأمور سيجد أنه في غالب الأحوال لا يطبق هذا الخلق القويم بل الغالب على بني البشر أن يستقصي ولا يتغافل، إلا ما ندر، بل ربما أتى على ذكر جميع المساوئ والمعايب، وقد يبحث عن الصغير قبل الكبير، وربما جمع الأمر الواقعَ بما سبقه من وقائع وأمور مضى عليها الزمن، وانطوت صفحتها منذ القدم، إن لم يزد عليها ويبالغْ ويذكر ما لم

يقع على أنه واقع، وهذا خلاف خلق التغافل وخلافُ الأدب الكريم الذي أُمرنا به، وطبقه رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم.

يقول الحسن رحمه الله: «ما استقصى كريم قط قال الله تعالى: ﴿عرف بعضه وأعرض عن بعض﴾ (تفسير القرطبي ج١٨ ص١٨٨).

وقال الشاعر:

أحب من الأخوان كل مواتي
وكل غضيض الطرف عن هفوات

ومن اللطائف وما يذكر من المواقف في أدب التغافل، ما ذكره ابن جريج عن عطاء بن أبي رباح قال: إن الرجل ليحدثني بالحديث فأنصت له كأن لم أسمعه قط وقد سمعته قبل أن يولد. (تاريخ مدينة دمشق ج:٤٠ ص:٤٠١). وهذا من أفضل الأدب، وكمال العقل ورجحانه، وعلو المنزلة وتحصيل الرفعة. وهي أخلاقُ الكبار.

يقول الشاعر:

من كان يرجو أن يسود عشيرة
فعليه بالتقوى ولين الجانبِ
ويغض طرفاً عن إساءة من أساء
ويحلم عند جهل الصاحبِ
ليس الغبي بسيد في قومه
لكن سيد قومه المتغابي

أيها الأحبة: لا يخلو أي شخص منا من نقص، أو عيب أو قصور، ومن المستحيل على أي أحد أن يجد كلَّ ما يريده في الطرف الآخر سواء كان زوجاً أو زوجة أو قريباً أو صديقاً، أو زميلاً، أو جاراً، ذكراً كان أو أنثى، ومن المؤكد أنه لن يبقى أي من الطرفين دون أن يجد في الآخر ما يشعره بالضيق منه أو شيئًا لا يرضيه. وقد قيل:

من ذا الذي تُرضى سجاياه كلها
كفى المرء نبلاً أن تعد معايبه

والواجب الشرعي والعمل بمقتضى هداية هذه الآية واتباعا للمنهج النبوي الكريم ومنطق العقل وحسن العشرة: الصبر والتحمل، وغض الطرف عما تجده من الطرف الآخر، إذ ليس من المقبول أن يقع نزاع وخصام وخلاف وتقاطع وتدابر عند حدوث شيء من ذلك، وبالإمكان تجاوزه وغض الطرف عنه، لأنه لن يستقيم الأمر ولن يكون هناك تعايش إن استمر التعامل على هذا المنوال من التخاصم والتنازع والتقاطع والتدابر عند حدوث أدنى تقصير أو وجود ما يشعر بالضيق.

وتذكر وتأمل أخي الكريم أختي الكريمة كما أنك تريد من الناس أن يقبلوك على حالك ووضعك، فعليك أن تتقبلهم على ما هم عليه، ولا تكلفهم ما لا يحسنون ولا يطيقون.

وقد تجد بعض الناس ينقب ويدقق ويبحث عما يثير، ويوقع النزاع والخصام، وقد قيل:

ما استقصى كريم قط
ومن له الحسنى فقط.

ومثل هذا الصنف من الأصدقاء أو الأزواج أو الزوجات الذين يبحثون وينقبون ويدققون إنما هم في حقيقة الأمر يبحثون عما يكدرُ صفوَ عيشِهم. أو بمعنى آخر: كأنهم يبحثون عن المشاكل بأنفسهم !! ويخربون بيوتهم بأيديهم.

فإن كان المرء يبحث عن صفو العيش وراحة البال، فعليه بالتغافل وعدم التدقيق والتنقيب والبحث عما يثير الإشكال، حتى لا يتكدر هو أو يكدر على الآخرين عيشَهم.

وخير للمرء ألا يشغل نفسه بالتدقيق والتقصي، ولا يشغل غيره، فيسلمَ ويرتاحَ، ويرتاحَ من حوله.

ومع كون هذا الخلق والمنهج النبوي فيه اتباع وطاعة وقربة إلى الله ففيه كذلك سلامةُ قلب وراحةُ له، ويضاف لذلك أن المسلم يثاب على تحليه بهذا الخلقِ ويؤجر، خاصة وأن العمر محدود، وينبغي ألا يضيع في جدال وخصام ونزاع بل يجب أن يستثمر في طاعة الله وأعظم ذلك التسامحُ والعفو والصفح والتجاوز.

ومن كلام السلف في شأن التغافل ما قاله عمرو بن عثمان المكي: المروءة التغافل عن زلل

الإخوان.

وقال أبو بكر بن أبي الدنيا إن محمد بن عبد الله الخزاعي قال: سمعت عثمان بن زائدة يقول: العافية عشرة أجزاء تسعة منها في التغافل. قال: فحدثت به أحمد بن حنبل فقال: العافية عشرة أجزاء كلها في التغافل.

وقال الأعمش: التغافل يطفئ شراً كثيراً.

وعن أبي بكر بن عياش قال: قال كسرى لوزيره ما الكرم؟ قال: التغافل عن الزلل..»

و قال أهل العلم إن قوله – صلى الله عليه وسلم -: (إن الله يحب الرفق في الأمر كله) يدل على استحباب تغافل أهل الفضل عن سفه المبطلين إذا لم يترتب عليه مفسدة.

وقال الشافعي: الكيِّس العاقل هو الفطن المتغافل.

وفي قوله تعالى: ﴿وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً﴾ ما يؤكد هذا المعنى ويجليه، وليس التحامق والتجاوب معهم في حمقهم، هذا في حق الجاهل فكيف بالصديق أو القريب غير الجاهل.

وقال جعفر بن محمد الصادق: (عظموا أقداركم بالتغافل).

وقال المهاجري: (قال أعرابي لرجل: قد استدللت على عيوبك بكثرة ذكرك لعيوب الناس؛ لأن طالبها متهم بقدر ما فيه منها).

ونقل عن الإمام أحمد بن حنبل أنه قال: «تسعة أعشار حسن الخلق في التغافل»

والمقصود بالتغافل هو إظهار الغفلة مع معرفته وإدراكه لما يتغافل عنه تكرماً وترفعاً عن سفاسف الأمور.

يقول الحسن البصري: ما زال التغافل من فعل الكرام»..

ونقل عن معاوية رضي الله عنه: ثلث الحكمة فطنة وثلثاها التغافل.

وقد قيل:

إذا كنت في كل الأمــور معاتباً
صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه
فعش واحـداً أو صل أخـاك فإنه
مـقـارفُ ذنــبٍ مــرةً ومجـانبـه

وقال الشاعر:

وتــغــافــل عــن أمــــور إنـــه
لم يـفـز بـالحـمـد إلا مـن غفل

وفقنا الله وإياكم إلى كل خير وجعلنا وإياكم من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه إنه سميع مجيب.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



الجحود (الإنكار)

الجحود (الإنكار)

يقول تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ (١٤ النمل)

وقال عز وجل: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ (الأنعام: ٣٣).

وقال سبحانه: ﴿وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ (سورة هود: ٥٩).

الجحود في اللغة: إنكار الشيء مع العلم به، ومع ظهوره وسطوع دليله، مأخوذ من قولهم: أرض جحْدة، أي يابسة لا خير فيها، ومنه قيل: رجل جَحْدٌ، أي شحيح بخيل يُظهر الفقر. مفردات الأصفهانى، اللسان (ج ح د).

واستُعمل هذا المعنى لوصف من يُنكر شيئًا ظاهرًا ولا يُقرُّ به، رغم عِلمِه به وظهور الدليل عليه. فيقال له جاحد. مع وضوح الأمر وظهوره.

أما الإنكار فهو في اللغة: ضد المعرفة، وهو نوع من الجهل، والجهل فيه خفاء الدليل؛ ومن هنا استعمل الإنكار في الشيء الخفيِ الذى لا يظهر دليله. مفردات الأصفهانى، اللسان (ن ك ر).

وقد ورد في القرآن الكريم كلمة الجحود بمعنى: إنكار ما هو معروف ظاهر، كما في قول الله عز وجل: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ (الأنعام:٣٣). فالآيات ظاهرة ساطعة، وجحودهم بها مُكابَرة وإنكار كما هو معلوم (). مفردات الأصفهانى (ج ح د)، التحرير والتنوير ١٩٩/٦.

في حين جاءت كلمة (الإنكار) على معنيين في القرآن الكريم: الأول: بمعنى: عدم العلم بالشيء، كما في قول الله عز وجل: - ﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ﴾ (يوسف:٥٨).



أي: جاهلون به جهلًا متمكّنًا منهم ثابتًا في نفوسهم.

فهذا نفي للعلم بالشيء. وقد يُعذر صاحبه.

المعنى الثاني: الذي جاء به القرآن الكريم لكلمة الإنكار هو: نفي الشيء الظاهر مع العلم به، كما في قول الله عز وجل: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾ (النحل:٨٣)

فهذا في مقابل الإقرار، بتصرف من التحرير والتنوير ١٤/٢٤٢ - ٢٤٣..

أي يعرفون ذلك في أعماق نفوسهم، لكنهم لا يُقِرُّون به. وهي هنا بمعنى الجحود.

فالقرآن استخدم كلمتي «الجحود الإنكار» بمعنى النفي.

غير أن الملمح المميِّز للجحود هو: إنكار الشيء الظاهر مع العلم به.

والملمح المميِّز للإنكار: عدم العلم بالشيء أو خفاء دليله.

قال الطبري رحمه الله في تفسيره: قال ابن جريج وقوله: ﴿وجحدوا بها﴾ يقول: وكذبوا بالآيات التسع أن تكون من عند الله.

وقال رحمه الله: الجحود: التكذيب بها. وقال في قوله تعالى: ﴿واستيقنتها أنفسهم﴾ أي: وأيقنتها قلوبهم، وعلموا يقينا أنها من عند الله، فعاندوا بعد تبينهم الحق، ومعرفتهم به.

وقال ابن زيد في قول الله تعالى: ﴿واستيقنتها أنفسهم ظلمًا وعلوًا﴾ قال: استيقنوا أن الآيات من الله حق، فلِمَ جحدوا بها ؟ قال: ظلمًا وعلوًا.

وقوله تعالى: ﴿ظلمًا وعلوًا﴾ يعني بالظلم: الاعتداء، والعلو: الكبر، كأنه قيل: اعتداء وتكبرًا.

وقال ابن كثير رحمه الله:

﴿وجحدوا بها﴾ أي: في ظاهر أمرهم، ﴿واستيقنتها أنفسهم﴾ أي: علموا في أنفسهم أنها حق من عند الله، ولكن جحدوها وعاندوها وكابروها، ﴿ظلمًا وعلوًا﴾ أي: ظلمًا من أنفسهم، سجيةً ملعونةً، ﴿وعُلُوًا﴾ أي: استكبارا عن اتباع الحق ولهذا قال: ﴿فانظر كيف

كان عاقبة المفسدين﴾ أي: انظر يا محمد كيف كان عاقبة كفرهم، في إهلاك الله إياهم، وإغراقهم عن آخرهم في صبيحة واحدة.

وفحوى الخطاب يقول: احذروا أيها المكذبون بمحمد، الجاحدون لما جاء به من ربه، أن يصيبكم ما أصابهم بطريق الأَولى والأحرى فإن محمدًا، صلوات الله وسلامه عليه، أشرف وأعظم من موسى، وبرهانه أدل وأقوى من برهان موسى، بما آتاه الله من الدلائل المقترنة بوجوده في نفسه وشمائله، وما سبقه من البشارات من الأنبياء به، وأخذ المواثيق له، عليه من ربه أفضل الصلاة والسلام.

ولهذا ينبغي الحذر من الوقوع فيما وقع فيه هؤلاء من الجحود والإنكار حتى لا يحدث له نفس المصير.

لقد نعى القرآن الكريم على المشركين وأهلِ الكتاب جحودهم بآيات الله رغم معرفتهم بها، وشدّد النّكير عليهم فوسمهم بالظّلم، في قوله سبحانه ﴿وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ (الأنعام/ ٣٣)، وقد كان هذا الجحود سببًا للعنة قوم عاد وإبعادهم كما قال سبحانه: ﴿وَتِلْكَ عادٌ جَحَدُوا بِآياتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ۞ وَأُتْبِعُوا فِي هذِهِ الدُّنْيا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيامَةِ أَلا إِنَّ عاداً كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلا بُعْداً لِعادٍ قَوْمِ هُودٍ﴾ (هود: ٥٩- ٦٠).

وقد وصف القرآن الكريم من يجحد بآيات الله بالكفر حينًا وبالظّلم حينًا فقال- عزّ من قائل-:

﴿وَما يَجْحَدُ بِآياتِنا إِلَّا الْكافِرُونَ﴾ (العنكبوت/ ٤٧)، وقال سبحانه ﴿وَما يَجْحَدُ بِآياتِنا إِلَّا الظَّالِمُونَ﴾ (العنكبوت/ ٤٩)، وجاء وصفهم بأنّهم أهل الإفك والختر، فقال تعالى: ﴿كَذلِكَ يُؤْفَكُ الَّذِينَ كانُوا بِآياتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ (غافر/ ٦٣)، وقال سبحانه: ﴿وَما يَجْحَدُ بِآياتِنا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾ (لقمان/ ٣٢) وقد أوضح المولى- عزّ وجلّ- أنّ الجحود من عوامل الاستكبار والغرور فقال سبحانه: ﴿فَأَمَّا عادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكانُوا بِآياتِنا يَجْحَدُونَ﴾ (فصلت/ ١٥).

.....إنّ الجاحد بآيات الله لن يغني عنه سمعه ولا بصره، ولا فؤاده، وكأنّه حرم نفسه من

نعم الحواس والإدراك الّتي أنعم الله بها عليه، يقول سبحانه: ﴿وَجَعَلْنا لَهُمْ سَمْعاً وَأَبْصاراً وَأَفْئِدَةً فَما أَغْنى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلا أَبْصارُهُمْ وَلا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كانُوا يَجْحَدُونَ بِآياتِ اللَّهِ﴾ (الأحقاف/ ٢٦).

وتأمل..... أن النّتيجة الحتميّة للجحود هي الخلود في النّار وفوق ذلك وصفهم الله تعالى بأنّهم أعداءُ الله فاستحقّوا بذلك الوعيد الشّديد كما قال سبحانه ﴿ذلِكَ جَزاءُ أَعْداءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيها دارُ الْخُلْدِ جَزاءً بما كانوا بآياتنا يجحدون﴾ (فصلت ٢٨)

انتهى بتصرف من إحياء علوم الدين للغزالي (٤/ ١٢٣- ١٢٦).

قال الشّنقيطيّ- رحمه اللّه تعالى- في معنى قوله تعالى: ﴿أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ (النحل: ٧١) هذا إنكار من اللّه عليهم جحودهم بنعمته؛ لأنّ الكافر يستعمل نعم اللّه في معصية اللّه فيستعين بكلّ ما أنعم اللّه به عليه على معصيته؛ فإنّه يرزقهم ويعافيهم، وهم يعبدون غيره، وجحود النّعمة كفرانها.(أضواء البيان (٣/ ٢٨٨).

قال ابن عبّاس- رضي اللّه عنهما- في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ (العاديات: ٦): أي كفور.

وقال أبو أمامة الباهليّ- رضي اللّه عنه-: الكنود: الّذي يأكل وحده، ويضرب عبده، ويمنع رفده.

وقال الحسن البصريّ- رحمه اللّه تعالى-: الكنود هو الّذي يعدّ المصائب وينسى نعم اللّه عليه. تفسير ابن كثير (٤/ ٥٤٢).

وقال كعب الأحبار- رحمه اللّه تعالى-: ما أنعم اللّه على عبد من نعمة في الدّنيا فشكرها للّه وتواضع بها للّه إلّا أعطاه نفعها في الدّنيا، ورفع له بها درجة في الآخرة، وما أنعم اللّه على عبد نعمة في الدّنيا فلم يشكرها للّه، ولم يتواضع بها إلّا منعه اللّه نفعها في الدّنيا، وفتح له طبقات من النّار يعذّبه إن شاء أو يتجاوز عنه.(عدة الصابرين (١٤٥).

وكتب ابن السّمّاك إلى محمّد بن الحسن رحمهما اللّه تعالى- حين ولي القضاء بالرّقّة: أمّا بعد، فلتكن التّقوى من بالك على كلّ حال، وخف اللّه من كلّ نعمة أنعم بها عليك من قلّة الشّكر عليها مع المعصية بها، وأمّا التّبعة فيها فقلّة الشّكر عليها، فعفا اللّه عنك كلّ ما

ضيّعت من شكر، أو ركبت من ذنب، أو قصّرت من حقّ.(عدة الصابرين (١٣٠).

وقال ابن الأثير: من كان عادته وطبعه كفران نعمة النّاس وترك شكره لهم كان من عادته كفر نعمة اللّه- عزّ وجلّ- وترك الشّكر له.(جامع الأصول (٢/ ٥٦٠)، ونقله عنه ابن مفلح في الآداب الشرعية (١/ ٣١٣)

فالجحود -كما يكون لما جاء به الشرع من الآيات والدلائل- يكون كذلك لنعم الله وعطائه وفضله.

والواجب على المسلم التسليم والانقياد لما جاء عن الله وعن رسوله صلى الله عليه وسلم.

كما يجب كذلك على العبد شكر نعمة الله. واستعمالها في طاعته حتى لا يكون جحودًا كنودًا لنعمة ربه.

اللهم اجعلنا من المؤمنين الصادقين، واجعلنا من الشاكرين لنعمائك الراضين بقضائك.

اللهم وفقنا لما وفقت له عبادك الصالحين.

وصل الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

والسلام....



التبرج

التبرج

قال تعالى: ﴿وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾ (النور: ٣١).

وقال سبحانه: ﴿وإذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن﴾

أمر الله تعالى نساء المؤمنين بالتستر وعدم إظهار الزينة لغير المحارم حماية لهن وسترًا لهن، ورفعة وتكريمًا لهن، فالجواهر تحفظ وتصان ولا تكون مبتذلة أمام كل أحد. وأباح تعالى ظهور المرأة بزينتها دون حجاب أمام أصناف محددة وردت في قوله سبحانه: «ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بني إخوانهن أو بني أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء»فهؤلاء الأصناف الإثنا عشر هم فقط من يجوز للمرأة المسلمة أن تظهر أمامهم وهي كاشفة عن وجهها وكفيها ونحو ذلك مما اعتاد النساء كشفه عند المحارم؛ أما غيرهم فلا يجوز لها ذلك.

وقد دل على ذلك الكتاب والسنة:

فمن القرآن الكريم: قوله تعالى:»وإذا سألتموهن متاعاً فسألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن»قال ابن كثير -رحمه الله-:»أي وكما نهيتكم عن الدخول عليهن كذلك لا تنظروا إليهن بالكلية، ولو كان لأحدكم حاجة يريد تناولها منهن فلا ينظر إليهن ولا يسألهن إلا من وراء حجاب.

وقال الشوكاني -رحمه الله-: أي من سِتر بينكم وبينهن. وقال الطبري -رحمه الله- «إذا سألتم أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم ونساء المؤمنين متاعاً فاسألوهن من وراء ستر بينكم وبينهن، ولا تدخلوا عليهن بيوتهن. والسؤال من وراء حجاب أطهر لقلوب الرجال والنساء من عوارض العين التي تعرض في صدور الرجال والنساء وأحرى أن لا يكون للشيطان عليكم وعليهن سبيل.

فهذه الآية الكريمة تبين وجوب الستر عن الرجال الأجانب.

قال سماحة الشيخ عبد العزيز ابن باز - رحمه الله - في هذه الآية: «ولم يستثنِ شيئاً، وهي آية محكمة، فوجب الأخذ بها والتعويل عليها وحمل ما سواها عليها. ثم قال - جزاه الله خيراً -: «والآية المذكورة حجة ظاهرة وبرهان قاطع على تحريم سفور النساء وتبرجهن بالزينة.

ومن الأدلة: قوله تعالى: «يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يُعرفن فلا يؤذين وكان الله غفوراً رحيماً».

قال الشيخ حمود التويجري -رحمه الله- في الصارم المشهور ص(١٨٧): «روى ابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنه في هذه الآية قال: «أمر الله نساء المؤمنين إذا خرجن من بيوتهن في حاجة أن يغطين وجوههن من فوق رؤوسهن بالجلابيب ويبدين عيناً واحدة.

وقال سماحة الشيخ عبد العزيز ابن باز -رحمه الله- في هذه الآية: «إن محمد بن سيرين قال: «سألت عبيدة السلماني عن قول الله عز وجل:»يدنين عليهن من جلابيبهن»فغطى وجهه ورأسه وأبرز عينه اليسرى.

ومن الأدلة قول الله تعالى: «ولا يبدين زينتهن إلاّ ما ظهر منها «قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في معنى إلا ما ظهر منها: يعني الثياب.

ومن الأدلة قوله تعالى: «وليضربن بخمرهن على جيوبهن»قال الطبري -رحمه الله- في تفسير هذه الآية: «وليلقين خمرهن على جيوبهن ليسترن بذلك شعورهن وأعناقهن. وفي هذه الآية دليل على تغطية الوجه لأن الخمار هو الذي تغطي به المرأة رأسها فإذا أنزلته على صدرها غطت ما بينهما وهو الوجه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في هذه الآية: «فلما نزل ذلك عمد نساء المؤمنين إلى خمرهن فشققنها وأرخينها على أعناقهن، والجيب هو شق في طول القميص فإذا ضربت المرأة بالخمار على الجيب سترت عنقها.

واسأل نفسك أخي الكريم هل يكون ستر العنق إلا بعد ستر الوجه !!

وأما الأدلة من السنة فمنها:

قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه الترمذي، وقال عنه حسن غريب «المرأة عورة فإذا خرجت استشرفها الشيطان «ففي هذا الحديث العظيم لم يستثن صلى الله عليه وسلم منها شيئاً بل قال: إنها عورة.

ومن ذلك فعل عائشة رضي الله عنها في قصة الإفك، والحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم «قالت عائشة وكان صفوان بن المعطل السلمي ثم الذكواني من وراء الجيش فأدلج فأصبح عند منزلي فرأى سواد إنسان نائم فأتاني فعرفني حين رآني، وكان يراني قبل الحجاب فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني فخمرت وجهي بجلبابي »

ومن الأدلة ما ثبت عن عائشة رضي الله عنه أنها قالت: «كان الركبان يمرون بنا ونحن محرمات مع الرسول صلى الله عليه وسلم فإذا حاذونا سدلت إحدانا جلبابها على وجهها من رأسها فإذا جوزنا كشفنا» رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه.

وفي حديث عائشة رضي الله عنه قالت: «رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسترني بردائه وأنا أنظر إلى الحبشة يلعبون في المسجد» متفق عليه.

وعن ابن عمر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا تنتقب المرأة المحرمة ولا تلبس القفازين»رواه الإمام أحمد والبخاري وأهل السنن.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - هذا مما يدل على أن النقاب والقفازين كانا معروفين في النساء اللاتي لم يحرمن، وذلك يقتضي ستر وجوههن وأيديهن.

وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا خطب أحدكم المرأة فإن استطاع أن ينظر إلى ما يدعوه إلى نكاحها فليفعل»فخطبت جارية فكنت أتخبأ لها حتى رأيت ما دعاني إلى نكاحها وتزوجتها. رواه الإمام أحمد والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم.

وعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت له امرأة أخطبها فقال: «اذهب فانظر إليها فإنه أجدر أن يؤدم بينكما»فأتيت امرأة من الأنصار فخطبتها إلى أبويها وأخبرتهما بقول النبي -صلى الله عليه وسلم- فكأنهما كرها ذلك،

قال: فسمعت ذلك المرأة وهي في خدرها فقالت: إن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرك أن تنظر فانظر وإلا فأنشدك - كأنها أعظمت ذلك - قال: فنظرت إليها فتزوجتها فذكر من موافقتها» رواه الإمام أحمد وأهل السنن إلا أبو داود وقال الترمذي هذا حديث حسن وصححه ابن حبان.

وشواهد فعل نساء الصحابة والسلف من بعدهم يدل على وجوب الحجاب ومشروعيته وإن حاول بعض المتأخرين التشكيك فيه وأنه عادة لا عبادة وأنه ثقافة متأخرة وليس لها أصل شرعي، فالأدلة الثابتة من الكتاب والسنة تؤكد فرضية الحجاب ووجوبه على النساء ولا عبرة بخلاف من خالف. ثم إن جمال المرأة يتضح من وجهها بل هو مجمع الحسن وبه تحصل الفتنة.

والحجاب حماية وستر ومحافظة ومكانة ولو كان التعري حضارة لكانت البهائم أكمل حضارة من الإنسان بل إن طبقات الملوك في أوروبا إلى عهد قريب كانوا يحجبون نساءهم بتغطية كاملة لا يرى منهن شيء وقد سرى التخفف من الحجاب والتعري لبلاد المسلمين في العصر الحاضر والله المستعان.

وقد سئل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله:

ما معنى قوله تعالى: ﴿وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾ (النور: ٣١).

فأجاب: اختلف المفسرون في معنى هذه الآية: والراجح منها هو قول ابن مسعود لدلالة الكتاب والسنة على مشروعية التستر للنساء في جميع أبدانهن إذا كن بحضرة الرجال الأجانب.

فقد أخرج الحاكم في المستدرك وابن حبان في صحيحه وسعيد بن منصور في سننه وابن أبي شيبة في المصنف وغيرهم بأسانيدهم، عن ابن مسعود أنه قال: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ الزينة: السوار والدملج والخلخال والقرط والقلادة ﴿إِلا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ الثياب والجلباب.

وساق رحمه الله الأدلة على ذلك من الكتاب والسنة.

قال الشيخ الشنقيطي رحمه الله بعد أن سرد المسألة والأقوال فيها وأدلة كل فريق وناقش

أدلة المخالفين:

وبهذا يتبين للمنصف أن احتجاب المرأة عن الرجال وسترها وجهها عنهم ثابت في السنَّة الصحيحة، المفسّرة لكتاب اللَّه تعالى، وقد أثنت عائشة رضي اللَّه عنها على تلك النساء بمسارعتهن لامتثال أوامر اللَّه في كتابه، ومعلوم أنهن ما فهِمْن ستر الوجوه من قوله: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾، إلا من النبيّ صلى الله عليه وسلم؛ لأنه موجود، وهنَّ يسألنه عن كل ما أشكل عليهن في دينهن، واللَّه جلَّ وعلا يقول: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾، فلا يمكن أن يفسرنها من تلقاء أنفسهن....

فالعجب كل العجب، ممن يدّعي من المنتسبين للعلم أنه لم يرد في الكتاب ولا السنَّة ما يدلّ على ستر المرأة وجهها عن الأجانب، مع أن الصحابيات فعلن ذلك ممتثلات أمر اللَّه في كتابه إيمانًا بتنزيله، ومعنى هذا ثابت في الصحيح، كما تقدم عن البخاري، وهذا من أعظم الأدلّة وأصرحها في لزوم الحجاب لجميع نساء المسلمين، كما ترى» انتهى «أضواء البيان»(٦ / ٢٥٠، ٢٥١). واللّه أعلم

اللهم احفظ نساء المسلمين واحمهن من التبرج والسفور واكفنا شر من أراد بهن شرًا.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

والسلام عليكم....



الحسد

الحسد

يقول الله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۖ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾

وقال سبحانه ﴿ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسداً من عند أنفسهم﴾

الحسد وهو تمني زوال الخير عن الغير وهو الحسد المذموم خُلق قبيح وصفة ذميمة ونقص في الإيمان، وقلة مروءة، إذا وصل إلى القلوب أفسدها، وإن وقع في الأجساد أمرضها، وإن وقع في الأموال أتلفها، وهو من الذنوب المهلكات، وصفته أن يجد الإنسان في صدره وقلبه ضيقاً وكراهية لنعمة أنعمها الله على عبد من عباده في أي حال له، في جسده أو ماله أو عمله أو مكانته، ويحب زوالها عنه، بل وربما كانت نفسه شريرة وشيطانه يؤزه فيسعى في إزالتها، وحسبك في ذمّه وقبحه أن الله أمر رسوله صلى الله عليه وسلم بالاستعاذة منه ومن شره، قال تعالى: ﴿قل أعوذ برب الفلق ۞ من شر ما خلق ۞ ومن شر غاسق إذا وقب ۞ ومن شر النفاثات في العقد ۞ ومن شر حاسد إذا حسد﴾ (الفلق:٥).

والحسد المذموم مدخل من مداخل الشيطان إلى القلب، فبالحسد لُعن إبليس وجُعل شيطاناً رجيماً، ولقد ذمّ الله الحسد في القرآن الكريم وشدد النكال على من اتصف به، لأن الحاسد في حقيقته يعترض على أقدار الله التي قدرها على عباده، وهو داء عظيم من أصيب به اسودَّ قلبه وتبلد حسه وفتح عينيه على كل صغير وكبير، فلا يبحث عن الخير لنفسه بقدر ما يبحث عن زوال الخير عن الغير، ويسعى في الإفساد والإضرار، فلا هو قانع بما قسم الله له ولا هو راض بما قسم الله لغيره، ومما يدل على تحريمه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب) (رواه أبو داود وابن ماجه). وقوله صلى الله عليه وسلم: (لا يجتمع في جوف عبد الإيمان والحسد) (رواه البيهقي وابن حبان).

والحسد نتيجة من نتائج الحقد، وأثر من آثاره، فإن من يحقد على إنسان يتمنى زوال النعمة عنه، بل يدفعه إلى أن يغتابه في المجالس، ويعتدي على عرضه ويسيئ له ويشهّر به.

والحسد مذموم وصاحبه مغموم، كما قاله القرطبي.

وقال الحسن: ما رأيت ظالمًا أشبه بمظلوم من حاسد؛ نفَس دائم، وحزن لازم، وعبرة لا تنفد.



وقال عبدالله بن مسعود: لا تعادوا نعم الله. قيل له: ومن يعادي نعم الله ؟ قال: الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله.

وقد جاء في بعض الكتب - كما نقله القرطبي- أن الله تعالى قال: الحسود عدو نعمتي متسخط لقضائي غير راض بقسمتي.

وقال منصور الفقيه:

ألا قل لمن ظل لي حاسدا
أتدري على من أسأت الأدب
أسأت على الله في حكمه
إذا أنت لم ترض لي ما وهب

ويقال: الحسد أول ذنب عُصي الله به في السماء، وأول ذنب عصي به في الأرض؛ فأما في السماء فحسد إبليس لآدم، وأما في الأرض فحسد قابيل لهابيل.

ولأبي العتاهية في الناس:

فيا رب إن الناس لا ينصفونني
فكيف ولو أنصفتهم ظلموني
وإن كان لي شيء تصدوا لأخذه
وإن شئت أبغي شيئهم منعوني
وإن نالهم بذلي فلا شكر عندهم
وإن أنا لم أبذل لهم شتموني
وإن طرقتني نكبة فكهوا بها
وإن صحبتني نعمة حسدوني
سأمنع قلبي أن يحن إليهمو
وأحجب عنهم ناظري وجفوني

وقيل: إذا سرك أن تسلم من الحاسد فغم عليه أمرك. أي أخف عليه أمرك وشأنك. وفي بعض الآثار (استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان) خاصة عند وجود خوف وغلبة ظن بحسد.

ولقد أحسن من قال:

اصــبــر عــلــى حــســد الحــســود
فـــــإن صــــــبرك قــاتــلــه
فــالـــنـــار تـــأكـــل بـعـضـهـا
إن لم تجـــد مـــا تــأكــلــه

قال القرطبي قال بعض أهل التفسير في قول الله تعالى: ﴿ربنا أرنا الذين أضلانا من الجن والإنس نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الأسفلين﴾ (فصلت: ٢٩). إنه إنما أراد بالذي من الجن إبليس والذي من الإنس قابيل؛ وذلك أن إبليس كان أول من سن الكفر، وقابيل كان أول من سن القتل، وإنما كان أصل ذلك كله الحسد.

إذا مرض الإنسان أو ابتلي فصبر واحتسب فله أجر ولكن الحسد مرض لا يؤجر عليه صاحبه، وبلاء لا يثاب عليه المبتلى به، بل إن الحاسد في عذاب وحرقة دائمين حتى يموت أو تذهب نعم الناس عنهم.

والعجيب سبحان الله أنه يمكن مصالحة كل أحد إلا الحاسد لأنه لا صلح معه إلا بزوال النعمة، وقد قيل:

وداريت كل الناس لكن حاسدي
مـــداراتـــه عـــزت وعـــز منـالـهـا
فكيف يـداري المرء حاسد نعمة
إذا لم يكن يرضيه إلا زوالها

وقال بعضهم: الحسد ينخر العظم نخراً، ويعيث في الجسم فسادًا،

وقد قيل: لا راحة لحسود فهو ظالم في ثوب مظلوم، وعدو في جلباب صديق. وقد قيل:

لله در الحـــســـد مـــا أعـــدلـــه
بــــدأ بــصــاحــبــه فـقـتـلـه

إخواني وأخواتي، إن العاقل يبتعد عن الحسد طاعة لله وتسليمًا بقضائه وقدره ورحمة بنفسه ونأياً بها عن المرض.

الحاسد كمن يشعل نارًا عظيمة ثم يقتحمها. ولن يجد الحاسد سوى التنغيص والكدر والهم الحاضر وسبب ذلك الحسد الذي يقضي على الراحة والحياة ويحيل حياة الحاسد إلى جحيم لا يطاق. الحاسد غير راض عن القضاء يتهم الباري في العدل ويسيء الأدب

مع الشرع ويخالف منهج محمد صلى اللّه عليه وسلم.

وللحسد أسباب من أعظمها ضعف الإيمان وعدم الرضا بقضاء الله وقدره،

ومن أهم أسبابه: العداوة والبغضاء بين الناس أيًّا كان السبب، ومن أسباب الحسد: التعزز والترفع، فالحاسد لا يقبل أن يرتفع عليه غيره، ومن أسباب الحسد: العجب والكبر وهو احتقار وتنقص عباد الله ؛ لأنهم حصلوا على مالم يحصل عليه، ومن الأسباب: حب الرياسة وطلب الجاه والثناء؛ لأن بعض الناس يريد المدح دائمًا، ومن الأسباب: خبث النفس وحبها للشر وشحها بالخير، فغالبًا ما تجد الحاسد إذا ذكر عنده أحد بخير أو مدحه الناس تلون وجهه وأوغر صدره ولم يطق المكان الذي هو فيه، أما إذا ذكر له أنه حصلت له مشاكل ونكبات دخل السرور عليه، ونشر الخبر في كل مكان، وربما أتى بإشاعات وإضافات وكأنه يأسى لما أصابه وهو في حقيقته يشمت به وتجده يتحدث في صورة ترحم وتوجع له، وهو فرح لما أصابه، وهذا لا شك دناءة وخسة طبع ولؤم.

وكل هذه الأسباب ترجع لإشكال خبث النفس وضعف الإيمان.

ولذلك يعسر معالجة هذا السبب؛ لأن الحاسد ظلوم جهول، وليس يشفي صدره ويزيل حزازة الحسد الكامن في قلبه إلا زوال النعمة عن غيره، فحينئذ قد يتعذر الدواء.

والحسد معصية عظيمة وذنب كبير، وفيه عقوبة من الله، كما أنه يورث البغضاء بين الناس، ويقطع حبل المودة؛ لأن الحاسد يبغض المحسود، وهذا يتنافى مع واجب الأخوة بين المؤمن وأخيه، يقول: (لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، وكونوا عباد الله إخواناً) (متفق عليه).

ومن أضرار الحسد: أنه يحمل الحاسد على محاولة إزالة النعمة عن الحسود بأية طريقة ولو بقتله كما حصل مع ابنَي آدم عندما قتل أحدهما الآخر.

ومن أضراره: أنه يمنع الحاسد من قبول الحق خاصة إذا جاء عن طريق المحسود، ويحمله على الاستمرار في الباطل الذي فيه هلاكه، كما حصل من إبليس لما حسد آدم فحمله ذلك على الفسق على أمر الله والامتناع عن السجود، فسبب له الحسد الطرد من رحمة الله، وكما حصل مع أبي جهل عند بعثة نبينا، وهو موقف اليهود من رسول الله صلى الله عليه وسلم.

كما أنه يحمل الحاسد على الوقوع في الغيبة والنميمة والبهتان وهي من الكبائر، كما يحمله على ارتكاب ما حرم الله في حق أخيه، ويجعله في هم وقلق لما يرى من تنزل فضل الله على عباده وهو لا يريد ذلك ولا يقدر على منعهِ فيبقى مهموماً مغموماً.

فيعيش الحاسد منغص البال، مكدر المزاج، وكله بما جنته يداه.

أومـا رأيـت الـنـار تـأكـل نفسها
حتى تعـود إلى الـرمـاد الـهـامـدِ
تضفو على المحسود نعمةُ ربه
ويـذوب مـن كمـد فـؤاد الحاسد

إضافة إلى أن الحسد له أثر سيئ على المجتمع حيث يحصل فيه التخلخل والتفكك؛ ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: (دب إليكم داء الأمم قبلكم: الحسد، والبغضاء) (رواه البيهقي).

فمن وجد في نفسه شيئاً من ذلك فليتق الله، وليرجع إلى ربه وليقنع بما أعطاه الله، ولا يفتح عينيه على ما منّ به الله على غيره، ولا يجوز له أن يتمنى زوال النعمة عن إخوانه، فإن حدثتك نفسك بهذا فتذكر: قول الله تعالى: ﴿ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله﴾ (فاطر:٤٣).

لا تحسدن عبداً على فضل نعمة
فحسبك عـاراً أن يـقـال حسود

وليعلم المسلم أن الحسد ممقوت، وهو من تتبع الزلات والعورات، وفي الحديث (من تتبع عورة أخيه تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته فضحه ولو في جوف بيته) (رواه الترمذي وأبو داود).

اللهم إنا نعوذ بك من الحسد والكبر والهم، اللهم ارزقنا القناعة بما أعطيتنا ووفقنا لما يرضيك يا ربنا.

وصلى الله على نبينا محمد

والسلام



الحياء

الحياء

قوله تعالى: ﴿إن ذلكم كان يؤذي النبيّ فيستحيي منكم والله لا يستحيي من الحق﴾.

الحَيَاء في اللغة الحشمة، وهو ضد الوقاحة. وقد حيي منه حياء واستحيا واستحى فهو حَيِيٌّ، وهو الانقباض والانزواء (مقاييس اللغة) لابن فارس (١٢٢/٢)، (لسان العرب (٢١٧/١٤)، (المصباح المنير) للفيومي (١٦٠/١).

وأما معنى الحَيَاء في الاصطلاح: فهو: (انقباض النَّفس مِن شيءٍ وتركُه حذرًا عن اللَّوم فيه) (التعريفات) للجرجاني (ص ٩٤).

وقال ابن حجر: (الحَياء: خُلُق يبعث صاحبَه على اجتناب القبيح، ويمنع مِن التقصير في حقِّ ذي الحقِّ) (فتح الباري) لابن رجب (٥٢/١)..

وعلى حسب حياة القلب يكون خُلُقُ الحياء، فكلما كان القلب أكثر حياة كان الحياء فيه أتم.

فالحياء خلق يبعث على فعل كل مليح وترك كل قبيح، والحياء من صفات النفس المحمودة، وهو رأس مكارم الأخلاق، وزينة الإيمان، وشعار الإسلام؛ كما في الحديث: «إنَّ لكلِّ دين خُلُقًا، و خُلُقُ الإسلامِ الحَياءُ»رواه: عبدالله بن عباس و أنس بن مالك وأخرجه الألباني في السلسلة الصحيحة - وقال: صحيح بمجموع طرقه، فالحياء دليل على الخير، وهو المخْبُر عن السلامة، والمجير من الذم. لأنه خلق يبعث على اجتناب القبيح، ويمنع من التقصير في أداء الحقوق لأهلها سواء كانت لله أو لخلقه.

قال وهب بن منبه: الإيمان عُريان، ولباسه التقوى، وزينته الحياء.

ومما جاء في الثناء على الحياء ما رواه أبو قَتَادَةَ أنه قَالَ: كُنَّا عِنْدَ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ فِي رَهْطٍ مِنَّا وَفِينَا بُشَيْرُ بْنُ كَعْبٍ فَحَدَّثَنَا عِمْرَانُ يَوْمَئِذٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (الْحَيَاءُ خَيْرٌ كُلُّهُ، - أَوْ قَالَ -: الْحَيَاءُ كُلُّهُ خَيْرٌ) (١). صحيح مسلم، رقم (١٦٦).

وهذا النص يدل على فضيلة الحياء وعلو منزلته ومكانته في الإسلام.

قال الماوردي- رحمه الله- «اعلم أن الحياء في الإنسان قد يكون من ثلاثة أوجه:

أحدها: حياؤه من الله تعالى.

والثاني: حياؤه من الناس.

والثالث: حياؤه من نفسه.

فأما حياؤه من الله تعالى فيكون بامتثال أوامره والكف عن زواجره، وأما حياؤه من الناس فيكون بكف الأذى وترك المجاهرة بالقبيح، وأما حياؤه من نفسه فيكون بالعفة وصيانة الخلوات، فمتى كمل حياءُ الإنسان من وجوهه الثلاثة، فقد كملت فيه أسباب الخير، وانتفت عنه أسباب الشر، وصار بالفضل مشهوراً، وبالجميل مذكوراً (٣). أدب الدنيا والدين (٣٠٨).

قال أهل العلم: إنما كان الحياء بهذه المنزلة لأنه الداعي إلى سائر شعب الإيمان؛ فإن الْحَيِيّ يخاف فضيحة الدنيا والآخرة فينزجر عن المعاصي ويمتثل الطاعات كلها.

وروى أبوسلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «الحياء من الإيمان والإيمان في الجنة، والبذاء من الجفاء والجفاء في النار» أخرجه الطبراني في معجمه ، والبيهقي في سننه، وأخرجه أحمد والترمذي وقال: حسن صحيح، وأخرجه البخاري في الأدب عن أبي بكرة. صححه الألباني في السلسلة الصحيحة.

المسلم حيي عفيف والحياء خلق له، والحياء من الإيمان، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة فأفضلها لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان» رواه البخاري ومسلم، وسر كون الحياء من الإيمان أن كلا منهما داع إلى الخير صارف عن الشر مُبعد عنه، فالإيمان يبعث المؤمن على فعل الطاعات وترك المعاصي، والحياء يمنع صاحبه من التقصير في الشكر للمنعم ومن التفريط في حق ذي الحق كما يمنع الحيي من فعل القبيح أو قربه اتقاء للذم والملامة، ومن هنا كان الحياء خيراً، ولا يأتي إلا بخير كما صح ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما في الحديث السابق «الحياء لا يأتي إلا بخير»حديث متفق عليه.

وحين يستقر في نفس العبد أن الله تعالى يراه، وأنه سبحانه معه في كل حين، فإنه يستحي من الله أن يراه مقصرًا في فريضة، أو مرتكبًا لمعصية.. قال الله عز وجل: ﴿أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾ (العلق:١٤). وقال جل وعلا: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ

﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ (ق:١٦).

وقال بعض الصحابة: إن معكم مَن لا يفارقكم، فاستحيوا منهم، وأكرموهم.

وقد نبه سبحانه على هذا المعنى بقوله: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۞ كِرَاماً كَاتِبِينَ ۞ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ (الانفطار:١٠- ١٢).

قال ابن القيم رحمه الله: «أي استحيوا من هؤلاء الحافظين الكرام، وأكرموهم، وأجلُّوهم أن يروا منكم ما تستحيون أن يراكم عليه مَنْ هو مثلكم، والملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم، فإذا كان ابن آدم يتأذى ممن يفجر ويعصي بين يديه، وإن كان قد يعمل مثل عمله، فما الظن بإيذاء الملائكة الكرام الكاتبين؟!»

قال بعض الحكماء: من كان الحياء ثوبه لم ير الناس عيبه.

وقيل: حياة الوجه بحيائه كما أن حياة الغرس بمائه.

قال بعض أهل العلم: يا عجباً ! كيف لا تستحي من كثرة ما لا تستحي، وتتقي من طول مالا تتقي ؟!

وقال صالح بن عبد القدوس:

إذا قل ماء الوجه قل حياؤه
ولا خير في وجه إذا قل ماؤه
حياءك فاحفظه عليك وإنما
يدل على فعل الكريم حياؤه

قال الجنيد رحمه الله: الحياء رؤية الآلاء ورؤية التقصير فيتولد بينهما حالة تسمى الحياء، وحقيقته خُلق يبعث على ترك القبائح وبمنع من التفريط في حق صاحب الحق.

ومن كلام الحكماء: أحيوا الحياء بمجالسة من يستحى منه،

وعمارة القلب: بالهيبة والحياء فإذا ذهبا من القلب لم يبق فيه خير.

قال الفضيل بن عياض: خمس علامات من الشقوة: القسوة في القلب، وجمود العين، وقلة الحياء، والرغبة في الدنيا، وطول الأمل.

وقال يحيى بن معاذ: من استحيا من الله مطيعا استحيا الله منه وهو مذنب.

وكان يرحمه الله يقول: سبحان من يذنب عبده ويستحي هو.

إشكال وفائدة:

قال النووي - رحمه الله-»وأما كون الحياء خيراً كله، ولا يأتي إلا بخير فقد يشكل على بعض الناس من حيث إن صاحب الحياء قد يستحيي أن يواجه بالحق من يجلُّه، فيترك أمرَه بالمعروف ونهيَه عن المنكر. وقد يحمله الحياء على الإخلال ببعض الحقوق وغير ذلك مما هو معروف في العادة. وجواب هذا ما أجاب به جماعة من الأئمة منهم الشيخ أبو عمرو بن الصلاح - رحمه الله - أن هذا المانع الذي ذكرناه ليس بحياء حقيقة بل هو عجز وخور ومهانة، وإنما تسميته حياءً من إطلاق بعض أهل العرف أطلقوه مجازاً لمشابهته الحياء الحقيقي، وإنما حقيقة الحياء خلق يبعث على ترك القبيح، ويمنع من التقصير في حق ذي الحق، ونحو هذا»(٤). شرح صحيح مسلم (١١٢/١).

روى شعبة عن منصور بن ربعي عن أبي منصور البدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: يا ابن آدم إذا لم تستحي فاصنع ما شئت»

وليس هذا القولُ.... إغراءً بفعل المعاصي عن قلة الحياء كما قد يتوهمه بعض الجهلة، وفي بيان معناه وردت أقوال لأهل العلم:

- فقال أبوبكر بن محمد الشاشي في أصول الفقه: - معنى هذا الحديث أن من لم يستحي دعاه ترك الحياء إلى أن يعمل ما يشاء لا يردعه عنه رادع، فليستحي المرء فإن الحياء يردعه.
- وقال أبو بكر الرازي من أصحاب أبي حنيفة أن المعنى فيه إذا عُرضت عليك أفعالك التي هممت بفعلها فلم تستحي منها لحسنها وجمالها فاصنع ما شئت منها فجعل الحياء حكماً على أفعاله. وكلا القولين حسن والأول أشبه لأن الكلام خرج عن النبي صلى الله عليه وسلم مخرج الذم لا مخرج المدح، ولكن قد جاء حديث بما يضاهي الثاني وهو قوله صلى الله عليه وسلم: «ما أحببت أن تسمعه أذناك فائته وما كرهت أن تسمعه أذناك فاجتنبه»

ومثله قول الشاعر:

إذا لم تخشى عاقبة الليالي
ولم تستحي فاصنع ما تشاء

فلا والله ما في العيش خير
ولا الدنيا إذا ذهب الحياء

يعيش المرء ما استحيا بخير
ويبقى العود ما بقي اللحاء

وقال أهل العلم: ليكن استحياؤك من نفسك أكثر من استحيائك من غيرك.

وقال غيره: من عمل في السر عملاً يستحي منه في العلانية، فليس لنفسه عنده قدر.

وفي بيان حقيقة الحياء وما ينبغي أن يكون عليه المسلم يوصي النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه فيقول: «استحيوا من الله حق الحياء. فقالوا: يا رسول الله! إنا نستحي. قال: ليس ذاكم، ولكن من استحيا من الله حق الحياء فليحفظ الرأس وما وعى، والبطن وما حوى، وليذكر الموت والبلى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء».

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: لا خير فيمن لا يستحي من الناس.

وقال مجاهد: لو أن المسلم لم يصب من أخيه إلا أن حياءه منه يمنعه من المعاصي لكفاه.

وقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم هذا الحياء حَكَمًا على أفعال المرء وجعله ضابطًا وميزانًا، فقال: «ما كرهت أن يراه الناس منك، فلا تفعله بنفسك إذا خلوت»رواه أسامة بن شريك وأخرجه السيوطي في الجامع الصغير وقال: صحيح، وفي لفظ» ما كرهتَ أن يراهُ الناسُ فلا تفعلهُ إذا خلوتَ»قال الألباني: في السلسلة الصحيحة: حسن لغيره.

.......ومما اشتهر بين الناس قولهم لا حياء في الدين وهذا ليس حديثا بل هو من كلام الناس والدين فيه خلق الحياء كما مر ولذا فالأولى أن يُستبدل باللفظ الشرعي، وهو قول أم سلمة رضي الله عنها حيث قالت: يا رسول الله إن الله لا يستحيي من الحق.

أو يقال: لا حياء في معرفة أحكام الدين، والله أعلم.

اللهم ارزقنا الحياء منك حق الحياء، وارزقنا خشيتك في السر والشهادة.


خيانة
الأمانة

خيانة الأمانة

قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون﴾ (الأنفال ٢٧)

ويقول تعالى: ﴿وإن يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل فأمكن منهم﴾ (الأنفال ٧١)

قال ابن كثير: (الخيانة تعم الذنوب الصغار والكبار، ونقل عن ابن عباس في معنى الأمانة أنه قال: الأعمال التي أؤتمن عليها العباد. (تفسير ابن كثير٢ /٢٨٨). وعليه..... فإن المعنى أن التقصير في تلك الأعمال وعدم أدائها كما شرع الله خيانة.

وقال صلى الله عليه وسلم في الأمر بردها: (أد الأمانة إلى من ائتمنك، ولا تخن من خانك). (رواه أبو داود برقم ٣٥٣٤ والترمذي برقم ١٢٦٤ وقال هذا حديث حسن غريب).

وقال صلى الله عليه وسلم في ذم الخيانة: (آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان). (رواه البخاري برقم ٣٣ومسلم برقم ٥٩).

والخيانة كبيرة من الكبائر: قال الذهبي في كتابه (الكبائر) الكبيرة الرابعة والثلاثون: الخيانة: والخيانة في كل شيء قبيحة، وبعضها شر من بعض، وليس من خانك في فلس كمن خانك في أهلك ومالك، وارتكب العظائم. وقال صلى الله عليه وسلم: (لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له). (رواه أحمد ٣/١٣٥).

والخيانة......من أخلاق اليهود. فمن يرضى بالتشبه بهم أو يكون فيه شيء من طبعهم، قال جلَّ وعلا في اليهود: ﴿وَلا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِنْهُمْ﴾ (المائدة: ١٣).

وللخيانة صور كثيرة منها التقصير فيما أوجب الله، والخيانة للدين وأهله، وكل ما عظم أثر الخيانة وضررها كان الذنب أعظم والجرم أكبر.

ومن صور الخيانة: إذا عهد إنسان إلى آخر بسرٍ وأتمنه عليه، ثم يقوم الأخير بإفشائه فقد خان الأمانة.

ومن صور الخيانة خيانة الشريك لشريكه، فإن الشريك والشركاء يجب أن يؤدوا الأمانة



كل منهم لصاحبه ولشريكه قال صلى الله عليه وسلم: «قال الله عز وجل أنا ثالث الشريكين ما لم يخن أحدهما الآخر، فإذا خان أحدهم الآخر رفعت يدي وجاء الشيطان». فالخيانة هنا سبب لمحق البركة وفساد الشركة والخلطة، وإضرار بالعمل مهما كان، تجارياً أو غيره، ولعل هذا يفسر إخواني وأخواتي ما يقع من خسائر وفساد وأضرار للشركات والأعمال.

ومن صور الخيانة إذا أودع إنسانٌ آخر وديعة من مال أو متاع أو غيره على سبيل الأمانة فأهملها، أو لم يحفظها فقد خان الأمانة.

وإذا عاهد إنسان آخر عهدًا فنقضه فقد خان الأمانة.

والخيانة خلق رذيل، وتصرف قبيح، ودناءة نفس، ووضاعة خلق، وهي تدل على ضعف الإيمان، وقلة الخوف من الجبار، وضعف مراقبته تعالى.

والخائن بغيض إلى الله بغيض إلى الناس، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ (الحج: ٣٨). ومن كان كذلك فأنى له القبول لا في الدنيا ولا في الآخرة.

الخائن يعرّض نفسه لهتك ستره وافتضاح أمره، فهو لا يستحق أن يدافع عنه أحد أو يجادل عنه، قال تعالى: ﴿وَلا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيماً﴾ (النساء: ١٠٥). فهذا نهي صريح عن عدم المدافعة أو المساندة للخائنين، وهذا توجيه لإخواننا المحامين متى علموا أن من يطلب منهم أن يترافعوا عنه من الخائنين ألا يفعلوا؛ لهذا النهي الصريح.

وإذا أخفى الخائن عن الناس خيانته وغدره، ووجد في الدنيا من يجادل عنه، فكيف يكون حالُه وموقفُه يوم تُبلى السرائر، قال تعالى: ﴿هَاأَنْتُمْ هَؤُلاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً﴾ (النساء:١٠٩).

وليعلم الخائن أن سعيه وكيده مهما حاول واجتهد وعمل فإنه إلى بوار ولو علم ذلك من يقع في الخيانة لارتدع وامتنع، ولكنه الشيطان وتلبيسه وتدليسه وتزيينه، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾ (يوسف: ٥٢). فكيف يُهدَى من أضل الله؟ بل كيف يرجو التوفيق وصلاح الحال وقد كتب الله عليه الضلال والوبال؟

حين ترى أنه يؤتمن الخائن، ويخوَّن الأمين، ويقع مثل هذا فاعلم أنه قد جاءت على الناس السنون الخداعة التي حذر منها رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بقوله: (إنَّها

ستَأتي على الناسِ سُنونٌ خَدَّاعَةٌ يُصَدَّقُ فيها الكاذبُ ويُكَذَّبُ فيها الصادقُ ويؤتَمَنُ فيها الخائنُ ويُخَوَّنُ فيها الأمينُ ويَنطقُ فيها الرُّوَيبِضَةُ قيل وما الرُّوَيبِضَةُ قال السَّفيهُ يتكَلَّمُ في أمرِ العامَّةِ) رواه أبو هريرة وَأخرجه الإمام أحمد، في مسنده قال أحمد شاكر: إسناده حسن ومتنه صحيح.

ولأن الخيانة داء عضال، وشر مستطير وبلاء عظيم، فقد كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يتعوذ بالله منه: يقول عليه الصلاة والسلام: (اللَّهمَّ إنِّي أعوذُ بِكَ منَ الجوعِ فإنَّهُ بئسَ الضَّجيعُ وأعوذُ بِكَ منَ الخيانةِ فإنَّها بئسَتِ البطانةُ) رواه أبو هريرة، وأخرجه النووي، وقال: إسناده صحيح. (تحقيق رياض الصالحين)

وما من عبد يخون إلا أوقف يوم القيامة وفُضح وشُهّر به، حيث تُرفع راية له يقال: هذه غدرة فلان، فأي فضيحة أعظم من هذه؟ وهذه العقوبة متجانسة مع خبث عمله، فلما كان الخائن يتخفى ليفعل الخيانة ولا يشعر به أحد، ويظن أنه لن يعلم به أحد، فإنه سيفتضح أمره ويشهر به في يوم القيامة براية على مؤخرته، ويقال: هذه غدرة فلان، جزاء له مقابل خيانته. نعوذ بالله من ذلك. ونسأل الله الستر في الدنيا والآخرة.

وأخبر صلى الله عليه وسلم أن الخيانة تنتشر بين الناس بعد القرون المفضلة فقال عليه الصلاة والسلام: «خيرُ أُمَّتي قَرْني، ثُمَّ الذين يَلُونَهُمْ، ثمَّ الذين يَلُونَهُمْ - قال عِمْرانُ: فلَا أَدْري أذَكَرَ بعدَ قَرْنه قَرْنَيْنِ أَوْ ثلاثًا - ثُمَّ إنَّ بعدَكُمْ قومًا يشْهَدُونَ ولَا يُسْتَشْهَدُونَ، ويخونونَ ولَا يُؤْتَمَنُونَ، وينذُرونَ ولَا يُوَفُّونَ، ويَظْهَرُ فيهم السِّمَنُ»رواه عمران بن الحصين، وأخرجه البخاري في صحيحه.

وأخبر صلى الله عليه وسلم أن الخائن لا تجوز شهادته فقال:«لا تجوز شهادة خائن ولا خائنة، ولا ذي غِمر على أخيه، ولا تجوز شهادة القانع لأهل البيت، والقانع الذي ينفق عليه أهل البيت. وفي لفظ شهادة الخائن والخائنة» رواه جد عمرو بن شعيب والحديث ثابت. وفي رواية «أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ ردَّ شهادةَ الخائنِ والخائنةِ وذي الغِمْرِ على أخيهِ وردَّ شهادةَ القانعِ لأهلِ البيتِ وأجازَها على غيرِهم» أخرجه أحمد في المسند وقال أحمد شاكر: صحيح.

الخيانة لها أثر سيئ على المسلم فيما بينه وبين ربه، ومع نفسه، ومع أهله، ومع عباد الله،

ومع المجتمع كله، فالمؤمنُ أمين وذو دين، بعيد عن الخيانة، ففي الحديث عن أنس رضي الله عنه»خطَبَنا رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم فقال في الخُطبةِ: (لا إيمانَ لِمَن لا أمانةَ له ولا دينَ لِمَن لا عهدَ له)أخرجه ابن حبان في صحيحه، وصححه.

والله تعالى يقول: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ (المؤمنون: ٨).

وتأملوا في آثار وأضرار الخيانة، فبسببها فسدت العلائق، وتقطعت أواصر الأخوة والصداقة، ووقع الضرر بالمجتمع، بل إن الخيانة كانت سبباً في سقوط دولة الخلافة الإسلامية، وبأسبابها تمزقت بلاد المسلمين، وبالخيانة يفقد الخير وينقطع المعروف، وتفقد الثقة، وبالخيانة تقع الشرور والنزاعات والخلافات والقطيعة، والحروب.

والخيانة متى ظهرت آذنت بالخراب، فلا يأمن أحد أحدًا، ويحذر كلُ أحد من الآخر، فلا يأمن صديقٌ صديقه، ولا زوجٌ زوجه، ولا أبٌ ولده، وترحل الثقة والمودة الصادقة فيما بين الناس، وقد جاء في الحديث: »تَكونُ فتنةٌ النَّائم فيها خيرٌ منَ المضطَّجَع، والمضَّطَجِعُ فيها خيرٌ منَ القاعد، والقاعدُ فيها خيرٌ منَ القائم، والقائمُ خيرٌ منَ الماشي، والماشي خيرٌ منَ الرَّاكِب، والرَّاكِبُ خيرٌ منَ المجري قتلاها كلُّها في النَّارِ. قال: قلتُ يا رسولَ اللَّهِ، ومتى ذلكَ؟ قال: ذلكَ أيَّامَ الهرْجِ. قلت: ومتى أيَّامُ الهرْجِ؟ قال: حينَ لا يأمنُ الرَّجلُ جليسَهُ. قال: فبمَ تأمرُني إن أدرَكْتُ ذلكَ الزَّمانَ؟ قال: اكْفُفْ نفسَكَ ويدَكَ، وادخل دارَكَ. رواه عبدالله بن مسعود، قال الألباني: في السلسلة الصحيحة: إسناده صحيح.

وبالخيانة ينقطع المعروف فيما بين الناس مخافة الغدر والخيانة، ويروى في قصص العرب أن رجلاً كانت عنده فرس معروفه بأصالتها، سمع بها آخر فأراد أن يسرقها، واحتال لذلك بأن أظهر نفسه بمظهر المنقطع في الطريق عند مرور صاحب الفرس، فلما رآه نزل إليه وسقاه ثم حمله وأركبه فرسه، فلما تمكن منه أناخ بها جانبا وقال له: الفرس فرسي وهي لي، فقال له صاحب الفرس: لي طلب عندك، قال: وما هو؟ قال: إذا سألك أحد: كيف حصلت على الفرس؟ فلا تقل له: احتلت بحيلة كذا وكذا، ولكن قل: صاحب الفرس أهداها لي، فقال الرجل: لماذا؟! فقال صاحب الفرس: حتى لا ينقطع المعروف بين الناس، لأنه لو علم الناس أنه سرق بهذه الحيلة فإنه إذا مرّوا بمنقطع حقيقة سيقولون: لا تساعِدوه لأنه قد يغدر.

بل إن العرب قبل الإسلام وهم في الجاهلية يرون في خيانة الوطن جرما يستحق صاحبه الرجم، فقد جاء في سيرة ابن هشام رحمه الله أن أبرهة بنى كنيساً وأراد أن يصرف العرب إليها، فذهب إليه رجل من العرب وقضى حاجته فيه ولوثه، فعزم أبرهة على هدم الكعبة انتقاما لذلك، وسيّر لذلك جيشا وخرج معه بالفيل، حتى وصل الطائف فخرج إليه مسعود بن متعب فقال له: أيها الملك، إنما نحن عبيدك سامعون لك مطيعون، ونحن نبعث معك من يدلك، فبعثوا معه أبا رغال يدله على الطريق إلى مكة، وفي الطريق مات أبو رغال فرجمت العرب قبره. فهو قبره الذي يرجم الناس بالمغمّس.

فالخيانة تأنفها القلوب السوية، والنفوس الرضية، ولا تألفها إلا النفوس الدنية بل لا يقع فيها إلا من كانت نفسه وضيعة، وسقطت قيمته أمام نفسه قبل الناس، نعوذ بالله من حال السوء.

اللهم أعنا على أداء الأمانة. وجنبنا الخيانة ما ظهر منها وما بطن.

وصلى الله على نبينا محمد...

والسلام.....


الرحمة

الرحمة

قال الله تعالى: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾.

وقال سبحانه: ﴿ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾.

وقال عز وجل: ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾.

وفي البسملة ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

الرحمة........تعني إرادة إيصال الخير للغير.

وهي رقّة تقتضي الاحسان إلى الْمَرْحُومِ.

والرحمة إنعام وإفضال وإحسان.

والتراحم بين الخلق يعني نشر الرحمة بينهم، وهي قدر يفوق التآزر والتعاطف والتعاون، ويزيد على بذل الخير والمعروف والإحسان للآخرين.

يكفي الرحمةَ شرفًا وقدرًا أنها صفة من صفات الله عز وجل، يتضمنها اسمه سبحانه: الرحمان، واسمه: الرحيم. فهو رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما.

ومن فضل الله ورحمته (أن رحمته سبقت غضبه) فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لما قضى الله الخلق كتب في كتابه فهو عنده فوق العرش إن رحمتي غلبت غضبي) صحيح البخاري ج ٣/ ص ١١٦٦- صحيح مسلم ج٤/ص ٢١٠٧

ومن فضل الله ورحمته أن رحمته وسعت كل شيء كما قال تعالى: ﴿ورحمتي وسعت كل

شيء﴾

قال الحسن وقتادة، في قوله تعالى: ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾: وسعت في الدّنيا البرّ والفاجر، وهي يوم القيامة للّذين اتّقوا خاصّة.

وفي الصحيحين عَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبْيٌ، فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّبْيِ قَدْ تَحْلُبُ ثَدْيَهَا تَسْقِي، إِذَا وَجَدَتْ صَبِيًّا فِي السَّبْيِ أَخَذَتْهُ، فَأَلْصَقَتْهُ بِبَطْنِهَا وَأَرْضَعَتْهُ، فَقَالَ لَنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَتُرَوْنَ هَذِهِ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ» قُلْنَا: لاَ، وَهِيَ تَقْدِرُ عَلَى أَنْ لاَ تَطْرَحَهُ، فَقَالَ: «لَلَّهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا».

وفي صحيح البخاري وغيره عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ كِتَابًا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الخَلْقَ: إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي، فَهُوَ مَكْتُوبٌ عِنْدَهُ فَوْقَ العَرْشِ» .

وكل رحمة في الوجود إنما هي من رحمة الله عز وجل.

ففي صحيح مسلم عَنْ سَلْمَانَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- « إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ مِائَةَ رَحْمَةٍ كُلُّ رَحْمَةٍ طِبَاقَ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ فَجَعَلَ مِنْهَا فِى الأَرْضِ رَحْمَةً فَبِهَا تَعْطِفُ الْوَالِدَةُ عَلَى وَلَدِهَا وَالْوَحْشُ وَالطَّيْرُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَكْمَلَهَا بِهَذِهِ الرَّحْمَةِ ».

وفي صحيح مسلم أيضًا عن أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يَقُولُ « جَعَلَ اللَّهُ الرَّحْمَةَ مِائَةَ جُزْءٍ فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ وَأَنْزَلَ فِي الأَرْضِ جُزْءًا وَاحِدًا فَمِنْ ذَلِكَ الْجُزْءِ تَتَرَاحَمُ الْخَلاَئِقُ حَتَّى تَرْفَعَ الدَّابَّةُ حَافِرَهَا عَنْ وَلَدِهَا خَشْيَةَ أَنْ تُصِيبَهُ ».

قال ابن الأثير- رحمه الله تعالى-: في أسماء الله تعالى «الرّحمن الرّحيم» هما اسمان مشتقّان من الرّحمة، مثل ندمان ونديم. وهما من أبنية المبالغة ورحمن أبلغ من رحيم. والرّحمن خاصّ بالله لا يسمّى به غيره، ولا يوصف. والرّحيم يوصف به غير الله تعالى، فيقال: رجل رحيم، ولا يقال رحمن. والرّحمة من صفات الذّات لله تعالى والرّحمن وصف، وصف الله تعالى به نفسه وهو متضمّن لمعنى الرّحمة.

والرحمة...صفة من صفات النبيين والصالحين:

قال سبحانه وتعالى واصفاً نبي الرحمة: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾.

وقال عز وجل: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ۞ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ (التوبة: ١٢٨، ١٢٩).

وقال تعالى: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا أيها الناس إنما أنا رحمة مهداة» . أخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي.

وعن أبي هريرة- رضي الله عنه- أنّه قال: قيل: يا رسول الله، ادع على المشركين. قال: «إنّي لم أبعَث لعّانا، وإنّما بعثت رحمة».

وعن عائشة -رضي الله عنها- زوج النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم أنّها قالت للنّبيّ صلّى الله عليه وسلّم: هل أتى عليك يوم كان أشدّ من يوم أحد؟. قال: «لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشدّ ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد يا ليل بن عبد

كِلال، فلم يجبني إلى ما أردت فانطلقت. وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلّا وأنا بقرن الثّعالب، فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلّتني فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني، فقال: إنّ الله قد سمع قول قومك لك وما ردّوا عليك، وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم. فناداني ملك الجبال فسلّم عليّ، ثمّ قال: يا محمّد، فقال: ذلك فيما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين، فقال النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم: «بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله لا يشرك به شيئا».

وأثنى الله تعالى على رسوله الكريم وصحابته فوصفهم بالتراحم بينهم، فقال سبحانه: ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَماءُ بَيْنَهُمْ تَراهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْواناً سِيماهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ﴾.

ولعلك تلحظ أن اللهُ - سُبحانَهُ - قَدِّمُ الوصف بِالتَّراحُم عَلَى الوصف بِالرُّكوع والسُّجود، ولعل السبب في ذلك أن يُبَيِّنَ للأُمّة أنه لا خَيرَ في أُناسٍ يَركَعونَ ويَسجُدونَ، فإذا خَرَجوا من مَساجِدِهم تَشاحُّوا وتَظالَموا، ولم يَتَسامَحوا بَينَهُم ولم يَتَراحَموا، فإن من وقع في ذلك لَيسَ عَلَى هَديِ محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه ولا على سَبيلِهم، ولعل مما يشهد لهذا قوله -صلى الله عليه وسلم-: «لَيسَ مِنّا مَن لم يَرحَمْ صَغيرَنا ويَعرِفْ حَقَّ كَبيرِنا» .

الرحمة....ركيزة من أهم الركائز التي يقوم عليها المجتمع المسلم بجميع أفراده، يستشعرون من خلالها معنى الوحدة والألفة، فيصيرون كالجسد الواحد، الذي يشتكي إذا اشتكى أحد أعضائه، ويتألم إذا تألم.

والمؤمن لا يكون إلا رحيمًا بعباد الله، شفوقًا عليهم، محبًّا لهم، يحب لهم ما يحب لنفسه، ويكره لهم ما يكره لنفسه.

والمؤمن لا يكون متجبرًا ولا متكبرًا، ولا يكون من أهل القلوب القاسية، التي لا تشفق ولا ترحم ولا تلين.

وأولى الخلق برحمتك نفسك التي بين جنبيك بأن تجتهد في إنقاذها من النار ثم مَن ولاك الله إياه من ولد وزوجة كما قال تعالى: ﴿يا أيها الذين أمنوا قوا انفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة﴾

ثم الرحمة بالوالدين: فهم أحوج الناس إلى رحمتك وشفقتك وإحسانك وبرّك: قال سبحانه: ﴿واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرًا﴾.

يحتاج الوالدان إلى رحمة خاصة عند المشيب والكبر، إذا خارت قواهما قال سبحانه: ﴿ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾.

يحتاج الوالدان إلى رحمة الأولاد بعد موتهما بدعوة صالحة، أخرج مسلم في صحيحه عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ « إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاَثَةٍ إِلاَّ مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ».

وأخرج الإمام أحمد في مسنده وابن ماجة في سننه - واللفظ له - عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَتُرْفَعُ دَرَجَتُهُ فِي الْجَنَّةِ فَيَقُولُ أَنَّى هَذَا فَيُقَالُ بِاسْتِغْفَارِ وَلَدِكَ لَكَ ».

يحتاج الوالدان لرحمة بالتصدق عليهما بعد مماتهما؛ ففي الصحيحين عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ أُمِّي افْتُلِتَتْ نَفْسُهَا، وَأَظُنُّهَا لَوْ تَكَلَّمَتْ تَصَدَّقَتْ، فَهَلْ لَهَا أَجْرٌ إِنْ تَصَدَّقْتُ عَنْهَا؟ قَالَ: «نَعَمْ».

ومن الرحمة الرحمة بالضعفاء والفقراء. فمن شعائر الإسلام العظيمة: إطعام الطعام،

والإحسان إلى الفقراء والأرامل والأيتام، أخرج البخاري ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «السَّاعِي عَلَى الأَرْمَلَةِ وَالمِسْكِينِ، كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوِ القَائِمِ اللَّيْلَ الصَّائِمِ النَّهَارَ».

ومن الرحمة التي جاء بها الإسلام وأمر بها الرحمة بالحيوان، فالرحمة في الإسلام لم تقتصر على الإنسان بل حتى الحيوان الذي يتشدق غير المسلمين بوجود جمعيات للرفق به وما ذاك إلا لما وقع لديهم من ظلم وقسوة وتجاوز على الحيوان بل وعلى الإنسان قبل الحيوان.

الرحمة بالحيوان من أعظم أبواب مغفرة الذنوب ؛ ففي الصحيحين عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بَيْنَمَا كَلْبٌ يُطِيفُ بِرَكِيَّةٍ، كَادَ يَقْتُلُهُ العَطَشُ، إِذْ رَأَتْهُ بَغِيٌّ مِنْ بَغَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَنَزَعَتْ مُوقَهَا فَسَقَتْهُ فَغُفِرَ لَهَا بِهِ».

وقال - صلى الله عليه وسلم -: (بينا رجلٌ يمشي، فاشتد عليه العطش، فنزل بئرًا فشرب منها ثم خرج، فإذا هو بكلبٍ يلهث، يأكل الثرى من العطش! فقال: لقد بلغ هذا مثل الذي بلغ بي! فملأ خفَّه، ثم أمسكه بفيه، ثم رقى فسقى الكلب؛ فشكر الله له؛ فغفر له)!! قالوا: يا رسول الله، وإن لنا في البهائم أجرًا ؟ قال: (في كل كبدٍ رطبةٍ أجر)؛ رواه البخاري.

ونهى - صلى الله عليه وسلم - أن تُجعل الطُّيور وغيرها من ذوات الروح هدفًا للرَّمي بالسِّهام وغيرها من الأسلحة؛ فقال - صلى الله عليه وسلم -: (لا تتخذوا شيئًا فيه الروح غرضًا)؛ رواه مسلم؛ أي: لا تتخذوا الحيوان الحي غرضًا ترمون إليه.

ونهى - صلى الله عليه وسلم - أن تصبر البهائم؛ قال العلماء: «صبر البهائم: أن تحبس وهي حية، لتُقتل بالرمي ونحوه».

وقال - صلى الله عليه وسلم -: (دخلت امرأةٌ النار في هرَّةٍ ربطتها، فلم تطعمها، ولم تدعها

تأكل من خشاش الأرض!)؛ رواه البخاري.

ومرَّ رسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - ببعيرٍ قد لحق ظهره ببطنه؛ فقال: (اتقوا الله في هذه البهائم المعجمة؛ فاركبوها صالحةً وكلوها صالحةً)؛ رواه أبو داود.

الرحمة الرحمة؛ فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء الرحم شجنة من الرحمن فمن وصلها وصله الله ومن قطعها قطعه الله) رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح.

وعن أبي هريرة قال سمعت أبا القاسم صلى الله عليه وسلم يقول: (لا تُنزع الرحمة إلا من شقي) رواه الترمذي وقال حديث حسن.

اللهم اجعلنا من عبادك الرحماء واشملنا بعفوك ورحمتك وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

وصل اللهم على نبينا محمد


الرؤى
والأحلام

الرؤى والأحلام

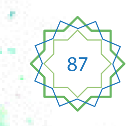
﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ ۞ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ﴾

الرؤى والأحلام أمر فطري يقع للنائم ولكن مما ينبغي التنبيه عليه ألا تعطى الرؤى أكثر مما ينبغي وألا يتعلق المرء بها وألا يشغله الأمر لدرجة أن يرتب أموره على ما يتوهمه فيها.

ومما يجب التنبه له والتنبيه عليه أيضًا أن الغيب وما يكون في المستقبل مما استأثر الله تعالى بعلمه، وحجبه عن خلقه كما قال تعالى: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ (النمل ٦٥)، وقال سبحانه ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ﴾ (آل عمران ١٧٩). وقال جل وعلا ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ (الأنعام ٥٩)، وقال عز من قائل: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (هود ١٢٣)، لما كان الأمر كذلك، وكان أمر الغيب مطوياً عن الخلق، فإنه ينبغي عدم الركون والتصديق الجازم بما يمكن أن يكون من تعبير الرؤى وتفسيرها، فإن المفسر مهما بلغ من العلم والزهد وحسن التأمل والنظر وسلامة القصد فإنه يقول برأيه مجتهداً لا عن يقين ولا يمكن الجزم بصحة قوله وتفسيره وتعبيره.

ومما يؤسف له أن بعض الناس ممن يمارس تفسير الأحلام يريد أن يلبس نفسه القدرة



على معرفة ما يكون من أمور الغيب فزين لهم الشيطان أعمالهم فحسنت في أعينهم، فضلوا وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل.

وليس كل ما يراه النائم رؤيا حق فمنها حديث نفس ومنها ما هو من الشيطان، ومنها الرؤيا الحق، ففي الحديث: (عن عوف بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (الرؤيا ثلاثة: منها أهاويل من الشيطان ليحزن بها ابن آدم، ومنها ما يهم به الرجل في يقظته فيراه في منامه، ومنها جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة) رواه ابن ماجة.

قال البغوي رحمه الله: في هذا الحديث بيان أنه ليس كل ما يراه الإنسان في منامه يكون صحيحًا ويجوز تعبيره، إنما الصحيح منها ما كان من الله عز وجل، وما سوى ذلك أضغاث أحلام لا تأويل لها.

والناس يتفاوتون في الرؤيا؛ فرؤيا الأنبياء حق، وكذا الصالحون فغالب رؤياهم صادقة، كما أن المستور من المسلمين ومن لم يظهر عليه الفسق، وهؤلاء تستوي في رؤياهم الصدق أو الأضغاث، وأما الفاسق ومن غلب عليه الكذب فغالب رؤياهم الكذب وأضغاث أحلام.

وما يراه النائم فيه ما هو صدق وفيه ما يسمى بالأحلام، أو أضغاث الأحلام، فالرؤيا والحلم كلاهما يراهما النائم، ولكن غلبت الرؤيا على ما يراه من الخير والشيء الحسن، وغلب الحلم على ما يراه من الشر والسوء أو الأضغاث، قال صلى الله عليه وسلم (الرؤيا من الله والحلم من الشيطان) رواه ابن ماجه.

وقد وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم عند رؤية الحلم أو رؤية ما يكره بقوله: (إذا رأى ما يكره فليتعوذ بالله من شرها ومن شر الشيطان، وليتفل عن يساره ثلاثاً، ولا يحدث بها أحداً، فإنها لن تضره) أخرجه الشيخان. وفي رواية عند مسلم أيضًا قال أبو سلمة: إن كنت لأرى الرؤيا أثقل عليّ من جبل، فما هو إلا سمعت بهذا الحديث، فما أباليها. وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إذا رأى أحدكم الرؤيا يكرهها،

فليبصق عن يساره ثلاثاً، وليستعذ بالله من الشيطان ثلاثاً، وليتحول عن جنبه الذي كان عليه) أخرجه مسلم. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا رأى أحدكم الرؤيا تسوؤه فلا يذكرها ولا يفسرها) وفي لفظ (إذا رأى الرؤيا القبيحة فلا يفسرها ولا يخبر بها أحدًا) أخرجه ابن عبد البر رحمه الله، وقال صلى الله عليه وسلم: (إذا رأى أحدكم ما يكره فليقم فليصل ولا يحدث به الناس) أخرجه مسلم.

ويُستفاد من تلك الأحاديث عند رؤية ما يكره:

١. أن يتعوذ بالله من شر ما رأى ثلاث مرات.

٢. أن يتعوذ بالله من شر الشيطان ثلاث مرات.

٣. أن يتفل عن يساره ثلاث مرات.

٤. أن يتحول من الجنب الذي كان عليه.

٥. أن لا يُحدّث بها أحداً.

٦. أن لا يطلب تفسيرها أو يخبر بها.

٧. أن يسأل الله من خيرها.

٨. أن يعتقد أنها لن تضره.

٩. أن يصلي عقبها.

وإن رأى ما يحب فقد جاء في الحديث كما روى البخاري من حديث أبي سعيد الخدري أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (إذا رأى أحدكم رؤيا يحبها، فإنما هي من الله،

فليحمد الله عليها، وليحدث بها.) وروى مسلم من حديث أبي قتادة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (فإن رأى رؤيا حسنة فليبشر، ولا يخبر إلا من يحب) قال رسول صلى الله عليه وسلم: (إذا رأى أحدكم رؤيا يحبها فإنما هي من الله فليحمد الله عليها وليحدث بها) أخرجه البخاري، وعند مسلم، (ولا يخبر إلا من يحب) وقال صلى الله عليه وسلم: (إذا رأى أحدكم الرؤيا الحسنة فليفسرها وليخبر بها) رواه ابن عبد البر.

فيُستحب لمن رأى رؤيا صالحة:

١. أن يحمد الله عليها.

٢. وأن يستبشر بها.

٣. وأن يحدث بها من يحب

ومن الخطورة أن يستوضح صاحب الرؤيا أو يطلب تأويلها من أي أحد؛ فقد تكون سبباً في هلاكه أو وقوع الضرر به، فعليه ألا يسأل إلا من يثق بعلمه ودينه، ولذلك قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: (الرؤيا تقع على ما تعبر، ومثل ذلك مثل رجل رفع رجله فهو ينتظر متى يضعها، فإذا رأى أحدكم رؤيا فلا يحدث بها إلا ناصحاً أو عالماً) رواه الحاكم.

ومما ينبغي أن يحذر منه صاحب الرؤيا الكذب أو التزيد عندما يقص رؤياه على أحد، ففي ذلك إثم عظيم، كما قال صلى الله عليه وسلم: (من تحلم بحلم لم يره كُلّف (أي: يوم القيامة) أن يعقد بين شعيرتين ولن يفعل)، وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من أفرى الفرَى أن يري عينه ما لم تر) أخرجهما البخاري.

قال الطبري: (إنما اشتد فيه الوعيد مع أن الكذب في اليقظة قد يكون أشد مفسدة منه؛ لأن الكذب على الله أشد من الكذب على المخلوقين، لقوله تعالى: ﴿ويقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم﴾ (هود ١٨)، ا هـ. وقد ذكر الحافظ ابن حجر رحمه الله أن الكذب

في الرؤيا من أعظم الأكاذيب.

وأنبّه هنا- إخواني وأخواتي- بأن من أعظم ما ينبغي التأكيد عليه هو عدم التعلق بالرؤى والمسارعة إلى تصديقها واستظهار الغيب بها، ولا يخفى على أحد ما ابتليت به الأمة في هذا الزمان من تعلق الناس بالرؤى، وكثرة المتصدين للتعبير وغالبهم جهلة ومستغلين ومنتفعين، وفي هذا تهوك وتقول على الله بغير علم وفيه خطر على الدين، وتوريط للمسلمين.

كان ابن سيرين رحمه الله: يُسأل عن مائة رؤيا فلا يجيب فيها بشيء إلا أنه يقول: اتق الله وأحسن في اليقظة فإنه لا يضرك ما رأيت في النوم، وكان يجيب في خلال ذلك ويقول: إنما أجيب بالظن، والظن يخطيء ويصيب.

وأختم بوصية لمن يتصدى للتعبير فقد قال ابن القيم رحمه الله: المفتي والمعبر والطبيب يطلعون من أسرار الناس وعوراتهم ما لا يطلع عليه غيرهم، فعليهم استعمال الستر فيما لا يحسن إظهاره.

أسأل الله أن يحفظنا وإياكم وأن يعصمنا وإياكم عما يغضبه وأن ييسر لنا ولكم كل خير.

وصلى الله على محمد وآله وصحبه



السحر

السحر

قال تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ١٠٢).

جاء في تفسير أول الآية أن السحر كان قد فشا في زمن سليمان عليه السلام، وزعم الكهنة أن الجن تعلم الغيب، وأن السحر هو علم سليمان، وادعت ذلك اليهود، وقالوا: ما تم ملكُه إلا بسحرة الإنس والجن والطير والريح، فرد الله سبحانه عليهم مبرئاً نبيه سليمان من ذلك، وذلك بقوله: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا﴾.

وأما «هاورت وماروت» فهما من الملائكة، لا من البشر. وهما مرسَلان من الله؛ تعليماً لأناس شيئاً يقيهم من الشر، لا أنها معاقبان على ذنب.

فمن ادَّعى أنهما من البشر، أو أنهما ملكان وقعا في معصية فمسخهما الله تعالى: فقد تكلم في أمر الغيب بلا علم، وادعى أمرًا يَتنقص به ملائكةَ الرحمن المكرمين، واعتقدَ بما في كُتب بني إسرائيل، بغير شاهد صدق له من الوحي المعصوم.

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي - رحمه الله -:

وكذلك اتبع اليهودُ السحرَ الذي أُنزل على الملَكين، الكائنين بأرض «بابل» ، من أرض العراق، أنزل عليهما السحر؛ امتحاناً وابتلاءً من الله لعباده، فيعلمانهم السحر.

﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى﴾ ينصحاه، و ﴿يَقُولا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ﴾ أي: لا تتعلم السحر فإنه كفر، فينهيانه عن السحر، ويخبرانه عن مرتبته.

فتعليم الشياطين للسحر على وجه التدليس والإضلال، ونسبته وترويجه إلى مَن برَّأه الله منه، وهو سليمان عليه السلام، وتعليم الملكين امتحاناً، مع نصحهما: لئلا يكون لهم حجة.

فهؤلاء اليهود يتبعون السحر الذي تُعلِّمه الشياطين، والسحرَ الذي يُعلّمه الملكان، فتركوا علم الأنبياء والمرسلين، وأقبلوا على علم الشياطين، وكلٌّ يصبو إلى ما يناسبه.

ثم ذكر تعالى مفاسد السحر فقال: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾ مع أن محبة الزوجين لا تقاس بمحبة غيرهما؛ لأن الله قال في حقهما: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾، وفي هذا دليل على أن السحر له حقيقة، وأنه يضر بإذن الله، أي: بإرادة الله.

وفي هذه الآية وما أشبهَهَا دلالةٌ على: أن الأسباب مهما بلغت في قوة التأثير: فإنها تابعةٌ للقضاء والقدر، وأنها ليست مستقلةً في التأثير.

ثم بين تعالى أن السحرَ وتعلمه مضرةٌ محضةٌ، ليس فيه منفعةٌ، لا دينيةٌ ولا دنيويةٌ، كما قد يكون بعضُ المنافع الدنيوية في بعض المعاصي، وذلك كما في قوله تعالى في الخمر والميسر: ﴿قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾ فهذا السحر مضرة محضة، فليس له داع أصلا، فالمنهياتُ كلُّها إما مضرة محضة، أو شرها أكبر من خيرها، كما أن المأموراتِ إما مصلحةٌ محضة، أو خيرُها أكثرُ من شرها.

﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا﴾ أي: اليهود، ﴿لَمَنِ اشْتَرَاهُ﴾ أي: رغب في السحر رغبةَ المشتري في السلعة: ﴿مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ﴾ أي: نصيب، بل هو موجِب للعقوبة، فلم يكن فعلُهم إياه جهلاً، ولكنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة.

﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ علماً يثمر العمل: ما فعلوه.

انتهى كلام السعدي رحمه الله «تفسير السعدي» رحمه الله مع شيء من التصرف (ص ٦١).

وكل ما عدا ظاهر القرآن مما ذكر في حال هذين الملَكين: فهو من الإسرائيليات، يردها ما ثبت من عصمة الملائكة، على وجه العموم، قال ابن كثير - رحمه الله -: وقد روي في قصة «هاروت وماروت» عن جماعة من التابعين، كمجاهد، والسدي، والحسن البصري، وقتادة، وأبي العالية، والزهري، والربيع بن أنس، ومقاتل بن حيان، وغيرهم، وقَصَّها خلقٌ من المفسرين، من المتقدمين والمتأخرين، وحاصلها راجع في تفصيلها إلى أخبار بني إسرائيل، إذ ليس فيها حديث مرفوع صحيح متصلُ الإسناد إلى الصادق المصدوق المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى، وظاهر سياق القرآن: إجمال القصة من غير بسط، ولا إطناب فيها، فنحن نؤمن بما ورد في القرآن، على ما أراده الله تعالى، والله أعلم بحقيقة الحال. «تفسير ابن كثير» (١ / ٣٦٠).

وأما تعليمهما السحرَ، فإنه كان لغرض صحيح، وهو بيانُ حقيقة السحر للناس، وأنه من فعل الشياطين، وأنه كفرٌ وحرام، وقال بعض أهل العلم: إنما نزلا لبيان اجتناب السحر لا لبيان فعله.

وأصل السحر أيها الإخوة والأخوات: صرف الشيء عن حقيقته إلى غيره، ومن السحر

الأَخذَة التي تأخذ العين حتى يُظن أن الأمر كما يرَى وليس كما يُرى. ثم هو رقى وعقدٌ وكلام يتكلمُ به الساحر أو يكتبه فيؤثر في بدن المسحورِ أو قلبِه أو عقلِه من غير مباشرة له، وله حقيقة، منه ما يقتل، ومنه ما يمرض، ومنه ما يأخذ الرجُلَ عن امرأته فيمنعه وطئَها، ومنه ما يفرق بين المرء وزوجه، ومنه ما يُبغِّضُ أحدهما على الآخر.

وذكرَ العلماء أنواع السحر فقيل: إنها ثمانية أنواع وقيل: ثلاثة أنواع وهي:

السحر الحقيقي والسحر التخيلي والسحر المجازي. ويندرج تحت السحر الحقيقي والتخيلي:

١- السحر الهوائي: بحيث يكون السحرُ معرضًا لتيار الهواء فكلما مرت الريح زاد تأثير السحر.

٢- السحر المائي: حيث يرمى السحر في البحار والأنهار والآبار وفي مجاري المياه.

٣- السحر الناري: وهو الذي يتم فيه وضع السحر في مواقد النيران أو قربها مثل التنور أو الفرن.

٤- السحر الترابي: وهو الذي يدفن في التراب كالمقابر والطرقات والبيوت.

وعلاج السحر المجرب النافع بإذن الله قراءةُ القرآن والأدعيةُ الثابتة في الكتاب والسنة واستعمال زيت الزيتون المقروء فيه، مع حسن الظن بالله تعالى والمداومة على الأذكار، ويكفي في زواله وعلاجِه أن نتذكر قول الله تعالى على لسان موسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام ﴿قال موسى ما جئتم به السحر إن الله سيبطله إن الله لا يصلح عمل المفسدين﴾ فالسحر يبطله الله تعالى إذا أخذ من ابتُلي به بالأسباب ورُقيَ المسحور بالقرآن

وخاصةً آياتُ السحر والمعوذاتُ، وإذا تذكرنا أن السحر فساد ومن يتعاطاه مفسد وأن الله لا يصلح عمل المفسدين ازداد يقيننا بأنه زائل بإذن الله.

وهناك من الفضلاء من كتب في علاج السحر فيرجع له، وقوامه المداومة على القرآن والأذكار، والصدقة.

اللهم عليك بالسحرة الأشرار والمفسدين الفجار، ونعوذ بك اللهم من طوارق الليل والنهار إلا طارقاً يطرق بخير، اللهم اشف كل مريض وفك كل مسحور، وعاف كل مبتلى، إنك على كل شيء قدير، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم. والسلام عليكم.


الشائعات

الشائعات

يقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِاللّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ (الأعراف: ٣٣)

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولـئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾ (الإسراء: ٣٦)

حديثنا عن ظاهرة مهلكة، وأمر خطير ومرير، وعمل مزرٍ وشر مستطير، آثاره خطيرة، ونتائجه مريرة، كم ترتب عليها من قطيعة وسوء ظن وتباغ وتدابر، ذلكم هو الشائعة، أو ما يسمى «إشاعة»، والشائعة أحبتي هي الكلام الذي لا دليل عليه وفي غالب أحواله غير صحيح، ولن أفيض في الحديث عن تعريفها ومضارها فكل فرد لم يسلم من شائعة قيلت في حقه آذته وأزعجته، ولعل في الإشارة ما يغني عن العبارة.

إن أول ما ينبغي أن يتذكره من كان غرضاً لتلك الشائعات أن ما أصابه إنما هو بتقدير الله وأن ما أصابه رفعةٌ له عند الله إن هو احتسب، وأجرٌ وفضل إن هو صبر، فأما إن رد الشر بالشر فقد خسر في الدارين. وضيع أجره في الآخرة ولم يسلم من الأذى في الدنيا.

وفي قول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِاللّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ نهي صريح عن الوقوع في الشائعات تلكم الظاهرة الاجتماعية الخطيرة التي تنخر في المجتمع وتقطع أواصره وتفسد علاقاته، فقد وجه الله تعالى نبيه بقوله سبحانه﴿ولا تقف ما ليس لك به علم﴾ هذا للنبي صلى الله عليه وسلم فكيف بمن هو دونه.

والشائعة هي تقول بلا علم وخوض بلا بينة وتخرص بلا دليل.

وجاء التوجيه للأمة من الباري جل وعلا بقوله ﴿وَلاَ تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلاَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ﴾النحل١١٦

قال ابن القيم رحمه الله في بيان هذه الآية (وقد حرم الله سبحانه القول عليه بغير علم



في الفتيا والقضاء وجعله من أعظم المحرمات بل جعله في المرتبة العليا منها قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِاللّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ الأعراف٣٣ قال: فرُتب المحرمات أربع مراتب وبدأ بأسهلها وهو الفواحش، ثم ثنى بما هو أشد تحريماً وهو الإثم والظلم، ثم ثلث بما هو أعظم تحريماً، وهو الشرك به سبحانه، ثم ربع بما هو أعظم تحريماً من ذلك كله وهو القول عليه بلا علم، إعلام الموقعين ١/٣٨.

وخطر الشائعات ظاهر معروف لا يحتاج لمزيد بيان، فكم فرقت من صداقات، وكم هدمت من بيوت، وكم أفسدت من علاقات، بل كم أضمرت من عداوات، وكم خلقت من بليات، كم أوجدت من ضغائن وآهات، وكم اسودت في أعين البعض الحياة، وكم انزلقت إلى وادي الظلم بسببها أفواج وأفواج.

لا تعجب أخي المستمع كثير من المشكلات الواقعة والقائمة اليوم بين الجماعات وبين الأفراد وبين الأصدقاء وبين الأقارب وبين الأزواج وبين الجيران سببها الشائعات، والكلام الذي لا حقيقة له ولا دليل عليه.

والإنسان كما جاء في الكتاب مسؤول عن كل ما يصدر منه قال تعالى: ﴿إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا﴾

ويزيد الأمر سوءاً والطين بلة أن الناس - كما يقول علماء النفس - مجبولون على قبول الأخبار السيئة وتقديمها والاحتفاظ بها أكثر من الأخبار الطيبة والحسنة، ولذا جاء في بعض أقوالهم أنه لو كانت الجوانب الحسنة لديك ٩٩٪ والسيئ لديك واحد في المائة فإن الناس ستذكر ذلك الواحد وتنسى النسبة الغالبة من الحسن، وهذا يدعو المرءَ لتجنب مظاهرِ الريبة والحرصَ على ألا يكون مظنة للتهمة ومطية للشائعة.

ويحفظ عرضه ويصونه، ويبعد عن كل ما يشينه أو يلحق به الريبة، وهذا خلق المسلم الذي ينبغي الحرص عليه، والعمل على تحقيقه.

وقدوتنا في ذلك حبيبنا محمد صلى الله عليه وسلم فقد جاء في الحديث المشهور (على رسلكما إنها صفية) لما مر به رجلان من الصحابة وهو واقف مع صفية فأسرعا فقال على رسلكما إنها صفية فقالا سبحان الله يا رسول الله! أي كأنهما قالا: هل نشك فيك حاشا وكلا. فأجاب عليه الصلاة والسلام: «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم»

ولذلك ينبغي على المسلم ألا يقف بنفسه في موقف ريبة وأن يحرص على حماية عرضه والذب عن نفسه ما استطاع، وفي الحديث (رحم الله امرءاً كف الغيبة عن نفسه)

قال على بن الحسين: لا يقولن رجل في رجل ما لا يعلم إلا أوشك أن يقول فيه من الشر ما لا يعلم.

وقال أبو الدرداء: علامة الجاهل ثلاث: العجب، وكثرة المنطق فيما لا يعنيه، وأن يُنهى عن شيء ويأتيه.

وقال أكثم بن صيفي: مقتل الرجل بين فكيه.

وقال ابن المعتز: الشرير لا يظن بالناس خيراً لأنه يراهم بعين طبعه.

وقال ابن قيس: لا راحة لحسود، ولا مروءة لكذوب.

وبث الإشاعة أيها الإخوة والسعي في نشرها يعد من إشاعة الفاحشة المنهي عنه يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ (النور:١٩) وهم قد أحبوا إشاعة الفاحشة فكيف بمن أشاع.

وعند الترمذي وغيره عن نافع عن ابن عمر قال: صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر، فنادى بصوت رفيع، فقال: «يا معشر من قد أسلم بلسانه ولم يُفْضِ الإيمانُ إلى قلبه، لا تُؤذُوا المسلمين، ولا تُعيِّروهم، ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من تتبع عورَة أخيه المسلم، تتبَع الله عورته، ومن تتبع الله عورته يَفْضَحْهُ ولو في جوف رحله»

وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ما من ذنب أحرى أن يعجِّل الله تبارك وتعالى العقوبة لصاحبه في الدنيا، مع ما يُدَّخَرُ له في الآخرةِ، من البغي وقطيعة الرحم»رواه أحمد وأهل السنن إلا النسائي من حديث أبي بكرة رضي الله عنه.

فالواجب على كل مسلم ومسلمة أن يكف لسانه عن إخوانه وألا يشغل نفسه بالحديث عنهم، وعليه أن يلتزم التوجيه الرباني الوارد في القرآن في قول الله تعالى: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْراً وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ (النور١٢)

كما يجب على المسلم الحذرُ من أن يقال فيه ويشاع عنه ما يشيعه هو عن إخوانه، نسأل الله للجميع العفو والعافية والسلامة من حقوق الخلق.


الصبر

الصبر

قال تعالى: ﴿وبشر الصابرين﴾ **وقال سبحانه** ﴿إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾

وأمر سبحانه بالصبر في مواضع كثيرة ومن ذلك قوله جل وعلا ﴿يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا﴾ **وقوله تعالى:** ﴿واصبروا إن الله مع الصابرين﴾

وأثنى سبحانه على الصابرين المسترجعين فقال جل وعلا ﴿الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون﴾

وأوصى لقمانُ ابنَه بالصبر في المواضع الثلاثةِ الصبرُ على الطاعةِ والصبرُ عن المعصية والصبرُ على أقدار الله المؤلمة، كما في قوله تعالى: ﴿يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور﴾

قال أهل العلم: الصبرُ نصفُ الإيمان، فإن الإيمان نصفان: نصفٌ صبرٌ، ونصفٌ شكر.

والصبر عبادةٌ عظيمةٌ والمسلم بحاجة ماسةٍ لها، فبالصبر يعبدُ المسلمُ ربَّه ولو لم يرزقِ الصبرَ لما استطاع العبادةَ ولما قدرَ عليها، وبالصبرِ على المقاديرِ يحمدُ المرءُ خالقَه على ما أصابه وله بذلك أجرٌ، وبالصبر يستطيع المسلمُ التكيفَ والعيشَ بيقين ورضا فلا يتسخطُ ولا يجزعُ ويعلمُ أن ما أصابه لم يكن ليخطئَه وما أخطأه لم يكن ليصيبَه.

ولنعلم أن من لا يصبر لا يجد خيرا، فمن صبرَ ظفرَ وحصل على مطلوبِه ومن جزِعَ خسِرَ ولم يحصل على ما يريد، وقد قيل:



مـن صـبرَ فما أقـلَّ مـا يصبرْ

ومــن جــزِعَ فـقـلـمـا يـظـفـرْ

وعـاقـبـة الـصــبر محـمـودةٌ

وعـاقـبـة الجـــزعِ مـذمـومـةٌ.

وفي الحديث: عجباً لأمر المؤمن إن أمرَه كلَّه له خيرٌ وليس ذلك إلا للمؤمن إن أصابته سراءُ شكرَ فكان خيراً له وإن أصابته ضراءُ صبرَ فكان خيراً له.

روت عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (ما من مصيبةٍ تصيب المسلمَ إلا كفّر الله عز وجل بها عنه، حتى الشوكةَ يشاكُها) (متفق عليه). ومن حديث سعد بن أبي وقاص قال: قلت: يا رسول الله أي الناسِ أشدُّ بلاءً؟ قال: (الأنبياءُ ثم الصالحون، ثم الأمثلُ فالأمثلُ من الناس، يُبتلى الرجلُ على حسب دينه، فإن كان في دينه صلابةٌ زيد في بلائِه، وإن كان في دينه رقةٌ خُفف عنه، وما يزال البلاءُ بالعبد حتى يمشي على الأرض، وليس عليه خطيئة) (رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح). وأمر الله جل وعلى بالصبر في مواضع وأثنى على الصابرين - كما مر- بل جعل لهم المعيةَ الخاصةَ كما قال تعالى: ﴿إن الله مع الصابرين﴾

وفي الصبر اقتداء بخير الأمة نبينا صلى الله عليه وسلم فهو إمام الصابرين وقدوة للعالمين.

عزَّى الإمام الشافعي رحمه الله صديقاً له، فقال:

إنَّي أعزيكَ لا أني على ثقــةٍ من الحياة ولـكن سنةُ الـدينِ

فما المُعزَّى بباقٍ بعدَ ميّتهِ ولا المُعزِّي ولو عاشا إلى حينِ

ولا يخلو مسلم من مصيبة ولكن الأجرَ على قدر الصبرِ، والمفرطُ من لا يصبر فيضيع أجرُه ولا تجبر مصيبتُه، وإنما المصاب من فقد الثواب وليس من وقع عليه المصاب.

وفي الحديث المشهور (سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله) قال بعض أهل العلم: إن السبعة المذكورين في الحديث استحقوا أن يظلهم الله في ظل عرشه لكمال صبرِهم ومشقةِ هذا الصبر عليهم فإن صبرَ الإمام المتسلط على العدل، وصبرَ الشاب على عبادة الله ومخالفةِ هواه، وصبرَ الرجل على ملازمة المسجد، وصبرَ المتصدق على إخفاءِ الصدقةِ حتى عن بعضه، وصبرَ المدعو إلى الفاحشة مع كمال جمالِ الداعي ومنصبِه، وصبرَ المتحابين في الله على ذلك في حال اجتماعِهما وافتراقِهما، وصبرَ الباكي في خشية الله على كتمان ذلك وعدمِ إظهاره للناس، من أشق الصبر ولهذا كانت عقوبةُ الشيخِ الزاني والملكِ الكذابِ والفقيرِ المحتالِ أشدَ العقوبةِ لسهولة الصبر عن هذه الأشياء المحرماتِ عليهم لضعف دواعيها في حقهم وكان تركُهم الصبرَ عنها مع سهولته عليهم دليلاً على تجرؤهِم على ما يسخط الله وتقحمهِم للمعاصي.

وفي الصبر وتحمله تقول العربُ: إنَّ في الشرَّ خياراً. قال الأصمعيَّ: معناهُ: أنَّ بعض الشَّرِّ أهونُ منْ بعْضٍ.

وقال أبو عبيدة: معناهُ: إذا أصابتْك مصيبةٌ، فاعلمْ أنهُ قدْ يكونُ أجلُّ منها،- أي قد يقع ما هو أعظم منها - فلتهُنْ عليك مصيبتُك.

قال بعضُ الحكماءِ: عواقبُ الأمورِ تتشابهُ في الغيوب، فرُبَّ محبوبٍ في مكروهٍ، ومكروهٍ في محبوبٍ، وكمْ مغبوطٍ بنعمةٍ هي داؤُه، ومرحومٍ من داءٍ هو شفاؤُه.

وكان يُقالُ: رُبَّ خيرٍ منْ شرٍّ، ونفعٍ منْ ضُرٍّ.

وكان بعضُ الحكماءِ يقولُ: الحِيلةُ فيما لا حيلة فيه، الصبرُ.

وكان يقالُ: منِ اتَّبع الصبر، اتَّبعَهُ النصرُ.

ومن الأمثالِ السائرة، قولُهم: الصبرُ مفتاحُ الفَرَجِ، وقولُهم: منْ صَبَرَ قَدَرَ، وقولُهم: ثمرةُ الصبرِ الظَّفرُ، وقولُهم: عند اشتدادِ البلاءِ يأتي الرَّخاءُ.

قال عمرُ بنُ الخطابِ رضي الله عنه: وجدنا خَيْرَ عيشنِا بالصبرِ.

وقال أيضاً: أفضلُ عيشٍ أدركناه بالصبر، ولو أنَّ الصبر كان من الرجالِ كان كريماً.

وقال عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه: ألا إن الصَّبْرَ من الإيمان بمنزلة الرأسِ من الجسدِ، فإذا قُطع الرأسُ بار الجسمُ، ثم رَفَعَ صوتَه فقال: إنه لا إيمان لمن لا صَبْرَ له.

وقال: الصبرُ مطيَّةٌ لا تَكْبُو.

وقال الحسن: الصبر كَنْزٌ من كنوزِ الخيرِ، لا يعطيه اللهُ إلا لعبدٍ كريمٍ عنده.

وقال سليمان بنُ القاسم: كلُّ عمل يُعرف ثوابه إلا الصبرَّ، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ قال: كالمال المنهمر.

ولهذا كان الصبر عن معاصي اللسان وآفاته من أعظم القربات كالنميمة والغيبة والكذبِ والمراءِ والثناءِ على النفس تعريضاً وتصريحاً ولهذا قال صلى الله عليه وسلم لمعاذ: (أمسك عليك لسانك فقال: وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به ؟ قال: وهل يكب الناس في النار على مناخرهم إ لا حصائد ألسنتهم). ولاسيما إذا صارت المعاصي اللسانيةُ معتادةً للعبد فإنه يعز عليه الصبر عنها.

والمسلم ينبغي له الصبر عما حرمه الله عليه ليعتاد تركَه دائما ويبتعد عنه في كل أحواله، وهذه حقيقةُ التقوى التي أمر الله عباده المؤمنين بها في مواضع عدة من كتابه فقال

سبحانه ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته﴾ كما ينبغي له الصبرُ وتعويدُ نفسه عليه ليكون سجيةً له في حياته كلها، وسيجد ثمرة ذلك عند الله تعالى، وعندها سيشعر أن صبره في الدنيا كان نعمة ومنة من الكريم سبحانه ويتمنى لو طال صبره لعظيم ما يرى من ثواب الله وكريم عطائه.

اللهم إنا نسألك الصبر على طاعتك والصبر عن معصيتك والصبر على أقدارك، يارب العالمين.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.


العين

العين

يقول تعالى: ﴿وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون إنه لمجنون﴾

وفي الحديث: عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (استعيذوا بالله من العين، فإن العين حق) (صحيح الجامع - ٩٣٨).

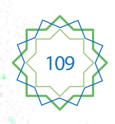
وقال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم: (إن العين حق) «أخرجاه في الصحيحين».

ذكر الكلبي سبب نزول قوله تعالى: ﴿وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم﴾ فقال: كان رجل من العرب يمكث لا يأكل يومين أو ثلاثة، ثم يرفعُ جانبَ خبائه فتمرُّ به النَّعَمُ، فيقول: ما رُعِيَ اليومَ إبلٌ ولا غنمٌ أحسنُ من هذه، فما تذهبُ إلا قريباً حتى يسقط منها طائفةٌ وعِدَّة. فسأل الكفارُ هذا الرجل أن يصيبَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعين ويفعل به مثل ذلك، فعصم الله تعالى نبيه، وأنزل هذه الآية.

قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد رحمه الله ﴿ليزلقونك﴾ لينفذونك ﴿بأبصارهم﴾ أي يحسدونك لبغضهم إياك، لولا وقاية اللّه لك وحمايته إياك منهم.

العين أو الإصابة بها أمر مؤكد تثبته الأدلة الشرعية، وقد تقع من محب ومن كاره، ومن صديق ومن عدو، وأعظمها شرًا وأكبرها ضررًا ما لو وقعت من شيطان، وكل من كان عن ذكر الله أبعد كان حرياً بأن يصيب ويصاب، بخلاف من لازم ذكر الله فإنه لا يصيب أحداً، ويأمن من العين بإذن الله.

ومما يدل على أن العين قد تقع من المحب ما ثبت عن صهيب بن سنان - رضي الله عنه - (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أيام حنين يحرك شفتيه بعد صلاة الفجر



بشيء لم نكن نراه يفعله، فقلنا: يا رسول الله، إنا نراك تفعل شيئًا لم تكن تفعله، فما هذا الذي تحرك شفتيك؟ قال: إن نبيًا فيمن كان قبلكم أعجبته كثرة أمته، فقال: لن يروم هؤلاء شيء فأوحى الله إليه أن خير أمتك بين إحدى ثلاث: إما أن نسلط عليهم عدوًا من غيرهم فيستبيحهم، أو الجوع، وإما أن أرسل عليهم الموت، فشاورَهم فقالوا: أما العدو فلا طاقة لنا بهم، وأما الجوع فلا صبر لنا عليه، ولكن الموت، فأرسل عليهم الموت، فمات منهم في ثلاثة أيام سبعون ألفا، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فأنا أقول الآن - حيث رأى كثرتهم- اللهم بك أحاول، وبك أصاول، وبك أقاتل»

(قال ابن علان في «شرح الأذكار»: أخرجه في أماليه في «باب ما يقول بعد الصلاة» - قال الحافظ: حديث صحيح أخرجه أحمد - ٤ / ٣٣٢ - ٣٣٣، وأخرج النسائي طرفًا منه، وأخرج الترمذي نحو القصة بسنده على شرط مسلم)

والحسد أعم من العين، فضرر الحاسد يكون بالعين التى تقويها النفس الحاسدة الخبيثة لو كان الحسد ديدن الشخص، وقد يكون ضرر الحاسد بالقول أو بالفعل.

يقول ابن القيم فى كتابه الروح:

(وتأثيرات النفوس بعضها في بعض، أمر لا ينكره ذو حس سليم ولا عقل مستقيم ولا سيما عند تجردها تجردًا عن العلائق والعوائق البدنية فإن قواها تتضاعف وتتزايد بحسب ذلك ولا سيما عند مخالفة هواها وحملها على الأخلاق العالية من العفة والشجاعة والعدل والسخاء وتجنبها سفساف الأخلاق ورذائلها وسافَلها فإن تأثيرها في العالَم يقوى جدًا تأثيرًا يعجز عنه البدن، وأعراضُه أن تنظر إلى حجر عظيم فتشقه أو حيوان كبير فتتلفه أو إلى نعمة فتزيلها وهذا أمر قد شاهدته الأمم على اختلاف أجناسها وأديانها وهو الذي سُمي إصابة العين فيضيفون الأثر إلى العين وليس لها في الحقيقة وإنما هو النفس المتكيفة بكيفية رَدّية سمية، وقد تكون بواسطة نظر العين وقد لا تكون بل يوصف له الشيء من بعيد فتتكيف عليه نفسه بتلك الكيفية فتفسده، وأنت ترى تأثير النفس في

الأجسام صفرة وحمرة وارتعاشًا بمجرد مقابلتها لها وقوتها وهذه وأضعافها آثار خارجة عن تأثير البدن وأعراضه؛ فإن البدن لا يؤثر إلا فيما لاقاه وماسه تأثيرًا مخصوصًا، ولم تزل الأمم تشهد تأثير الهمم الفعالة في العالم وتستعين بها وتحذّر أثرها وقد أمر رسول الله أن يغسل العائن مغابنه ومواضع القذر منه ثم يصب ذلك الماء على المعين فإنه يزيل عنه تأثير نفسه فيه، وذلك بسبب أمر طبعي اقتضته حكمة الله سبحانه فإن النفس الأمارة لها بهذه المواضع تعلق وإلف، والأرواح الخبيثة الخارجية تساعدها وتألف هذه المواضع غالبًا للمناسبة بينها وبينها فإذا غُسلت بالماء طُفئت تلك النارية منها كما يُطفأ الحديد المحمَى بالماء، فإذا صُب ذلك الماء على المصاب طفأ عنه تلك النارية التي وصلت إليه من العائن، وقد وصف الأطباء الماء الذي يطفأ فيه الحديد لآلام وأوجاع معروفة، وقد جرب الناس من تأثير الأرواح بعضها في بعض عند تجردها في المنام عجائب تفوت الحصر، فعالم الأرواح عالم آخر أعظم من عالم الأبدان وأحكامه وآثاره) اهـ.

وبما أن الحسد مذموم في أصله فقد يشكُل على البعض قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (لاحسد إلا فى اثنتين: رجل رزقه الله مالاً فسلطه على هلكته فى الحق ورجل آتاه الله الحكمة فهو يعمل بها ويعلمها) رواه البخارى ومسلم.

ولا إشكال، والحمد لله، فالمقصود بالحسد هنا الغبطة وهو تمني الشيء دون تمني زواله عن الغير مع التبريك للغير والدعاء له بدوام نعمة الله عليه، فهو في أمور الدين مندوب.

وفي علاج العين روى أبو داود عن أَنَس رضي الله عنه قال، قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم: (لا رقية إلا من عين أو حمة أو دم لا يرقأ) «رواه أبو داود». وروى ابن ماجة، عن بريدة بن الحصيب قال، قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم: (لا رقية إلا من عين أو حمة) «أخرجه ابن ماجة ورواه البخاري والترمذي عن عمر بن حصين موقوفاً». وروى مسلم في صحيحه، عن ابن عباس، عن النبي صلى اللّه عليه وسلم قال: (العين حق، ولو كان شيء سابق القدر سبقت العين وإذا استغسلتم فاغسلوا) «أخرجه مسلم».

وعن ابن عباس قال: كان رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم يعوّذ الحسن والحسين يقول: (أعيذكما بكلمات اللّه التامة من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة) ويقول: (هكذا كان إبراهيم يعوذ إسحاق وإسماعيل عليهما السلام) أخرجه البخاري.

وروى الإمام أحمد، عن جابر بن عبد الله أن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم اشتكى، فأتاه جبريل، فقال: باسم اللّه أرقيك، من كل شيء يؤذيك، من كل حاسد وعين واللّه يشفيك «أخرجه الإمام أحمد»،

وروى الإمام أحمد، عن عبيد بن رفاعة الزرقي قال، قالت أسماء: يا رسول اللّه إن بني جعفر تصيبهم العين أفأسترقي لهم؟ قال: (نعم. فلو كان شيء يسبق القدر لسبقته العين) «أخرجه أحمد والترمذي وابن ماجة، وقال الترمذي: حسن صحيح».

وروى ابن ماجة، عن عائشة رضي اللّه عنها أن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم أمرها أن تسترقي من العين «أخرجه الشيخان وابن ماجة». وعن عائشة قالت: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم: (استعيذوا باللّه فإن النفس حق) «أخرجه ابن ماجة»، وقال أبو داود عن عائشة قالت: كان يؤمر العائن فيتوضأ ويغسل منه المعين «رواه أبو داود وأحمد». وروى الإمام أحمد، عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف أن أباه حدّثه: أن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم خرج وساروا معه نحو مكة، حتى إذا كانوا بشعب الخرار من الجحفة اغتسل سهل بن الأحنف، وكان رجلاً أبيض حسن الجسم والجلد، فنظر إليه عامر بن ربيعة أخو بني عدي بن كعب وهو يغتسل، فقال: ما رأيت كاليوم ولا جلد مخبأة، فلبط سهل، فأتى رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم، فقيل له: يا رسول اللّه هل لك في سهل؟ واللّه ما يرفع رأسه ولا يفيق، قال: (هل تتهمون فيه من أحد؟) قالوا: نظر إليه عامر بن ربيعة، فدعا رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم عامرًا فتغيظ عليه، وقال: (علام يقتل أحدكم أخاه؟ هلا إذا رأيت ما يعجبك برّكت؟ - ثم قال - اغتسل له) فغسل وجهه ويديه ومرفقيه وركبته وأطراف رجليه وداخلة إزاره في قدح، ثم صبَّ ذلك الماء عليه، فصبه رجل على رأسه وظهره من خلفه، ثم يكفأ القدح وراءه ففعل ذلك فراح سهل مع الناس ليس به بأس «أخرجه

الإمام أحمد ورواه ابن ماجة بنحوه»». وروى الإمام أحمد، عن عبد اللّه بن عمرو قال، قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم: (لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا حسد والعين حق) «تفرد به الإمام أحمد».

ومن المهم أن يرتبط المسلم بذكر الله في كل أحواله ويحصن نفسه وأهله وماله، واستنبط بعض أهل العلم من قوله تعالى: ﴿ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله﴾ أن قول ما شاء الله لا قوة إلا بالله تمنع وقوع العين والإصابة بها بإذن الله.

كما لا ينبغي للمسلم والمسلمة التوهم في كل حال بأنه مصاب بالعين كما نراه في هذه الأزمان فهذا من توهين الشيطان.

اللهم إنا نسألك السلامة في ديننا ودنيانا اللهم احفظ المسلمين أجمعين وكف الشر والضر عنهم يا أرحم الراحمين.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الغضب

الغضب

قال تعالى: ﴿والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش وإذا ما غضبوا هم يغفرون﴾ (الشورى: ٣٧)

الغضب كما يقول القرطبي رحمه الله «هو: الشدة، ورجل غضوب أي شديد الخلق، والغضوب الحية الخبيثة؛ لشدتها، والغضبة: الدرقة من جلد البعير يطوى بعضها على بعض سُميت بذلك لشدتها» (ا.هـ)

وقيل في معناه: تغيُّر يحصل عند فوران دم القلب ليحصل عنه التشفي في الصدر.

وقيل: الغضب إرادة الإضرار بالمغضوب عليه.

الغضب صفة يندر أن يسلم منها أحد بل انتفاؤه عن الإنسان يعد صفة نقص وليس صفة كمال، فمن لا يغضب أبدًا مع شدة ما يوجد مما يغضب يدل على نقصه لا كماله.

والغضب ينسي الحرمات، ويدفن الحسنات، ويخلق للبريء جنايات

ومن شهير الشعر قولهم:

وعين الرضا عن كل عيب كليلة
ولكن عين السخط تبدي المساويا

وقيل أيضًا:

وعين البغض تبرز كل عيب
وعين الحب لا تجد العيوبا

والمشكلة ليست في الغضب بل المشكلة أن الكثير منا لا يحسن التصرف عند الغضب وينسى التوجيه الشرعي من الله تعالى والتوجيه النبوي من المصطفى صلى الله عليه وسلم.



جاء أن يحيى بن زكريا لقي عيسى بن مريم -صلى الله عليهما وسلم- فقال: أخبرني بما يُقرِّب من رضا الله، وما يُبعد من سخط الله ؟ فقال: لا تغضب. قال: الغضب ما يُبدئه وما يعيده؟ قال: التعزز والحَميّة والكبرياء والعظمة.

وللغضب أسباب منها:

المراء: قال عبد الله بن الحسين: «المراء رائد الغضب فأخزى الله عقلًا يأتيك به الغضب» «ا.هـ»

والغضب أثر للمراء ولذا نهى الشارع عنه قال النبي -صلى الله عليه وآله وسلم - (أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان مُحقًّا)

ومن أسباب الغضب: المزاح

وقد قيل:

إن المـــــزاح بـــــدؤه حـــلاوة
لـكـنـمـا آخـــــره عـــــداوة

يحتد منه الرجل الشريف: ويجتري بسخفه السخيف

فتجد بعض المكثرين من المزاح يتجاوز الحد المشروع منه: إما بكلام لا فائدة منه، أو بفعل مؤذٍ قد ينتج عنه ضرر بالغ ثم يزعم بعد ذلك أنه كان يمزح ؛ لذا قال النبي -صلى الله عليه وسلم- (لا يأخذن أحدكم متاع صاحبه جادًّا ولا لاعبًا)

وقال أبو هقان:

مـازح صديقك مـا أحـب مزاحًا
وتــوق مـنـه في المــزاح مـزاحًـا
فـلـربـمـا مـزح الصـــديق بمزحة
كـانـت لـبـاب عـــداوة مـفـتـاحًـا

ذكر خالد بن صفوان المزاح فقال: يَصُكُّ أحدكم صاحبه بأشد من الجندل، ويُنشقه أحرق من الخردل، ويُفرغ عليه أحرَّ من المرجل ثم يقول: إنما كنت أمازحك.

قال محمود الوراق:

تَلَقَّى الفتى أخاه وخدنه
في لحن منطقه بما لا يُغتفر
ويقول كنت ممازحًا وملاعبًا
هيهات نارك في الحشا تتسعر
ألهبتها وطفقت تضحك لاهيًا
مما به وفؤاده يتفطر
أو ما علمت ومثل جهلك يُتّقى
أن المزاح هو السباب الأكبر

وقال عمر بن عبد العزيز -رحمه الله تعالى - «إياك والمزاح فإنه يجر القبيح ويورث الضغينة».

واحذر ممازحة تعود عداوة
إن المزاح على مقدمة الغضب

وقال ميمون بن مهران -رحمه الله تعالى- «إذا كان المزاح أمام الكلام كان آخره اللطم والشتام».

ومن الأسباب المثيرة للغضب: بذاءة اللسان وفحشه: بشتم أو سب أو تعيير مما يوغل الصدور، ويثير الغضب، وقد قال النبي -صلى الله عليه وسلم: (إن الله يبغض الفاحش البذيء).

ومن أسباب الغضب أيضًا: الغدر والخيانة، فهي قد تدفع من وقع له ذلك للغضب والانتقام.

ومما يسبب الغضب: شدة الحرص على فضول المال والجاه.

ومن أسباب الغضب الحمية ودعوى الرجولة، ومحاولة إثبات الذات. وخاصة عند الشباب وصغار السن، قال الغزالي -رحمه الله تعالى- «ومن أشد البواعث عليه عند أكثر الجهال: تسميتهم الغضب شجاعة ورجولية وعزة نفس وكِبر همة» ا.هـ.

ومن أسباب الغضب ودوافعه وقوع الإهانة للإنسان مما يخرجه عن طوره فيقع الغضب ويقع ما لا يحمد عقباه.

وليت من يغضب يرى صورته ووضعه في تلك الحالة حيث يطيش عقله وتتغير هيئته ويبتعد عن الوضع السوي بل ربما كان كالسبع الضاري وكالوحش المنقض أو كالبهيمة، بل في بعض أحواله يفقد عقله، ولا يتنبه إلا بعد وقوع الفاجعة من ضرب أو قتل أو طلاق.

والواجب على المسلم أن يتوقى أسباب الغضب ويتجنبها فإن وجد من نفسه غضبًا فإن هناك بتوفيق الله ما يعين على علاج الغضب عند حصوله

فمن ذلك: الاستعاذة بالله من الشيطان

يقول تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (فصلت:٣٦) وعن سليمان بن صرد -رضي الله عنه - قال: كنت جالسا مع النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- ورجلان يستبان فأحدهما احمر وجهه ، وانتفخت أوداجه ، فقال النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- (إني لأعلم كلمة لو قالها ذهب عنه ما يجد لو قال أعوذ بالله من الشيطان ذهب عنه ما يجد) فقالوا له: إن النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- قال: (تعوذ بالله من الشيطان) فقال: وهل بي جنون. قال ابن القيم -رحمه الله تعالى - «وأما الغضب فهو غول العقل يغتاله كما يغتال الذئب الشاة وأعظم ما يفترسه الشيطان عند غضبه وشهوته» ا.هـ

ومما يعين على معالجة الغضب: تغيير الحال؛ فعن أبى ذر -رضي الله عنه - أن رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- قال (إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع).

وفي حديث أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- مرفوعًا (ألا وإن الغضب جمرة في قلب ابن آدم أما رأيتم إلى حمرة عينيه، وانتفاخ أوداجه فمن أحس بشيء من ذلك فليلصق بالأرض) (الترغيب والترهيب) ٣٨٥/٣ (إسناده صحيح أو حسن أو ما قاربهما)

ومما يعالج الغضب: ترك المخاصمة والسكوت

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي -رحمه الله تعالى «ومن الأمور النافعة أن تعلم أن إيذاء الناس لك وخصوصًا في الأقوال السيئة لا تضرك بل تضرهم إلا إذا أشغلت نفسك في الاهتمام بها، وسوغت لها أن تملك مشاعرك؛ فعند ذلك تضرك كما ضرتهم، فإن أنت لم تصنع لها بالا، لم تضرك شيئا» .

وقد قيل:

يخاطبني السفيه بكل قبح
فأكره أن أكون له مجيبًا
يزيد سفاهة وأزيد حلمًا
كعود زاده الإحراق طيبًا

وعن ابن عباس- رضي الله عنهما- عن النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- أنه قال «علموا وبشروا ولا تعسروا وإذا غضب أحدكم فليسكت.»قال ابن رجب - رحمه الله تعالى» وهذا أيضًا دواء عظيم للغضب؛ لأن الغضبان يصدر منه في حال غضبه من القول ما يندم عليه في حال زوال غضبه كثيرًا من السباب وغيره مما يعظم ضرره، فإذا سكت زال هذا الشر كله عنده، وما أحسن قول مورق العجلي -رحمه الله- ما امتلأتُ غضبًا قط ولا تكلمتُ في غضب قط بما أندم عليه إذا رضيت»ا.هـ

قال سالم ابن ميمون الخواص:

إذا نطق السفيه فلا تجبه
فخير من إجابته السكوتُ
سكتُّ عن السفيه فظن أني
عييتُ عن الجواب وما عييتُ
شرار الناس لو كانوا جميعًا
قذى في جوف عيني ما قذيتُ
فلستُ مجاوبًا أبدًا سفيها
خزيتُ لمن يجافيه خزيتُ

وقيل:

ولقد أمر على السفيه يسبني
فمررت ثمَّتَ قلتُ لا يعنيني

وقال الصفدي:

واستشعر الحلم في كل الأمور ولا
تسرع ببادرة يوما إلى رجل
وإن بليت بشخص لا خلاق له
فكن كأنك لم تسمع ولم يقل

ومن الأسباب التي تعين على معالجة الغضب: الوضوء

فعن عطية السعدي -رضي الله عنه - قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- (إن الغضب من الشيطان؛ وإن الشيطان خلق من النار، وإنما تطفأ النار بالماء فإذا غضب أحدكم فليتوضأ).

ومما يعين على كظم الغيظ وترك الغضب: استحضار الأجر العظيم لكظم الغيظ

فمن استحضر الثواب الكبير الذي أعده الله تعالى لمن كتم غيظه وغضبه كان سببًا ﰲ ترك الغضب والانتقام للذات.

قال تعالى: ﴿فَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (﴿) وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ (الشورى:٣٧)

ومن تجنب الغضب وتركه فاز بمحبة الله وظفر بما عنده: قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (آل عمران:١٣٤) ومرتبة الإحسان هي أعلا مراتب الدين.

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- (ثلاثة مَن كنَّ فيه آواه الله ﰲ كنفه، وستر عليه برحمته وأدخله ﰲ محبته) قيل: ما هن يا رسول الله؟ قال: (مَن إذا أُعطي شكر، وإذا قَدر غفر، وإذا غَضب فتر)

وترْك الغضب سبب لدخول الجنة

فعن أبي الدرداء -رضي الله عنه- قال: قلت: يا رسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة. قال: (لا تغضب ولك الجنة).

ومن تجنب الغضب وكظمه فإن الله تعالى يكرمه يوم القيامة على رؤوس الخلائق.

فعن أنس -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- قال (مَن كظم غيظًا وهو يقدر على أن ينفذه دعاه الله على رءوس الخلائق يوم القيامة حتى يخيره ﰲ أي الحور شاء).

ومن تجنب الغضب وكظمه نجا من غضب الله تعالى

فعن عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما- قال: قلت يا رسول الله ما يمنعني من غضب الله؟ قال (لا تغضب) فالجزاء من جنس العمل، ومن ترك شيئًا لله عوضه الله تعالى خيرًا منه.

وقال أبو مسعود البدري -رضي الله عنه-: كنت أضرب غلامًا لي بالسوط فسمعت صوتًا من خلفي (اعلم أبا مسعود) فلم أفهم الصوت من الغضب قال: فلما دنا مني إذا هو رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- فإذا هو يقول: (اعلم أبا مسعود اعلم أبا مسعود) قال: فألقيت السوط من يدي. فقال: (اعلم أبا مسعود أن الله أقدر عليك منك على هذا الغلام) قال: فقلت لا أضرب مملوكًا بعده أبدًا.

وكان أبو الدرداء -رضي الله عنه- يقول «أقرب ما يكون العبد من غضب الله إذا غضب، واحذر أن تظلم من لا ناصر له إلا الله»ا.هـ

وترك الغضب يحقق زيادة الإيمان للعبد

ففي الحديث: (ما من جَرعةٍ أحبُّ إلى اللَّه من جَرعةِ غيظٍ يَكظمُها عبدٌ. ما كظمَ عبدٌ للَّهِ إلَّا ملأَ اللَّهُ جوفَهُ إيمانًا) رواه ابن عباس وأخرجه السيوطي في الدر المنثور ٤/١٠ وإسناده حسن وقال الألباني صحيح.

وكظم الغيظ من أفضل الأعمال

فقد قال النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- (ما مِن جرعةٍ أعظمُ أجرًا عندَ اللَّهِ من جرعةِ غيظٍ كظمَها عبدٌ ابتغاءَ وجهِ اللَّهِ) وهو في مصباح الزجاجة عن ابن عمر رقم: ٤/٢٣٣ وإسناده صحيح رجاله ثقات.

قال ابن تيمية -رحمه الله تعالى-: «ما تجرّع عبد جرعة أعظم من جرعة حلم عند الغضب، وجرعة صبر عند المصيبة، وذلك لأن أصل ذلك هو الصبر على المؤلم، وهذا هو الشجاع الشديد الذي يصبر على المؤلم، والمؤلم إن كان مما يمكن دفعه أثار الغضب، وإن كان مما لا يمكن دفعه آثار الحزن، ولهذا يحمرّ الوجه عند الغضب لثوران الدم عند استشعار القدرة، ويصفرّ عند الحزن لغور الدم عند استشعار العجز» ا.هـ.

اللهم إنا نعوذ بك من الشيطان الرجيم وشركه

اللهم أعنا على أنفسنا واكفنا شر كل ذي شر.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

والسلام...


الفرح

الفرح

يقول تعالى: ﴿قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون﴾ (يونس: ٥٨).

يتوهم بعض الناس، ويشيع بعض أعداء الدين أن الإسلام لا يسمح بمظاهر الفرح ولا يوجد فيه ما يشعر بذلك، وربما توهم بعضهم أو حاول بعض المغرضين القول إن الإسلام لا يعرف الفرح وأنه دين حزن وبكاء وترح، والرد على هذه الفرية من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فالله تعالى يقول: ﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ (الرعد: ٣٦). فالمسلم يفرحُ بربه ويفرح بمعرفته وبمحبّته وكلامه وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم.

ناهيك عن أن فرح القلب وسُرورَه بالله لا يُشبهُه شيء من نعيم الدنيا، وليس له نظيرٌ، حتى لقد قال بعضُ العارفين: «إنه لتمرُّ بي أوقاتٌ أقول فيها: إن كان أهلُ الجنة في مثلِ هذا إنهم لفِي عيشٍ طيِّبٍ».

كما أن المُسلمَ يفرح بفضل الله ورحمته، فإنه يفرحُ بأن الله أنعمَ عليه بالإسلام، وطهّر قلبَه بالإيمان، وعطّر لسانَه بتلاوة القرآن، ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ (يونس: ٥٨).

كما يفرح المؤمنون بعز الإسلام وتحقق النصر للمؤمنين كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (۞) بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ (الروم: ٤، ٥).

ويفرح المسلم بنعم الله الظاهرة والباطنة التي تُحيطُ بنا من كل جانب، وتملأ حياتَنا، فكم من الخير أعطانا الله إياه، وكم دفعَ عنّا شُرورًا، ومتّعَنا بنعم الصحّة والعافية والمال والأولاد.

ويفرح المسلم بتمام النعمة وتمام النسك وتمام العبادة ففي الحديث «للصائم فرحتان، فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه».

وجاء في القرآن الكريم الإشارة إلى فرح الشهداء، وذلك لعظيم منزلتهم وثوابهم عند



ربهم، يقول الله تعالى: ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ۞ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (آل عمران: ١٦٩-١٧٠).

ونقل الزمخشري في «الكشّاف»(٣٧، جـ٢، ص٣٥٣): عن أبيّ بن كعب رضي الله عنه، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قرأ: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ﴾ (يونس:٥٨)، فقال: بكتاب الله. والإسلامُ فضله، ورحمتُه ما وعد عليه.

وعقَّب عليه أبو حيَّان (٢٤، جـ٥، ص١٦٩) بقوله: «لو صحَّ هذا الحديث، لم يمكن خلافه».

وعن أنس رضي الله عنه مرفوعاً: أن (فضل الله القرآن، ورحمته أن جعلكم من أهله وأتباعه). ونُقل عن أبي سعيد موقوفاً، وهو الأصح (٣٨، جـ٧، ص٨٧)، وأورد الطبري (٣٨، جـ١٥، ص ص١٠٦-١٠٧) هذه الآثار كلها بأسانيدها.

قال ابن القيم (٥، ص٤٥٤) في بيان أن فضل الله القرآنُ، وأن رحمته أن جعلنا من أتباعه قال: «يريد بذلك أمرين؛ الأول: الفضل في نفسه، والثاني: استعداد المحل لقبوله، كالغيث يقع على الأرض القابلة للنبات، فيتم المقصود بالفضل وقبول المحل له».

قال ابن عاشور: «وهذا الذي يقتضيه اللفظ؛ فإن الفضل هو هداية الله التي في القرآن، والرحمة هي التوفيق إلى اتباع الشريعة التي هي الرحمة في الدنيا والآخرة»، التحرير» (١٣، جـ١١، ص٢٠٥) وأصله لصاحب «المحرر» (٣٢، جـ٣، ص١٢٦).

قال صاحب المنار (٢٦، جـ١١، ص٤٠٧): «إن الفرح بفضل الله وبرحمته أفضل وأنفع لهم مما يجمعونه من الذهب والفضة، والخيل المسومة، والأنعام، والحرث، وسائر متاع الدنيا مع فقدهما، لا لأنه سبب سعادة الآخرة الباقية المفضلة على الحياة الدنيا الفانية - كما اشتهر فيما خطته الأقلام ولاكته الألسنة - بل لأنه هو الذي يجمع بين سعادة الدارين، كما حصل بالفعل؛ إذ كانت هدايةُ الإسلام بفضل الله وبرحمته سبباً لما ناله المسلمون في العصور الأولى من الملك الواسع، والمال الكثير، مع الصلاح والإصلاح، والعدل والإحسان، والفوز الكبير، فلما صار جمعُ المال، ومتاعُ الدنيا، وفرحُ البطر به هو المقصودَ لهم بالذات، وتركوا هداية الدين في إنفاقه والشكر عليه؛ ذهبت دنياهم من أيديهم إلى أيدي أعدائهم».

وهذا المشار إليه هو الفرح المحمود المطلوب، وهناك فرح مذموم جاء ذكره في كتاب الله تعالى في عدد من الأحوال والصور كما في فرح المرء بما لم يفعل رياءً وتكبُرًا، قال الله تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (آل عمران: ١٨٨).

ومن صور الفرح المذموم الفرحُ بالتقصيرِ في طاعة الله، والتخلُف عن رَكب الصالحين قال الله تعالى: ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ (التوبة: ٨١).

ومن صور الفرح المذموم ما يؤدي إلى الأشَر والبطَر والتمرُّد قال الله تعالى: ﴿ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ (غافر: ٧٥).

ومن الفرح المذموم ما ذكره الله تعالى بقوله ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (آل عمران: ١٨٨).

أخرج البخاري ومسلم (١٥): «أن مروان بن الحكم، قال لبوَّابه: اذهب - يا رافعُ - إلى ابن عباس، فقل: لئن كان كل امرئ فَرِحَ بما أُوتِيَ، وأحبَّ أن يُحْمد بما لم يفعل معذبًا، لنُعَذَّبنَّ أجمعون!! أجاب ابن عباس: ما لكم ولهذه، إنما دعا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يهوداً، فسألهم عن شيء، فأخبروه بغيره، فأَرَوْهُ أنهم قد استحمدوا إليه بما أخبروه، وفرحوا بما أوتوا من كتمانهم».

وأخرج البخاري ومسلم أيضًا (١٧)، عن أبي سعيد الخدري: (أن رجالاً من المنافقين في عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كانوا إذا خرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى الغزو، تخلفوا عنه، وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله، فإذا قدم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من الغزو اعتذروا إليه، وحلفوا وأحبوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا، فنزلت: ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا ﴾ (آل عمران:١٨٨).

ومن الفرح المذموم فرح الإنسان بماله وما أعطاه الله فرحًا يخرجه إلى إنكار فضل الله كما في قصة قارون ﴿إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين﴾ (القصص:١٧)

فالفرح المخرج عن الحد الطبيعي وعن الحد المشروع لا يحبه الله ولا يرضاه تعالى بل ويعاقب عليه.

ومن الفرح المذموم فرح المنافقين، إذا مسَّ المسلمين قَرْح، وادعوا أنهم احتاطوا لأنفسهم، فنجوا وأصيب غيرهم يقول تعالى: ﴿ إِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ ﴾ (التوبة: ٥٠).

وهو ما أظهره اليهود حيث فرحوا بمصائب المسلمين، قال تعالى: ﴿ إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا ﴾ (آل عمران: ١٢٠). فقد فرح أعداء الله بالسيئة على المسلمين.

وعرض القرآن الكريم لفرح الكافرين في مواضع منها قوله تعالى: ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَا الإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَؤُوسٌ كَفُورٌ ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴾ (هود: ٩-١٠) فالكافر فرحه محصور في الدنيا، ولا يلتفت إلى نداء الآخرة. يقول الله تعالى: ﴿ وَفَرِحُواْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ مَتَاعٌ ﴾ (الرعد: ٢٦). كما قال سبحانه ﴿يعلمون ظاهرًا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون﴾ (الروم: ٧)

والعذاب يصيب الكافرين بسبب ذلك يقول تعالى: ﴿ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿ إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُواْ مِنْ قَبْلُ شَيْئاً كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ ﴿ ذَلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ (غافر ٧٠-٧٦).

والفرح المذموم له آثار سلبية، من أهمها:

١ - أن الفرح المذموم يجعل صاحبه يسيء الظن بالله؛ خشية ذهاب ما عنده وهو ما يؤدي إلى عدم الرضا بالقضاء والقدر.

٢ - والفرح المذموم يلهي عن شكر المنعم؛ فهو ينشغل بما لديه مما يفرحه فلا يشكر ربه

وقصة قارون دليل على ذلك قال: ﴿ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي ﴾ (القصص: ٧٨)،

٣ - والفرح المذموم يؤدي إلى الركون إلى الدنيا، والرضا بها، والحرص عليها؛ خشيةَ أن يفوته بعض ما فيها من وسائل الفرح ودواعيه، وهو ما يشغله - ولا شك - عن الآخرة والعمل لها.

٤ - والفرح المذموم يدفع صاحبه إلى البخل، ويرغِّبه فيه؛ لأن من طبيعة الإنسان أن يحرص على ما يجلب له الفرح (٤٤، جـ٢٧، ص٨٨٤)، ويشح به ويظن به على غيره ويبخل به.

٥ - والفرح المذموم يورث صاحبه العُجْبَ؛ بسبب حصوله على ما يفرح، والعُجْبُ مدعاة للاستهزاء بالآخرين، والبغي عليهم، كما فعل قارون، والسخريةُ والاستهزاء.

٦ - والفرح المذموم يؤدي إلى الشماتة: وتعني الفرح بالشرّ ينال الآخرين؛ فهي من آثاره المذمومة، فمن نجا بنفسه، فرح وشمت بمن أصيب، ومن نجح من هؤلاء في أمر، فرح وشمت بمن فشل.

٧ - وأصحاب الفرح المذموم يُعْرضون عن دعوات الخير والصلاح، ويناصبون أهلها العداوة، إما فرحاً بما اعتادوا عليه وألفوه، وإما لأن هذه الدعوات تخالف ما ألفوه مما يفرح من أمور الدنيا المنهي عنها.

٨- الفرح المذموم يؤدي إلى الغرور والتعالي على الناس لكونهم لم يحصلوا ما حصله وهذا مزلق خطير يفسد الدين والدنيا.

نعوذ بالله من الضلال والخسران. اللهم وفقنا للصالحات وجنبنا المنكرات واغفر لنا وارحمنا.


قوامة
الرجل

قوامة الرجل

قال تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيّاً كَبِيراً﴾ (النساء:٣٤)

حاول الكثير من أعداء الإسلام التشنيع على الدين الإسلامي من خلال آية القوامة كدليل على التمييز ضد المرأة ، ومن ذلك قولهم:

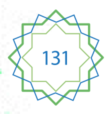
١. **إن الإسلام قد سلب المرأة حريتها،** و أهليتها و ثقتها بنفسها إذ جعل الرجل قوامًا على المرأة.

٢. **أن القوامة تمثل بقايا من عهد استعباد المرأة و إذلالها،** حينما كانت المرأة كمًّا مهملًا لا قيمة لها في البيت، و فكرة مجهولة في المجتمع و أمًّا ذليلة مهينة عند الزوج.

٣. **ليس من المستساغ،** و لا من العدل أن ينفرد الرجل بالقوامة، و رياسة الأسرة من دون المرأة، و هي قد حطمت أغلال الرق، و الاستعباد، وتساوت مع الرجل في كل الحقوق، والالتزامات.

ولعلي أرد وأجيب بما أورده المفسرون في هذه الآية وفيه ما يكفي لتفنيد مثل هذه الترهات والتفاهات من خلال بيان القوامة ومكانة المرأة في الإسلام:

قال ابن جرير - رحمه الله -: «يعني بذلك - جلَّ ثناؤه -: الرِّجال أهل قيام على نسائهم، في تأديبهنَّ، والأخذ على أيديهنَّ فيما يجب عليهنَّ لله ولأنفسهنَّ ﴿بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ



عَلَى بَعْضٍ﴾ يعني: بما فضل الله به الرِّجال على أزواجِهم من سوْقهم إليهنَّ مهورهنَّ وإنفاقهم عليهن أموالهم، وكفايتهم إيَّاهنَّ مؤنهنَّ، وذلك تفضيل الله إيَّاهم عليهنَّ؛ ولذلك صاروا قُوامًا عليهنَّ، نافذي الأمر عليهن فيما جعل الله إليْهم من أمورهن.

وقال الإمام ابن كثير عليه رحمه الله في تفسير الآية: المراد أنه (هو رئيسها، وكبيرها و الحاكم عليها و مؤدبها إذ اعوجت، بما فضل الله بعضهم على بعض؛ أي لأن الرجال أفضل من النساء و الرجل خير من المرأة، و لهذا كانت النبوة مختصة بالرجال، و كذلك الملك الأعظم لقوله صلى الله عليه وسلم: (لم يفلح قوم ولّوا أمرهم امرأة). وكذا منصب القضاء، وغير ذلك، ﴿وبما أنفقوا من أموالهم﴾ أي من المهور، و النفقات و الكلف التي أوجبها الله عليهن في كتابه، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، فالرجل أفضل من المرأة في نفسه، و له الفضل عليها، والإفضال، فناسب أن يكون قيّما عليها كما قال الله تعالى:

﴿وللرجال عليهن درجة﴾.

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهم: ﴿الرجال قوامون على النساء﴾ يعني أمراء عليها أن تطيعه فيما أمرها به من طاعته، و طاعته أن تكون محسنة لأهله حافظة لماله)(٦)

وقال الإمام البغوي عليه رحمة الله: ﴿بما فضّل الله بعضهم على بعض﴾، يعني الرجال على النساء بزيادة العقل، والدين والولاية، و قيل: بالشهادة، لقوله تعالى: ﴿فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان﴾، و قيل بالجهاد وقيل بالعبادات من الجمعة والجماعة، وقيل هو الرجل ينكح أربعًا. ولا يحل للمرأة إلا زوج واحد، و قيل: بأن الطلاق بيده، و قيل: بالميراث، وقيل: بالدية، وقيل، بالنبوة) (٧).

وقال البيضاوي عليه رحمه الله: ﴿الرجال قوامون على النساء﴾ أي يقومون عليهن قيام الولاية على الرعية. وعلل ذلك بأمرين:

وهبي، وكسبي، فقال: ﴿بما فضل الله بعضهم على بعض﴾، بسبب تفضيله تعالى الرجال على النساء بكمال العقل، و حُسن التدبير، و مزيد القوة في الأعمال والطاعات، و لذلك خصوا بالنبوة والإمامة و الولاية، وإقامة الشعائر والشهادة في المجامع والقضايا، ووجوب الجهاد والجمعة ونحوها، وزيادة السهم في الميراث، و بأن الطلاق بيده ﴿و بما أنفقوا من أموالهم في نكاحهن كالمهر، والنفقة﴾ (٨).

إنَّ قوامة الرَّجُل إنَّما هي وظيفة شرعية جعلها الشارع للرجل، فالواجب عليه مراعاة النصوص الشَّرعيَّة عند مباشرة تلك الوظيفة، بأن يكون عادلاً في تعامُله، منصفًا في معاملته لزوجتِه، مراعيًا حقوقها وواجباتها، وقد نرى بعض التصرفات الشاذة والمنكرة من بعض الرجال في إساءة الواجب لوظيفة القوامة، وينسى هذا الصنف أو يتناسى الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تحذِّر الأزواج من ظلم زوجاتهم، وتبيِّن لهم حرمة الاعتداء على النساء سواء أكان ذلك الاعتداء ماديًّا أم معنويًّا، وهذا ممَّا جعل الكثير من أعداء الإسلام يتمسَّكون بمثل هذه القضايا لتشْويه صورة الإسلام والمسلمين.

إنَّ وظيفة القوامة تعني مسؤوليَّة الزَّوج عن إدارة دفَّة سفينة العائلة، وسياسة شؤون البيت ومراعاة أفراده، وعلى رأسهم الزَّوجة التي وصفها النَّبيُّ - صلَّى الله عليه وسلَّم - بأنَّها خير متاعِ الدُّنيا، وليس للزَّوج الحقُّ مطلقًا في استغْلال هذه الوظيفة في الإساءة للزَّوجة، والتَّقليل من شأنِها أو تكْليفها ما لا تطيق، فإنْ فعل فإنَّ للمرأة أن ترفع أمرها إلى وليِّها أو إلى القضاء، لينصفها ويمنع الإساءة عنها ويعطيها حقها الذي كفلته الشريعة السمحة.

ومن هذا يعلم أن الإسلام حينما جعل القوامة للرجل على المرأة، لم يقصد أبداً استبداد الرجل بالمرأة، و لا بإرادة الأسرة، ولم يُرد أن تكون تلك القوامة سيفًا مسلطًا على المرأة، و إنما شرع القوامة القائمة على الشورى، و التعاون والتفاهم، والمحبة، والتعاطف الدائم بين الزوجين ومع أفراد الأسرة، وهو ما حفظه التاريخ من تعامل نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم مع زوجاته وكذلك كانت سيرة أصحابه من بعده بتعامل راقٍ وخلق مميز، وهو ما سطّره الفقهاء في كتبهم في بيان حقوق الزوجة وعشرة النساء والتأكيد على القيام

بما شرع الله والحفاظ على روابط الأسرة والوئام فيما بينها. يقول تعالى: ﴿و عاشروهن بالمعروف﴾(٩) (سورة النساء من الآية ١٩). ويقول صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح (خيرُكم خيرُكم لأهلِه، وأنَا خيرُكم لأهلِي).

و يقول صلى الله عليه و سلم (أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا و ألطفه بأهله)(١١).
و يقول صلى الله عليه وسلم (الصلاة الصلاة، و ما ملكت أيمانكم؛ لا تكلفوهم ما لا يطيقون، الله الله في النساء، فإنهنعوان بين أيديكم أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله) (١٢) . وفي الصَّحيحين عن أبي هريرة، عن النَّبيِّ - صلَّى الله عليه وسلَّم - أنَّه قال: (واستوْصُوا بالنساء خيرًا) ففي هذه الأحاديث وغيرها بل وفي التطبيق العملي من المصطفى عليه الصلاة والسلام - كما أشرت__ ما يؤكد على الرِّفْق بالنِّساء وحسن معاملتهنَّ، وهذا من التكريم بل إن كونه طاعة وعبادة، فإنه تكريم ما بعده تكريم.
إن القوامة في الشريعة الإسلامية ليست مطلقة كما يريد البعض أن يظهرها كذلك أو كما يتوهمها البعض. بل إن لها مدى تقف عنده، و تنتهي إليه، فهي على سبيل المثال لا تمتد إلى حرية الدين، و المعتقد، فليس للزوج أن يُكره زوجته على تغيير دينها إذا كانت كتابية و لا أن يجبرها على اتباع رأي معين، أو اجتهاد محدد من الاجتهادات الفقهية إذا كانت من أهل القبلة مادام هذا الرأي لا يعتبر بدعة مضلة، ولا يخالف الحق وأهله. كما أن القوامة لا تمتد إلى حرية المرأة في أموالها الخاصة، و لا في المساواة بينها وبين الرجل في الحقوق التي أراد الله فيها المساواة، و ليس له طاعة إذا أمر بمعصية، لقوله صلى الله عليه وسلم: لا طاعة لأحد في معصية الله تبارك و تعالى).(١٤) ولعلنا نلحظ من هذا أن قوامة الرجل لا تمتد إلى الحقوق الأساسية للإنسان فلماذا يشنع أعداء الإسلام ودعاة ما يسمى بتحرير المرأة على أمر القوامة؟

إن كل عاقل يدرك أن المراد أبعد مما يحاولون إظهاره، بل كما قال تعالى: ﴿قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر﴾.

ومما يجب التنبه إليه أن تفضيل الرجال على النساء المذكور في الآية الكريمة المقصود منه كما قال العلماء تفضيل جنس الرجال على جنس النساء، وليس المراد منه تفضيل جميع أفراد الرجال على جميع أفراد النساء، وإلا فكم من امرأة تفضل زوجها في العلم والدين والعمل والرأي وغير ذلك، وفي ذلك يقول الشاعر:

فلو كان النساء كمن ذكرنا

لفُضلت النساء على الرجال

وهذه اللطيفة واحدة من لطائف وإعجاز أشار له علماء البلاغة حيث جاء النظم القرآني بتعبير: ﴿بما فضل الله بعضهم على بعض﴾ ولم يقل: بتفضيلهم عليهن، أوبتفضيله إياهم عليهن، مع أن فيها اختصاراً عن النظم القرآني، ولكن النص القرآني فيه من الحكم والبلاغة الشيء الكثير الذي لم يلتفت له بعد. اللهم إنا نسألك تمسكاً بديننا ونصرًا على أعدائنا وحفظاً لحرماتنا وسلامة من كيد الكائدين، اللهم آمين.

وصلى الله على نبينا محمد.

والسلام....


النفقة
على العيال

النفقة على العيال

يقول الله تعالى: ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ (البقرة:٢٣٣)، وقال سبحانه: ﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا مَا آتَاهَا﴾ (الطلاق:٧)

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ (سبأ:٣٩).

الإنفاق على الأهل والعيال عبادة عظيمة ثابتة بالكتاب والسنة، وورد الحث على الإنفاق وبيان فضله وعظيم ثوابه، بل ثبت أن

الإنفاق على من تلزمك نفقته أفضلُ من الإنفاق في سبيل الله، وأفضلُ من الإنفاق في الرقاب، وأفضلُ من الإنفاق على المساكين وذلك لأن الأهل ممن ألزمك الله بهم، وأوجب عليك نفقتهم، فالإنفاق عليهم فرض عين، والإنفاق على من سواهم فرض كفاية، وفرض العين أفضلُ من فرض الكفاية.

وقد يكون الإنفاق على من سواهم على وجه التطوع، والفرض أفضلُ من التطوع ؛ لقوله تعالى في الحديث القدسي: (ما تقرب إليّ عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضته عليه) (١١٣) .

تأمل أبا هريرة رضي الله عنه حيث قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (دينار أنفقته في سبيل الله، ودينار أنفقته في رقبة، ودينار تصدقت به على مسكين، ودينار أنفقته على أهلك، أعظمها أجرًا الذي أنفقته على أهلك) رواه مسلم (١٠٤) .

وفي حديث ثوبان ابن بجدد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أفضل دينار ينفقه الرجل دينار ينفقه على عياله، ودينار ينفقه على دابته

في سبيل الله، ودينار ينفقه على أصحابه في سبيل الله) رواه مسلم (١٠٥) .

وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله، هل لي أجر في بني أبي سلمة أن أنفق عليهم، ولست بتاركتهم هكذا وهكذا إنما هم بنيّ؟ فقال:(نعم لك أجر ما أنفقتِ عليهم) متفق عليه (١٠٦)

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه في حديثه الطويل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له: (وإنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت بها، حتى ما تجعل في فِي امرأتك) متفق عليه (١٠٧) . ومعنى في فِي امرأتك أَيْ فِي فَمِهَا والمعنى: تثاب على ما تنفقه على زوجتك من طعام وغيره، أو المراد ما تطعمه زوجتك بيدك مؤانسة وحسن معاشرة، وكلاهما معنيان صحيحان.

وعن أبي مسعود البدري رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إذا أنفق الرجل على أهله نفقة يحتسبها فهي له صدقة) متفق عليه (١٠٨) .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت) حديث صحيح أخرجه أبو داود (١٠٩) وغيره.

وأخرجه مسلم في صحيحه بمعناه قال: (كفى بالمرء إثماً أن يحبس عمن يملكُ قوتَه) (١١٠).

٢٩٦/٧ وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (اليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول، وخير الصدقة ما كان عن ظهر غنى، ومن يستعفف يعفه الله ومن يستغن يغنه الله) رواه البخاري (١١٢) .

ومن اللطائف تسمية النفقة الواجبة للزوجة والعيال صدقة وفي هذا يقول

الطبري ما ملخصه: الإنفاق على الأهل واجب، والذي يعطيه يؤجر على ذلك بحسب قصده، ولا منافاة بين كونها واجبة وبين تسميتها صدقة، بل هي أفضل من صدقة التطوع.

وقال المهلب: النفقة على الأهل واجبة بالإجماع، وإنما سماها الشارع صدقة خشية أن يظنوا أن قيامهم بالواجب لا أجر لهم فيه، وقد عرفوا ما في الصدقة من الأجر فعرّفهم أنها لهم صدقة، حتى لا يخرجوها إلى غير الأهل إلا بعد أن يكفُوهم؛ ترغيبًا لهم في تقديم الصدقة الواجبة قبل صدقة التطوع.

وقال ابن المنير: تسمية النفقة صدقة من جنس تسمية الصداق نحلة، فلما كان احتياج المرأة إلى الرجل كاحتياجه إليها - في اللذة والتأنيس والتحصين وطلب الولد - كان الأصل أن لا يجب لها عليه شيء، إلا أن الله خص الرجل بالفضل على المرأة بالقيام عليها ورفعه عليها بذلك درجة، فمن ثم جاز إطلاق النحلة على الصداق، والصدقة على النفقة. أهـ

ومن المواقف النبوية التي يجب التوقف عندها والتأمل فيها ما حدثت به أمُّنا عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: جَاءَتْنِي مِسْكِينَةٌ تَحْمِلُ ابْنَتَيْنِ لَهَا، فَأَطْعَمْتُهَا ثَلَاثَ تَمَرَاتٍ، فَأَعْطَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا تَمْرَةً، وَرَفَعَتْ إِلَى فِيهَا تَمْرَةً لِتَأْكُلَهَا، فَاسْتَطْعَمَتْهَا ابْنَتَاهَا، فَشَقَّتِ التَّمْرَةَ، الَّتِي كَانَتْ تُرِيدُ أَنْ تَأْكُلَهَا بَيْنَهُمَا، فَأَعْجَبَنِي شَأْنُهَا، فَذَكَرْتُ الَّذِي صَنَعَتْ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «إِنَّ اللهَ قَدْ أَوْجَبَ لَهَا بِهَا الْجَنَّةَ، أَوْ أَعْتَقَهَا بِهَا مِنَ النَّارِ» رواه مسلم.
ولعلك تتأمل وتتساءل ما الذي أوجب لهذه المرأة الجنة؟ هل هي التمرة التي تصدقت بها؟ أوهناك شيء آخر؟

لعل الجواب، والله أعلم، أن السبب كونها بذلت كل ما معها مع حاجتها الماسة وأنها قدمت ما معها بروح عالية في البذل والعطاء لأقرب الناس وهم الذرية.

ومع ذلك فإن الصدقة مهما قلّت ولو بالتمرة فيها فضل عظيم بل وبنصفها كما جاء في الحديث (اتقوا النار ولو بشق تمرة)

يقول الشيخ محمد العثيمين رحمه الله: وممن تجب لهم النفقة كذلك الأقارب، قال الله تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَى﴾ (النساء:٣٦) فالقريب له حق في أن ينفق عليه قريبه، يعني أن يبذل له من الطعام والشراب والكسوة والسكنى ما يقوم بكفايته، لكن يشترط لذلك شروط:

الشرط الأول: أن يكون المنفق قادراً على الإنفاق؛ فإن كان عاجزاً فإنه لا يجب عليه الإنفاق، لقوله تعالى: ﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا مَا آتَهَا﴾ أي: إلا ما أعطاها (الطلاق:٧)

الشرط الثاني: أن يكون المنفَق عليه عاجزاً عن الإنفاق على نفسه، فإن كان قادراً على الإنفاق على نفسه فنفسه أولى، ولا يجب على أحد أن ينفق عليه؛ لأنه مستغن، وإذا كان مستغنياً، فإنه لا يستحق أن ينفق عليه.

الشرط الثالث: أن يكون المنفق وارثاً للمنفق عليه؛ لقوله تعالى: ﴿وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ﴾ (البقرة:٢٣٣) فإن كان قريباً لا يرثه؛ فلا يجب عليه الإنفاق.

فإذا تمت الشروط الثلاثة؛ فإنه يجب على القريب أن ينفق على قريبه ما يحتاج إليه من طعام، وشراب، ولباس، ومسكن، ونكاح، وإن كان قادراً على بعض الشيء دون بعض؛ وجب على القريب الوارث أن يكمل ما نقص؛ لعموم قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ﴾ (البقرة:٢٣٣)

والأمر الذي يجب ألا يغيب عنا طرفة عين حين الإنفاق على الأهل وبذل المال وشراء الحاجيات مهما قلت أو كانت يسيرة ولو قطع الخبز وعلبة الماء يجب ألا يغيب عنا طرفة عين استحضار الاحتساب في النفقة، قال ابن بطال رحمه الله بعد أن ساق حديث سعْد بْن أَبِي وَقَّاص رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّه صلى الله عليه وسلم قَالَ لَهُ: وَإِنَّك لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّه إِلَّا أُجِرْت عَلَيْهَا حَتَّى مَا تَجْعَلُ فِي فِي امْرَأَتك. رواه البخاري. وحديث أَبِي مَسْعُود الْبَدْرِيِّ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: إِذَا أَنْفَقَ الرَّجُلُ عَلَى أَهْله نَفَقَةً وَهُوَ يَحْتَسِبُهَا كَانَتْ لَهُ صَدَقَةً. أخرجه البخاري ومسلم، قال ابن بطال: ألا ترى أنه جعل الأجر في هذين الحديثين للمنفق على أهله بشرط احتساب النفقة عليهم، وإرادة وجه الله بذلك. وبهذا المعنى نطق التنزيل قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ (البينة:٥). وقال رحمه الله: يُنْفِق عَلَى نَفْسه وَأَهْله وَمَنْ تَلْزَمُهُ النَّفَقَةُ عَلَيْه غَيْرَ مُقَتِّر عَمَّا يَجِبُ لَهُمْ وَلا مُسْرِف فِي ذَلِكَ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ (الفرقان:٦٧) وَهَذِهِ

النَّفَقَةُ أَفْضَلُ مِنْ الصَّدَقَةِ وَمِنْ جَمِيعِ النَّفَقَاتِ..

ليبشر المنفق بالخلف فإن هذا وعد الله يقول تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ (سبأ:٣٩) ورسولنا يقول صلى الله عليه وسلم: مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الآخَرُ اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا. أخرجه البخاري ومسلم

وليحذر المسلم من البخل والمنع والتضييق على من تحت يده فإنه من أعظم الإثم كما ثبت في الحديث، وفي زماننا وجد ــــ والله المستعان- من يَشِحُّ على أهله وعياله بالنفقة ويضيق عليهم وربما ألجأهم هذا التضييق لطريق محرم أو لسؤال الناس وربما أدى بهم هذا التصرف لتمني موته وزواله. فيحبس ماله عنهم وربما بخل على نفسه فهو يحرم نفسه التمتع بما أباح الله له ويضيع على نفسه الأجر والحب وسيتمتع ورثته من بعده بماله وسيفرحون وقتذاك بزواله ووفاته.

اللهم إنا نعوذ بك من الشح والبخل اللهم ولا تجعل الدنيا أكبر همنا اللهم وأغننا بحلالك عن حرامك.

وصل اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

والسلام عليكم ورحمة الله.


الهجر

الهجر

يقول الله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ۚ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ۚ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ (النساء: ٣٤).

ويقول سبحانه ﴿والرجز فاهجر﴾ (المدثر: ٥).

وقال جل وعلا ﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾

وقال تعالى: ﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾ (مريم: ٤٦)

الهجر: ضد الوصل كما قاله ابن منظور. لسان العرب ٥/ ٢٥٠.

وقال المناوي: «الهجر والهجران: مفارقة الإنسان غيره، إما بالبدن، أو باللسان، أو بالقلب، والهجرة والمهاجرة في الأصل: مفارقة الغير ومتاركته» (التعاريف ١/ ٧٣٨).

فالهجر يكون بالبدن كما في قوله تعالى: ﴿واهجروهن في المضاجع﴾ (سورة النساء: ٣٤) ويكون باللسان أو بالقلب، كما في قوله تعالى: ﴿إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً﴾ (سورة الفرقان: ٣٠)

وأما قوله عز و جل: ﴿و اهجرهم هجراً جميلاً﴾ (سورة المزمل: ١٠) فهو محتمل للهجر بالبدن و القلب و اللسان.

و قوله سبحانه: ﴿و الرجز فاهجر﴾ (سورة المدثر: ٥) حث على المفارقة بالوجوه كلها.

وقال ابن حجر: (فتح الباري ٢٨/ ٢١١، الدرر السنية ٤/ ٢١٦.) والهجر: إما أن يكون ديانة من باب العبادة، وهو الهجر لحق الله تعالى، وذلك في هجر السيئة، وهجر فاعلها. وقد ورد في ذلك قولُه تعالى: ﴿والرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ (المدثر: ٥)، وقولُه سبحانه: ﴿واهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَميلًا﴾ (المزمل: ١٠). وقولُه تعالى: ﴿وإذَا رَأَيْتَ الَذينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِه وإمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ القَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (الأنعام: ٦٨). وقد نقل البغوي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في تفسير هذه الآية: «دخل في هذه الآية كل محدث في الدين، وكل مبتدع إلى يوم القيامة»(تفسير البغوي ١/ ٤٩١.). وكذلك قوله تعالى: ﴿وقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الكتَاب أَنْ إذَا سَمعْتُمْ آيَات الله يُكْفَرُ بهَا ويُسْتَهْزَأُ بهَا فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَديثٍ غَيْره إنَّكُمْ إذًا مِّثْلُهُمْ﴾ (النساء: ١٤٠).

والهجر لحق الله تعالى يكون بترك المنكرات، وهجر من يظهر المنكرات عقوبةً له، وتعزيرًا له لعله يرتدع ويتوب، وبيان عدم موافقة الإنسان له وعدم رضاه بفعله.

وقد ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، فقال: «الهجر الشرعي نوعان: أحدهما: بمعنى الترك للمنكرات، والثاني: بمعنى العقوبة عليها، فالأول هو المذكور في قوله تعالى: ﴿وإذَا رَأَيْتَ الَذينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَديث غَيْره وإمَّا يُنسيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ القَوْم الظَّالمينَ﴾ (الأنعام: ٦٨) فهذا يراد به أنه لا يشهد المنكرات لغير حاجة مثل قوم يشربون الخمر يجلس عندهم، وقوم دعوا إلى وليمة فيها خمر وزمر لا يجيب دعوتهم وأمثال ذلك، بخلاف من حضر عندهم للإنكار عليهم، أو حضر بغير اختياره، ولهذا يقال حاضر المنكر كفاعله.

ثم قال: النوع الثاني: الهجر على وجه التأديب، وهو هجر من يُظهر المنكرات يُهجر حتى يتوب منها»(مجموع الفتاوى ٢٨/ ٢٠٣- ٢٠٤).

وإما أن يكون الهجر لتحقيق مصلحة دنيوية ولاستصلاح أمر ما من أمور الدنيا، فهو هجر لحق العبد ولمصلحته، وفيه جاءت الأحاديث التي تنهى عن الهجر أكثر من ثلاث ليال، ومن ذلك:

حديث أنس بن مالك -رضي الله عنه-: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخواناً، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث»(صحيح البخاري ٥/ ٢٢٥٣، برقم: ٥٧١٨. صحيح مسلم ٤/ ١٩٨٢، برقم: ٢٥٥٨).

وحديث أبي أيوب الأنصاري -رضي الله عنه-: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا يحل لرجل أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال، يلتقيان فيعرض هذا، ويعرض هذا، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام»(صحيح البخاري ٥/ ٢٢٥٦، برقم: ٥٧٢٧).

وحديث أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس، فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئًا إلا رجلًا كانت بينه وبين أخيه شحناء، فيقال: أنظروا هذين حتى يصطلحا، أنظروا هذين حتى يصطلحا أنظروا هذين حتى يصطلحا»(صحيح مسلم ٤/ ١٩٨٧، برقم: ٢٥٦٥.)، ومن طريق آخر عند مسلم: «إلا المتهاجرين».

وحديث أبي هريرة -رضي الله عنه-: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا يحل لمؤمنٍ أن يهجر مؤمناً فوق ثلاث، فإن مرّت به ثلاث فليلقه فليسلم عليه، فإن رد عليه السلام فقد اشتركا في الأجر، وإن لم يرد عليه فقد باء بالإثم» (سنن أبي داود ٢/ ٦٩٦، برقم: ٤٩١٢. قال الألباني: حسن لغيره، انظر: صحيح الترغيب والترهيب ٣/ ٣١،برقم: ٢٧٥٧).

وحديث أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث، فمن هجر فوق ثلاث فمات دخل النار»(سنن أبي داود ٢/ ٦٩٦، برقم: ٤٩١٤. قال الألباني: صحيح، انظر: صحيح وضعيف سنن أبي داود ١٠/ ٤١٤،

برقم: ٤٩١٤).

وظاهر من هذه الأحاديث تحريم الهجر فوق ثلاث والتشديد فيه وبيان خطره وعقوبته، ولذا لا يجوز للمسلم أن يهجر أخاه بسبب أمر دنيوي أكثر من ثلاث ليال. وبه يعلم خطورة ما يقع بين المسلمين والمسلمات من تهاجر وتباغض وتدابر فإنه محرم ومنكر ومتوعد من وقع فيه بالنار، نسأل الله السلامة منها.

ويعظم الخطب ويسوء الأمر إن كان من يهجره من ذوي الأرحام وممن له حق الصلة فالإثم أعظم والذنب أكبر والعقوبة أشد، فليحذر المسلم من الوقوع في هذا والتعرض لغضب الله ومقته.

وقد ذكر الغزالي رحمه الله رأيًا تفرد به حيث قال: «الهجر فوق ثلاث جائز في موضعين:

أحدهما: أن يرى فيه إصلاحاً للمهجور في الزيادة.

الثاني: أن يرى لنفسه سلامة فيه»(إحياء علوم الدين ٢/ ٢٢٣).

وقد نتساءل متى لا يعد المسلم هاجرًا لأخيه ومتى لا تعد المرأة هاجرة لأختها فالجواب في حديث هشام بن عامر -رضي الله عنه- قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لا يحل لمسلم أن يهجر مسلمًا فوق ثلاث ليال، فان كان تصادرا فوق ثلاث، فإنهما ناكبان عن الحق ما داما على صَرَامهما، وأولهما فيا فسبْقُه بالفيء كفارتُه، فإن سلم عليه فلم يرد عليه ورد عليه سلامه ردت عليه الملائكة ورد على الآخر الشيطان، فان ماتا على صَرَامهما لم يجتمعا في الجنة أبدًا» (مسند أحمد بن حنبل ٤/ ٢٠، برقم: ١٦٣٠١.

تعليق شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم رجاله ثقات رجال الشيخين. مسند أحمد بن حنبل ٤/ ٢٠).

فهذا الحديث وغيره دل على أنّ الهجر يزول بالسلام، وهو أقل أحوال الصلة، وهذا من فضل الله ورحمته، فلا أقل من أن يفعله المسلم مع أخيه والمرأة مع أختها عند وجود تهاجر.

قال ابن الأمير الصنعاني: «وفيه دلالة على زوال الهجر له بردّ السلام، وإليه ذهب الجمهور ومالك والشافعي وقيل: ينظر إلى حال المهجور: فإن كان خطابه بما زاد على السلام عند اللقاء مما تطيب به نفسه ويزيل علّة الهجر كان من تمام الوصل وترك الهجر، وإن كان لا يحتاج إلى ذلك كفى السلام»سبل السلام ١/ ٢٣٢.

وليس المقصود أن الهجر لا يزول إلا بالسلام فقط، بل قد يزول بغير السلام من المكاتبة والمراسلة والاتصال بكل الوسائل الحديثة؛ والهدية والصلة، لأن هذا مما يزيل ما قطعه الهجر من الوصل.

إذا كان الأصل في الهجر أنه منهي عنه ومحرم فقد ذكر أهل العلم أن الثلاثة أيام تكفي لإذهاب ما في النفوس من الشحناء والنزاع وإزالة داعي الهوى وحظوظ النفس التي تعتمل فيها، وقد جعل الشرع - كما في الحديث السابق - خير الرجلين الذي يبدأ صاحبه

بالسلام ومن ذا الذي يسلم من شحناء بينه وبين زملائه وإخوانه بل وقرابته، ولذا كان أهل الفضل والسبق من السلف الصالح حريصين على معالجة هذه المواقف ورد الهوى وضبط النفس وكبح جماحها وتطبيق الهدي النبوي، بإصلاح ذات البين، فعن أبي الحسن المدائني قال: «جرى بين الحسن بن علي و أخيه الحسين كلام حتى تهاجرا، فلما أتى على الحسن ثلاثة أيام من هجر أخيه أقبل إلى الحسين وهو جالس فأكبّ على رأسه فقبله فلما جلس الحسن قال له الحسين: إن الذي منعني من ابتدائك والقيام إليك أنك أحق بالفضل مني فكرهت أن أنازعك ما أنت أحق به».

والهجر والقطيعة مما حرمه الله ولا يحرّم الله تعالى إلا ماله ضرر وأثر سيئ على الفرد

والمجتمع ومن أضرار الهجر:

أنه صفة قبيحة تسبب سخط الله عز وجل على المتهاجرين، والمتقاطعين.

وهو سبب في تأخير المغفرة من الله عز و جل.

وسبب لرد العمل الصالح وعدم رفعه وقبوله.

والهجر من وسائل وحبائل الشيطان التي يغوي بها من أطاعه، واتبعه حتى يسوقهم إلى الجحيم.

وقد ورد عن مجاهد أنه قال: «الأقلف موقوف عمله حتى يختتن، والصارم (الهاجر) الظالم موقوف عمله حتى يفيء.

وما من شك أن الذي يدفع إلى الهجر بدون مبرر شرعي هو اتباع أهواء النفوس، واتباع وساوس الشيطان التي يغوي بها ضعيفي الإيمان حتى يسوقهم إلى التنافر والتقاطع، ويجر إلى البغضاء والعداء بين المسلمين، ومن ثم فإن المجتمع المسلم لا تقوم له قائمة ما داموا متنازعين مختلفين كما قال تعالى: ﴿ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب وريحكم واصبروا﴾ فالواجب الصبر والتحمل وعدم طاعة

النفس والهوى والشيطان في قطيعة أخيك المسلم وأنتِ أيتها المباركة احذري طاعة النفس والهوى والشيطان في قطيعة أختك المسلمة.

وتأمل هل تستحق هذه الدنيا أن تقع القطيعة والتهاجر بين المسلمين؟! فكيف ستقابل الله تعالى وأنت هاجر لأخيك؟!

والدنيا قصيرة لا تستحق أن تضيع وقتك وصحتك فيما لا يفيدك بل يضرك دنيا وأخرى.

وقد يكون أخوك الذي هجرته لم يدرِ عنك ولم يشعر بك ولم يفكر فيك؛ فأنت وحدك من تتضرر وتحترق في داخلك فتنبه. وتوقف.

وتأمل هذا الحديث العظيم وتفكر في هذا الأثر الخطير؛ فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تُفتح أبواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس، فيُغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئًا إلا رجلًا كانت بينه وبين أخيه شحناء، فيُقال: أَنظِروا هذين حتى يصطلحا» الحديث.

فالحذر الحذر من التهاجر والتقاطع والتدابر ولنعمل بالتوجيه النبوي الكريم (وكونوا عباد الله إخوانا).

اللهم إنا نعوذ بك من التهاجر والتدابر والتقاطع ونعوذ بك من الشيطان الرجيم وتسلطه وأعوانه وجنوده.

وصل اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

والسلام


الوسواس

الوسواس

يقول تعالى: ﴿فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوءاتهما﴾ (الأعراف: ٢٠)

وقال سبحانه ﴿فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى﴾ (طه: ١٢٠)

ويقول جل وعلا ﴿ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه﴾ (ق: ١٦)

ويقول جل من قائل: ﴿قل أعوذ برب الناس ملك الناس إله الناس من شر الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس﴾

الوسوسة والوسواس مرض يبتلى به البعض من الناس، ومنه الوسواس القهري وهو مرض يأتي بصورة أفعال وأفكار تتسلط على المريض وتضطره لتكرارها، وإذا لم يكرر الفعل أو يتسلسل مع الفكرة يشعر المريض بتوتر، ولا يزول هذا التوتر إلا إذا كرر الفعل، وتسلسل مع الفكرة. وبعد أن يتطاوع الوسواس يعاوده الدافع للفعل ثانية. ولا يزول المرض بهذا بل يتمكن منه ويزيده وتسوء حالته.

ويمكن وصفه بأنه مبالغة خارجة عن الاعتدال، فقد يفعل الأمر - مكرراً له - حتى يفوت المقصد منه، مثل أن يعيد الوضوء مراراً حتى تفوته الصلاة، أو يكرر آية، أو نحو ذلك حتى يسبقه الإمام بركن أو أكثر، وقد يتمكن منه الوسواس فيترك العمل بالكلية، وهذا هو المقصد الأساس الذي يريده الشيطان من تلك الوسوسة.

والشيطان له الدور الأكبر في الوسوسة، فعن ابن عباس رضي عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم «قال جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله إن أحدنا يجد في نفسه- يعرِّضُ بالشيء - لأن يكون حُمَمَةً أحب من أن يتكلم به فقال: الله أكبر الله أكبر الله أكبر، الحمد لله الذي رد كيده إلى الوسوسة» رواه أحمد وأبو داود.

وربما كان هناك أسباب أخرى مع تسلط الشيطان.

والوسواس القهريّ، كما يقول أهل العلم، نوعان: نوع طبي؛ يجب على من أصيب به أن



يراجع فيه الأطباء المتخصِّصين في الطب النفسي، ويحرص على طبيب مسلم ثقة مجرب.

والنوع الثاني مِن الوسواس إنما هو من عمل الشيطان؛ يريد به أن يُفسد دين المسلم وعبادته وإيمانه، ولا شك أن علاج هذا النوع هو دفْع تلك الوساوس؛ لأَنَّ التمَسُّك بها اتباع للشيطان؛ فيجب إبعادها عن النفس وإهمالها، وعدم الالتفات إليها، أو الاستسلام لها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «والوسواس يعرض لكل مَن توجَّه إلى الله، فينبغي للعبد أن يَثبُت ويصبر ويلازم ما هو فيه من الذكر والصلاة، ولا يضجر؛ لأنه بملازمة ذلك ينصرف عنه كيد الشيطان؛ ﴿ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ (النساء: ٧٦)، وكلما أراد العبد توجهًا إلى الله بقلبه، جاء الوسواس من أمور أخرى، فإن الشيطان بمنزلة قاطع الطريق، كلما أراد العبد أن يسير إلى الله أراد قطْعَ الطريق عليه». اهـ.

وقال ابن حجر الهيتمي: «للوسواس دواء نافع هو الإعراض عنه جملة، وإن كان في النفس من التردُّد ما كان، فإنه متى لم يلتفتْ لذلك، لم يثبت، بل يَذهَب بعد زمن قليل، كما جرَّب ذلك الموفَّقون، وأما مَن أصغى إليها، فإنها لا تزال تزداد به حتى تخرجه إلى حيز المجانين، بل وأقبح منهم، كما شاهدناه في كثير ممن ابتلوا بها، وأصغوا إليها وإلى شيطانها». اهـ.

وقال العز بن عبدالسلام: «دواء الوسوسة أن يَعتَقد أن ذلك خاطرٌ شيطاني، وأن إبليس هو الذي أورده عليه، وأن يقاتله، فإن له ثواب المجاهد؛ لأنه يحارب عدوَّ الله، فإذا استشعر ذلك فرَّ منه». اهـ.

ويقول الشيخ ابن باز رحمه الله: هذه الوساوس التي يبتلى بها بعض الناس في الوضوء أو في الصلاة أو في غير ذلك كلها من الشيطان، والله أرشدنا سبحانه للتعوذ منه فقال عز وجل: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۞ مَلِكِ النَّاسِ ۞ إِلَهِ النَّاسِ ۞ مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾، فعليك أن تتعوذ بالله من شر هذا العدو دائماً، عند الوضوء وعند الصلاة وفي غير هذا من شئونك إذا هجم عليك بالوسوسة فهو عدوك، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ (فاطر:٦)، ويقول عز وجل: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ (الأعراف:٢٠٠)، فعليك أن تستعيذ بالله عند الوضوء عند الصلاة، حاربه محاربة قوية، فإذا توضأت فلا ترجع تقول: ما توضأت وأنت ترى يديك مغسولة ترى وجهك مغسول ترى رجليك مغسولة تُكذِّب عينك وترجع إلى طاعة الشيطان؟!! فاستقم إذا توضأت لا ترجع سواءٌ مرة أو مرتين أو ثلاث النهاية ثلاث، إذا غسلت العضو ثلاث مرات انتهى لا تزِد على هذا شيئاً، النبي -صلى الله عليه

وسلم- ما زاد على الثلاث، وجاء عنه أنه قال: (من زاد فقد أساء وتعدى وظلم)، فليس لك الزيادة، إذا تمضمضت واستنشقت مرة أو مرتين أو ثلاث! ولا توسوس واحذر، وإذا غسلت وجهك ثلاثاً فهذا هو النهاية إذا مر الماء عليه ثلاث مرات، وهكذا إذا غسلت وجهك ويديك كذلك اليمنى واليسرى كل واحدة ثلاث، ويكفي مرة أن يعمها الماء أو مرتان يكفي، لكن الثلاث هي النهاية، ثم تمسح رأسك مع أذنيك مرة واحدة بالماء، ثم تغسل رجليك اليمنى ثلاثاً واليسرى ثلاثاً، ويجوز مرتين ويجوز مرة إذا عمها الماء، فلا تطع الشيطان لا بد من الحرب مع عدو الله، وكن قويا، يقول النبي -صلى الله عليه وسلم-: (المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف)، لا تكن ضعيفاً للشيطان عدوك، لو جاء أحدٌ من الناس يخاصمك أو يطالبك بشيء ألا تكون قوياً في دفع الشر عنك بالخصومة، أو يريد ضربك ألا تكون قوياً في دفعه، هذا أعدى، هذا خبيث، يريد هلاكك يريد دخولك النار، فلا بد أن تكون قوياً في حربه في الوضوء في الصلاة وفي كل شيء، استحضر عقلك، اعرف أنك معادًى وأنه خصمك وأنه عدوك وأنه حربٌ لك، فكيف تطاوعه؟ لا بد من قوة ولا بد من تعوذ بالله من الشيطان حتى تسلم من شره ومكائده، واسأل ربك العافية من شره، وكن قوياً لا تتساهل مع ذلك، ولا تمل إليه تقول: أخاف ما كمَّلت، لا، اجزم أنك كملت وأنك أديت الواجب، وانتقل إلى العضو الثاني وهكذا، وإذا كملت فلا تعد تقول ما توضأت أو ما صليت، لا، الحمد لله، اجزم بأنك فعلت حتى لا يهزمك عدوك، وحتى لا يستولي عليك ويجعلك ضمن المجانين. انتهى كلامه رحمه الله.

ولتغلب العبد على الوسواس الذي يصيبه في عبادته و أفكاره عليه أن يصدق في الالتجاء إلى الله تعالى: ويلهج بالدعاء والذكر ليكشف عنه الضر ويدفع عنه البلاء، وليطمئن قلبه.

قال تعالى: ﴿أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أإله مع الله قليلاً ما تذكرون﴾. (النمل:٢٦)

وقال تعالى:﴿الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾ (الرعد: ٨٢)

ومما يندفع به الوسواس الاستغفار، فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة، فأما لمة الشيطان فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق، وأما لمة الملك فإيعاد بالخير وتصديق بالحق، فمن وجد ذلك فليعلم أنه من

الله فليحمد الله، ومن وجد الأخرى فليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم ثم قرأ (الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء) رواه الترمذي.

وعن عثمان بن أبي العاص قال: يا رسول الله: إن الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وقراءتي يلبسها عليّ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ذاك شيطان يقال له خنزب، فإذا أحسسته فتعوذ بالله منه، واتفل عن يسارك ثلاثاً. قال: ففعلت ذلك فأذهبه الله عني» رواه مسلم.

وغرض الشيطان من تلك الوسوسة - كما بيّنها حديث عثمان - أن يلبس على العبد صلاته ويفسدها عليه، وأن يحول بينه وبين ربه، فيندفع هذا الكيد بالاستغفار والاستعاذة.

قال ابن القيم: «ولما كان الشيطان على نوعين: نوع يرى عياناً وهو شيطان الإنس، ونوع لا يرى وهو شيطان الجن، أمر سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يكتفي من شر شيطان الإنس بالإعراض عنه والعفو والدفع بالتي هي أحسن، ومن شيطان الجن بالاستعاذة بالله منه» أ.هـ

قال تعالى: ﴿وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم﴾ (الأعراف: ٢٠٠) قال ابن كثير في تفسيره: فأما شيطان الجن فإنه لا حيلة فيه إذا وسوس إلا الاستعاذة بخالقه الذي سلطه عليك، فإذا استعذت بالله والتجأت إليه كفه عنك ورد كيده) اهـ

ومن الأمور النافعة- كذلك في علاج الوسوسة استحضار القلب والانتباه عند الفعل وتدبر ما هو فيه من فعل أو قول، فإنه إذا وثق من فعله وانتبه إلى قوله وعلم أن ما قام به هو المطلوب منه كان ذلك داعياً إلى عدم مجاراة الوسواس، وإن عرض له فلا يسترسل معه لأنه على يقين من أمره ومن ذلك في الوضوء مثلاً: أن يتوضأ من إناء فيه قدر ما يكفي للوضوء بلا زيادة، ويجاهد نفسه أن يكتفي به، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ بأقل منه. وفي باب التطهر من النجاسة يحاول رش المحل الذي يعرض له فيه الوسواس بالماء، ويقنع نفسه أن ما يجده من بلل هو من أثر الماء لا من النجاسة. وفي الصلاة يجتهد في متابعة الإمام، حتى ولو خيل إليه أنه لم يأت بالذكر المطلوب، وإذ قرأ الإمام ينصت له، ويقرأ معه الفاتحة إن كان ممن يرى وجوب قراءتها على المأموم في الصلاة الجهرية، وهكذا يحاول اتخاذ حلول عملية، يدرب نفسه عليها شيئاً فشيئاً. والله أعلم، وهو الكاشف لكل ضر والرافع لكل بلوى.

اللهم اشف كل مريض وعاف كل مبتلى وارفع الضر والبأس عن كل مسلم.

ومما يُعين المرء على دفع الوسواس والتغلب عليه:

١- الالتجاء إلى الله تعالى بالدعاء بِصدق وإخلاص؛ كي يُذهِب عنك هذا المرض.

٢- الإكثار من قراءة القرآن، والمحافظة على ذكر الله تعالى في كلِّ حال، لا سيما أذكار الصباح والمساء، وأذكار النوم والاستيقاظ، ودخول المنزل والخروج منه، ودخول الحمام والخروج منه، والتسمية عند الطعام، والحمد بعده، وغير ذلك؛ فقد روى أبو يَعلَى، عن أنس، أن النبي - صلى الله عليه وسلم -: قال: (إن الشيطان وضع خَطْمَه على قلب ابن آدم، فإن ذكر الله خَنَس، وإن نَسِي التقم قلبه، فذلك الوَسْوَاس الخنَّاس)، وننصحك بشراء كتاب «الأذكار»؛ للإمام النووي، ومعاودة القراءة فيه دائمًا.

٣- الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم، والإعراض عن وَسْوَسَته، وقطع الاسترسال مع خطواته الخبيثة في الوسوسة؛ فذاك أعظم علاج، وفي الصحيحين، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (يأتي أحدَكم الشيطانُ، فيقول: مَن خلق كذا وكذا؟ حتى يقول له: مَن خلق ربَّك؟ فإذا بلغ ذلك، فليَسْتَعذْ بالله وليَنْتَه)، وعن عثمان بن أبي العاص قال: «يا رسول الله، إن الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وقراءتي يلبسها عليَّ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (فإذا أحسستَه، فتعوَّذ بالله منه، وَاتْفُلْ عن يسارِك ثلاثًا)، قال: ففعلتُ ذلك، فأذْهَبَهُ الله عني»؛ رواه مسلم.

٤- الانشغال بالعلوم النافعة، وحضور مجالس العلم، ومجالسة الصالحين، والحذَر من مجالسة أصحاب السوء، أو الانفراد والانعزال عن الناس.

٥- الإكثار من الطاعات والبُعد عن الذنوب والمعاصي.

أما ما تلفَّظتَ به، أو صدر منك بغير قصد ولا تعمد منك، فلستَ مُؤاخذًا به؛ لقول الله تعالى: ﴿ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ﴾ (الأحزاب: ٥)، وقول النبي - صلى الله عليه وسلم -: (إن الله تجاوَز عن أمتي الخطأ، والنسيان، وما استُكرِهُوا عليه)؛ رواه ابن ماجَهْ، وابن حبَّان، وغيرهما.

وراجع على موقعنا الاستشارتين: «الوساوس في الصلاة»، و«الله أكبر، الحمد لله الذي رد كيده إلى الوسوسة».


أمهات
المؤمنين

أمهات المؤمنين

قال تعالى: ﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم﴾ (الأحزاب:٦)

أمهات المؤمنين أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنهن، لهن مكانة عالية في الإسلام قال تعالى عنهن ﴿يا نساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن﴾ وقال في حقهن مع أهل بيته ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا واذكرن ما يتلى في بيوتكن﴾

في سيرة زوجات النبي صلى الله عليه وسلم أمهات المؤمنين -رضي الله عنهن أجمعين-، الكثير من المواقف المشرفة والأحداث الهامة والأثر المبارك على الإمة جمعاء وعلى النساء خاصة فهن معلمات وقدوة لنساء البشرية.

وقد ذكر الحافظ العراقي الاختلاف في عدد أزواج النبي اللاتي دخل بهن على قولين أنهن اثنتا عشر أو إحدى عشر وسبب الاختلاف هو في مارية القبطية، هل هي زوجة له أم ملك يمين، فالمتفق عليه من زوجاته إحدى عشر:

- خديجة بنت خويلد -رضي الله عنها-: وفي شأنها قال عليه الصلاة والسلام: (أفضل نساء الجنة: خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، ومريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم)

وسَوْدةُ بنت زمْعَة - رضي الله عنها: أول زوجة بعد وفاة خديجة رضي الله عنهما.

وعائشة بنت أبي بكر الصديق - رضي الله عنهما-: وكانت أحبَّ أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه، كما ثبت عنه ذلك في البخاري وغيره وقد سُئل: أيُّ الناس أحبُّ إليك؟ قال: (عائشة) قيل: فمن الرجال؟ قال: (أبوها)، كما أنه لم يتزوج امرأة بكراً غيرها، وكان الوحي ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في لحافها دون غيرها (٨).

وحفصة بنت عمر بن الخطاب - رضي الله عنهما-: ومن فضلها أن النبي صلى الله عليه وسلم طلقها، فأتاه جبريل فقال: (إن الله يأمرك أن تراجع حفصة فإنها صوّامة قوّامة،

وإنها زوجتك في الجنة) (١٥).

وزينب بنت خزيمة - رضي الله عنها- وتسمى أم المساكين، حيث كانت تعطف على الفقراء والمساكين.

أمُّ سلمة بنت أبي أمية - رضي الله عنها- وكانت هي وزوجها أول من هاجر إلى الحبشة، وقيل: إنها أوّل من هاجر إلى المدينة من الظعائن،

زينب بنت جحش رضي الله عنها، كانت - رضي الله عنها - تفخر على سائر أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقول: زوَّجكن أهاليكن، وزوَّجني الله من فوق سبع سماوات(٢٢). تشير لقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا ﴾

وجويرية بنت الحارث رضي الله عنها كانت من السبي فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم تسأله في مكاتبتها، فقال: (أو خير من ذلك ، أشتريك وأعتقك وأتزوَّجك؟) قالت: نعم، فتزوجها، فأطلق الناسُ ما بأيديهم من السَّبي وقالوا: قد صاهر إليهم النبيُّ عليه الصلاة والسلام، وكانت جُويرية أعظم امرأة بركة على قومها،

وأم حبيبة بنت أبي سفيان - رضي الله عنها-:

وهي التي أكرمت فراش رسول الله -صلى الله عليه وسلم أن يجلسَ عليه أبوها (أبو سفيان) لمّا قدمَ المدينة قبل إسلامه، وقالت له: إنك رجل مشركُ فلم أحب أن تجلس عليه. ومنعته من الجلوس عليه(٢٥).

وصفية بنت حيي رضي الله عنها، دخل عليها النبي صلى الله عليه وسلم يوماً وهي تبكي، فقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: (ما يبكيك؟ قالت: قالت لي حفصة: إني ابنة يهودي. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إنك لابنة نبيٍّ، وإن عمّك لنبي، وإنك لتحت نبي، فبم تفخرُ عليك؟) ثم قال: (اتَّق الله يا حفصة) قال الترمذي: هذا حديث صحيح غريب من هذا الوجه.

وميمونة بنت الحارث - رضي الله عنها-: وهي التي وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم، وفيها نزل قوله تعالى: ﴿ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٢٩).

فالقرشيات منهن ست: خديجة بنت خويلد، وسودة بن زمعة، وعائشة بنت أبي بكر، وحفصة بنت عمر بن الخطاب، وأم سلمة، وأم حبيبة.

والعربيات من غير قريش أربع: زينت بنت جحش، وجورية بنت الحارث، وزينب بنت خزيمة، وميمونة بنت الحارث، وواحدة من غير العرب هي صفية بنت حيي من بني إسرائيل.

وتبقى مارية القبطية وهي من مصر وهي والدة إبراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم، وبولادة إبراهيم أصبحت مارية رضي اللّه عنها حرة، فعن ابن عباس قال: لما ولدت مارية قال رسول اللّه صلى الله عليه وسلم «أعتقها ولدها» .

وأمهات المؤمنين أثنى الله سبحانه وتعالى عليهن في كتابه فقال: ﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ ﴾ (٣١).

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا آسيةُ امرأةُ فرعون ومريمُ بنتُ عمران وإن فضل عائشةَ على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام).

ومن مناقبهن أنهن اخترن الله ورسوله والدار الآخرة إيثاراً منهن لذلك على الدنيا وزينتها فأعد الله لهن على ذلك ثواباً جزيلاً وأجراً عظيما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً (۞) وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْراً عَظِيماً﴾ فجميعهن اخترن الله ورسوله.

هؤلاء هن أمهات المؤمنين اللاتي يجب على كل مسلم الإقرار بفضلهن والاعتراف بعظم منزلتهن وأنهن أمهات المؤمنين كما أطلق الله ذلك عليهن وأن من طعن فيهن أو واحدة منهن كان بعيدا عن الله ورسوله وعباده المؤمنين.

ومن حقوق أمهات المؤمنين الترضي عنهن كما جاء في السنة فهن أمهات المؤمنين المطهرات المبرآت من كل سوء، وقد أثنى الله عليهن وبين منزلتهن في قوله تعالى: ﴿ النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ﴾ (٦٦) وهذا الخبر من الله عز وجل فيه

بيان ما لهن -رضي الله عنهن- من المنزلة، فهن أمهات المؤمنين، ومعنى الأمومة هنا أي: في الحرمة والاحترام والتوقير والإعظام والإكرام، لما لهن -رضي الله عنهن- من مكانة ومنزلة، فهن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم في الدنيا وأزواجه في الآخرة، فهن -رضي الله عنهن- في أصل هذه المنزلة سواء باستحقاقهن ذلك، وقد طهرهن الله جل وعلا، وذلك في قوله تعالى: ﴿ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا ﴾ (الأحزاب) فلا شك أن المراد بأهل البيت في هذه الآية زوجات النبي صلى الله عليه وسلم، فهن من أهل البيت بنص القرآن؛ لأن الكلام السابق واللاحق كله في شأن زوجاته صلى الله عليه وسلم وفي شأن نساء النبي صلى الله عليه وسلم. وهن مبرآت من كل سوء) بمعنى أنهن سليمات بريئات من كل سوء يُلحقه أحد بهن.

- قال القرطبي - رحمه الله -: «شرّف الله أزواج نبيه - صلى الله عليه وسلم - بأن جعلهن أمهات المؤمنين أي: وجوب التعظيم والمبرة والإجلال وحرمة النكاح على الرجال، وحجبهن - رضي الله عنهن - بخلاف الأمهات» (التفسير ١٤/١٢٣).

و- قال ابن كثير - رحمه الله -: «وقوله وأزواجه أمهاتهم أي في الحرمة والاحترام والتوقير والإكرام والإعظام ولكن لا تجوز الخلوة بهن ولا ينتشر التحريم إلى بناتهن وأخواتهن بالإجماع» (التفسير ٥/٤٢٥).

قال أبو بكر الباقلاني: «ويجب أن يعلم أن خير الأمة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأفضل الصحابة العشرة الخلفاء الراشدون الأربعة - رضي الله عن الجميع - ونقر بفضل أهل البيت -بيت رسول الله- وأن زوجاته هن أمهات المؤمنين، ونبدع ونفسق ونضلل من طعن فيهن أو في واحدة منهن لنصوص الكتاب والسنة في فضلهم ومدحهم والثناء عليهم فمن ذكر خلاف ذلك كان فاسقاً للكتاب والسنة نعوذ بالله من ذلك» (٦٩).

ومن حسن الأدب مع أمهات المؤمنين الاقتداء بهن، حيث ضربن أروع الأمثلة في طاعة الزوجة لزوجها مهما كلفتها الطاعة من مشاق.

فهذه خديجة -رضي الله عنها- تتقدم على زوجات النبي صلى الله عليه وسلم في نصرة الزوج وتصديق النبي من أول لحظة بعث فيها إلى الناس بشيراً ونذيراً، وتقف بجانبه في أصعب اللحظات كما قالت: «كلا أبشر. فوالله! لا يخزيك الله أبدا. والله! إنك لتصل

الرحم وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق» (٧٠).

ومن الأدب معهن الذب عنهن والوقوف في وجه من يسيء إليهن: منذ عهد الصحابة إلى عصرنا هذا، ولا يزال الصالحون الموفقون يضعون أمهات المؤمنين في مكانة عالية ولا يسمحون لأي شائن مبغض أن يطعن فيهن، بل يرون ذلك من أفضل القربات والجهاد في سبيل الله في الذب عنهن وتوقيرهن واحترامهن وحسن الأدب معهن.

ومن الأدب معهن التسمي بأسمائهن: إذ ينبغي على المسلمين تسمية البنات بأسماء أمهات المؤمنين، وأن نذكر بناتنا ونجعلهن دائما يتذكرن أمهات المؤمنين ويتعرفن على سيرهن، ويتخلقن بأخلاقهن (٧٤).

اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد وأزواجه وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.



إيذاء المؤمنين

إيذاء المؤمنين

﴿والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثما مبينا﴾

في هذه الآية هداية عظيمة وتوجيه كريم يغفل عنها كثير من الناس، وهي وجوب الحذر وضرورة البعد عن أذية المؤمنين والتنبه من الوقوع في شرك هذه المعصية والجناية العظيمة والخطيرة، والتي أثرها ونتيجتها البهتان والإثم المبين.

ويتصور أذية المؤمنين في صور وأحوال ووقائع كثيرة لاتتناهى، فمن ذلك الإيذاء بالغيبة والبهتان والتطاول والإيذاء بالاعتداء وأكل المال والإيذاء بالمضايقة بأنواعها، والإيذاء برفع الصوت والإزعاج سواء بما هو محرم كمن يرفع صوت الغناء أو يضع في سيارته أو بيته ما يؤذي الناس صوته من بهائم وأجهزة وخلافها، أو بالروائح المنكرة كالدخان وما شابهه.

ومن ذلك الإيذاء في الطرقات بالقيادة المتهورة أو الاستعراض بالسيارات أو التجمعات أو إغلاق الطرقات أو رمي المخلفات او وضع ما يؤذي المارة.

ومن ذلك الإيذاء في الإعلانات بنشر الصور المحرمة وغير اللائقة.

ومن ذلك الإيذاء بالغش ورفع الأسعار وعرض المنكرات.

ومن ذلك الإيذاء بنشر الفجور في القنوات والشبكات.

ومن ذلك التعرض للمسلّمات في الدين والتهكم بها أو تناولها بالتشكيك. مما يفعله



بعض الساقطين والمفسدين والمخربين.

ومن ذلك الإيذاء بالسب والتهجم والتشهير والتجريح.

ومن ذلك نشر الصور والاطلاع على خصوصيات للناس.

وصور الإيذاء كما ذكرت لا تتناهى وكم من الناس من مسه أذى وتعرض لمضايقة في صور شتى، وما علم هذا المؤذي أنه بفعله هذا مرتكب لمحرم وموعود بالعذاب إن لم يتب.

وليتفكر المسلم في عمله هذا!! هل يرضى أن يقع عليه أو على بعض أهله؟ وكيف للعاقل أن يفعل شيئاً لا يرضاه لنفسه أو لمن يحبهم؟ والواجب على المسلم أن يحب لإخوانه ما يحب لنفسه.

ألا يخشى هذا المؤذي من دعوة مظلوم، وصله أذاه، أو انتقام من الجبار، فليحذر المسلم أشد الحذر من أن يكون غرضاً لدعوة مظلوم مضرور من أذاه، أو محلا لانتقام من الجبار المنتقم سبحانه.

قال ابن كثير رحمه الله وقوله تعالى: ﴿والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا﴾ أي ينسبون إليهم ما هم براء منه لم يعملوه ولم يفعلوه ﴿فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً﴾ وهذا هو البهت الكبير أن يحكي أو ينقل عن المؤمنين والمؤمنات ما لم يفعلوه، على سبيل العيب والتنقص لهم، ومن أكثر من يدخل في هذا الوعيد من ينتقصون الصحابة والصالحين، ويعيبونهم بما قد برأهم اللّه منه، ويصفونهم بنقيض ما أخبر اللّه عنهم، فإن اللّه عزَّ وجلَّ قد أخبر أنه قد رضي عن المهاجرين والأنصار ومدحهم، وهؤلاء الجهلة يسبونهم ويتنقصونهم، ويذكرون عنهم ما لم يكن وما لم يقع ولا فعلوه أبداً، فهم في الحقيقة منتكسو القلوب، يذمون الممدوحين

ويمدحون المذمومين، وقد روي عن عائشة رضي اللّه عنها قالت، قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم لأصحابه: (أي الربا أربى عند اللّه؟ قالوا: اللّه ورسوله أعلم، قال: أربى الربا عند اللّه استحلال عرض امرئ مسلم ثم قرأ: ﴿والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً﴾ «أخرجه ابن أبي حاتم»».
ورواه البيهقي في شعب الإيمان برقم (٦٧١١) من طريق يحيى بن واضح عن عمار بن أنس، به

قال الطبري رحمه الله(وَقَوْله: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ عَنْ مُجَاهِد ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ﴾ قَالَ: يَقْفُونَ. فَمَعْنَى الْكَلَام عَلَى مَا قَالَ مُجَاهِد: وَالَّذِينَ يَقْفُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَات ، وَيَعِيبُونَهُمْ طَلَبًا لِشَيْنِهِمْ ﴿بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا﴾ يَقُول: بِغَيْرِ مَا عَمِلُوا ، وَعَنْ مُجَاهِد، قَالَ: قَرَأَ ابْن عُمَر: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَات بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَد احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ قَالَ: فَكَيْفَ إِذَا أُوذِيَ بِالْمَعْرُوف ، فَذَلِكَ يُضَاعَف لَهُ الْعَذَاب. أو قَالَ: كَيْفَ بِالَّذِي يَأْتِي إِلَيْهِمْ الْمَعْرُوف (أي يحسن إليهم ويصنع المعروف لهم ومع ذلك يؤذونه ويصله ضررهم). وقال قَتَادَة في هذه الآية: فَإِيَّاكُمْ وَأَذَى الْمُؤْمِن، فَإِنَّ اللَّه يَحُوطهُ، وَيَغْضَب لَهُ.

وَقَوْله: ﴿فَقَد احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ يَقُول: فَقَد احْتَمَلُوا زُورًا وَكَذِبًا وَفِرْيَة شَنِيعَة وَالْبُهْتَان: أَفْحَش الْكَذِب ﴿وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ يَقُول: وَإِثْمًا يُبَيِّن لِسَامِعِهِ أَنَّهُ إِثْم وَزُور.

وقال القرطبي رحمه الله: أذية المؤمنين والمؤمنات هي أيضا بالأفعال والأقوال القبيحة، كالبهتان والتكذيب الفاحش المختلق. وهذه الآية نظير الآية التي في النساء: ﴿ومن يكسب خطيئة أو إثما ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتانا وإثما مبينا﴾ (النساء: ١١٢) كما قال هنا. وقد قيل: إن من الأذية تعييره بحسب مذموم، أو حرفة مذمومة، أو شيء يثقل عليه إذا سمعه، لأن أذاه في الجملة حرام. وقد ميز الله تعالى

بين أذاه وأذى الرسول وأذى المؤمنين فجعل الأول كفرا والثاني كبيرة، فقال في أذى المؤمنين: ﴿فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا﴾. وروي أن عمر بن الخطاب قال لأبي بن كعب: قرأت البارحة هذه الآية ففزعت منها ﴿والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا﴾ الآية، والله إني لأضربهم وأنهرهم. فقال له أُبيّ: يا أمير المؤمنين، لست منهم، إنما أنت معلم ومقوم.

وَأخرج الطَّبَرَانِيّ وَابْن مرْدَوَيْه وَابْنُ عَسَاكِر عَن عبد الله بن يسر رَضِي الله عَنهُ عَن النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم قَالَ (لَيْسَ منَّا ذُو حسد وَلَا نميمة وَلَا خِيَانَة وَلَا إهانة ثمَّ تَلا رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم هَذه الْآيَة ﴿وَالَّذين يُؤْذونَ الْمُؤمنِينَ وَالْمُؤْمنَات﴾

وقال السعدي رحمه الله تعالى:

وإن أذية المؤمنين عظيمةٌ، وإثمُها عظيمٌ، ولهذا قال فيها: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا﴾ أي: بغير جناية منهم موجبة للأذى ﴿فَقَدِ احْتَمَلُوا﴾ على ظهورهم ﴿بُهْتَانًا﴾ حيث آذوهم بغير سبب ﴿وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ حيث تعدوا عليهم، وانتهكوا حرمة أمر الله باحترامها.

والله تعالى يحب المؤمنين بقول سبحانه في الحديث القدسي: (وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ) ؛ رواه البخاري. ولأجل هذه المحبة العظيمة من الله تعالى لعبده المؤمن؛ كان من كبائر الذنوب قصد المؤمن بما يسوؤه ويؤذيه، سواء كان الأذى حسيا بالقتل أو الضرب أو الحبس أو التعذيب ونحوه، أو كان التعذيب بالقول كالشتم واللعن والغيبة والنميمة والبهتان والتعيير وشبهه.

وقد يكون الأذى المعنوي أشد وطأة على النفس، وأبقى أثرا في الناس؛ لما فيه من تلويث السمعة، ونشر السوء، ولا سيما إن كان كذبا وبهتانا، وفيه يقول الله تعالى: ﴿ وَمَنْ

يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ﴾ (النساء:١١٢)
وفي آية أخرى ﴿ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ﴾ (الأعراف:١٥٢)

وفسر النبي صلى الله عليه وسلم الغيبة بأنها: (ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ قِيلَ: أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟ قَالَ:إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ، فَقَدِ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَّهُ) رواه مسلم. وإنما حرمت الغيبة لما فيها من الأذى المعنوي، وأعظم منها البهتان؛ لأنه جمع بين الكذب والغيبة. نسأل الله العافية من حقوق الخلق، اللهم اعصمنا عما يغضبك وارزقنا مرضاتك وخشيتك، ووفقنا لطاعتك.

وصل اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.


تربية الأبناء

تربية الأبناء

يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (التحريم:٦)

ويقول جل وعلا: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾

ويقول سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (المنافقون: ٩)

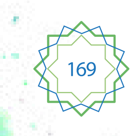
الأولاد نعمة من نعم الله العظيمة، ومن رزق بالذرية فليحمد الله وليعلم أن عليه واجباً لا بد أن يقوم به ومهمة لا بد منها، وهي مسؤولية عظيمة، فالعناية بالأولاد واجب شرعي، وذلك بوقايتهم مما أمرنا الله تعالى أن نقي أنفسنا وأهلينا منه وهو النار، نعوذ بالله منها، ومن أعظم ما يلزم لذلك:

القيام بحقوق الابن، فمن أراد أن يبرَّه ابنه فليقم ببر ابنه أولاً، ومن أعظم ذلك اختيار الأم الصالحة التي تكون عونًا بعد الله تعالى في تربيته وصلاحه، ثم بعد قدومه تسميته بالاسم الحسن والحذر من التسمية بالأسماء القبيحة أو الدالة على معاني سيئة أو بأسماء غير جائزة شرعاً.

ومما يشرع بعد ولادته أن يُعق عنه عن الغلام شاتان وعن الجارية شاة، كما ثبت في السنة.

ويجب على الوالد أن يهتم بتعويد ابنه على ذكر الله وتكرار شهادة التوحيد، وغرس المعاني السامية في نفسه وبخاصة في سنواته الأولى، يذكر الباحثون....أن الطفل يتعلم في سنواته الأولى أكثر بكثير مما نتصور، فإن ٩٠٪ من العملية التربوية كما يقول الخبراء تتم في سنواته الأولى، فمن المهم استثمار هذه الفترة بما يفيد الطفل ويثبّت عقيدة التوحيد في قلبه.

يقول ابن الجوزي رحمه الله: أقوم التقويم ما كان في الصغر، فأما إذا ترك الولدُ وطبعُه



فنشأ عليه ومرن كان صعباً، قال الشاعر:

إن الغصون إذا قومتها اعتدلت
ولا تلين إذا قومتها الخشب
قد ينفع الأدب الأحداث في مهل
وليس ينفع في ذي الشيبة الأدب

ومما يذكر هنا:

- تعويد الطفل النطق بالأذكار: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، سبحان الله، الحمد لله، الله أكثر، لا حول ولا قوة إلا بالله، وغيرها.
- غرس محبة الله وعظمته في نفس الطفل.
- زرع خشية الله ومراقبته في قلبه وأن يستشعر أن الله مطلع عليه يراه ويسمعه.
- تعويده على الكلمات الطيبة مثل: أحسنت، شكراً، جزاك الله خيراً.
- تعويده على الأذكار المهمة، من الآيات والأدعية والأذكار.
- تعويذ الأطفال حتى لا يتعرض لهم الشيطان.كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك مع الحسن والحسين رضي الله عنهما.
- الاهتمام بتحفيظه كتابَ الله عز وجل، وتسميعه إياه، وكذا بعضاً من الأحاديث النبوية.
- قراءة القصص المفيدة وخاصة السيرة النبوية وقصص الصحابة والتابعين بأسلوب يناسب المرحلة التي يعيشها، فإن تلك القصص تربي فيه المعاني الكبيرة، وتغرس في نفسه قيما ومعانٍ عظيمةً مع خلق قويم، وتشب نفسه متطلعة إلى أن يقتدي بهم.
- تنمية الطموح لدى الطفل منذ صغره على الهمة العالية، بأن يغرس في نفسه بأن يكون عالماً كفلان، أو طبيبا ماهراً، أو معلّما بارزاً.

وإذا بلغ الطفل سن السابعة بدأ معه مرحلة جديدة في التعامل. وقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم المعالمَ الأساسيةَ لذلك بقوله عليه الصلاة والسلام: (مروا أبناءكم بالصلاة لسبع، واضربوهم عليها لعشر وفرقوا بينهم في المضاجع).

- وأول وأهم ما يجب أن نبدأ بأمر الطفل به الصلاة فهي رأس العبادات العملية، وتوجيهه وحثه عليها وبيان أهميتها ومكانتها.

وكذلك سائر العبادات كالصيام وتعويده على ذلك، وإشعاره بأن أعماله كلّها عباداتٌ تقربه إلى الله سبحانه وتعالى.

قال ابن مسعود -رضي الله عنه-: «حافظوا على أبنائكم في الصلاة، ثم تعوَّدوا الخير؛ فإن الخير بالعادة»، وكان عروة يأمر بنيه بالصيام إذا أطاقوه، والصلاة إذا عقلوا.

ومن الأساليب التي تعين في هذه المرحلة:

أ) العقوبة سوى العقوبة البدنية، فإذا تكرر منه ترك الصلاة، يحرم من بعض ما يرغبه، عدم تلبية طلباته، عدم أخذه واصطحابه، وهكذا.

العقوبة البدنية اليسيرة عقوبة غير شديدة، وذلك إذا تم له عشر سنين كما لو تكرر منه ترك الصلاة، ويتجنب في هنا العقوبة المؤذية ويذر من المواضع التي قد تتضرر، وليتذكر أنه مؤدب لا منتقم.

ب) تأكيد الخصوصية بين الذكر والأنثى:

وذلك بإشعار كل من الابن والبنت بأن له خصوصية تختلف عن الآخر، من ذلك العناية بالتفريق بينهم في المنام عند بلوغ سن العاشرة، وفي هذا تمرين على الاستقلالية والخصوصية.

ج) التطبيق العملي على الأخلاق والآداب:

ويدخل في ذلك تمرينهم على الأخلاق العملية وتعويدهم عليها وطلبها منهم، كالصدق في التعامل قولاً وفعلاً، وعدم إخلاف الوعد والعهد. الالتزام بالنظافة في الجسد والملبس وما يخصهم، وأن يكون الوالد قدوة لهم في كل ذلك، قال عتبة بن أبي سفيان لمؤدب ولده: «ليكن أول إصلاحك لولدي إصلاحك لنفسك؛ فإن عيونهم معقودة بك؛ فالحسن عندهم ما صنعتَ، والقبيح عندهم ما تركتَ».

وجاء في الأثر: «ما نحل والد ولدًا نحلة أفضل من أدب حسن».

د) ومن الأساليب المعينة : الحوافز: فهي تساعد كثيرا في تربية الصغير فيعطى من الحوافز ما يناسب أعمارهم وما يناسب ميولهم، فإن لها أثراً عليهم حتى ولو كانوا صغاراً.

وإعطاء الهدية والتشجيع منهج درج عليه سلف هذه الأمة فقد أخرج البخاري ومسلم عن الربيّع بنت مُعوِّذ قالت: «كنا نصوِّم صبياننا، ونجعل لهم اللعبة من العهن (الصوف)؛ فإذا بكى أحدهم على الطعام أعطيناه ذلك حتى يكون عند الإفطار».

وروى النضر بن شميل قال: سمعت إبراهيم بن أدهم يقول: قال لي أبي: يا بنيَّ! اطلب الحديث؛ فكلما سمعتَ حديثًا وحفظتَه فلك درهم. فطلبت الحديث على هذا.

هـ) العناية بأمر الجليس والصاحب منذ الصغر وعدم إهماله فمنه يتعود الكلمات والعادات والأعمال فيقرَّب ممن عاش في بيئة حسنة ويُبعَد عمن عاش في بيئة سيئة.

ثم تأتي مرحلة الشباب وفي هذه السن تزداد المسؤولية عند الوالدين، وخاصة الأم فلها مهام كبيرة في هذه المرحلة ومنها:

- التعاون مع الأب في واجب التربية والرعاية والاهتمام.
- المتابعة المنزلية ويدخل في ذلك التشجيع والتحفيز على أمور الخير والترهيب فيما عدا ذلك.
- إشعار الابن أو البنت بقيمته وأهميته، فإن كان ابناً يشعر أنه في مصاف الرجال، ويتدرب على الرجولة وخصائصها، ولا بد أن يقوم الأب بواجبه في ذلك، وإن كانت بنتاً فإنه يَحسُن تدريبها على مسؤولياتها المستقبلية، ومتابعتها ورعايتها والقرب منها والاهتمام بما تقرأ وتتابع والسؤال عن دراستها ولباسها وصداقاتها.
- مشاركة البنت في عمل البيت ومساعدتها، والبداية بمرحلة الصداقة لها وإشعارها بأنها صديقة لها مع كونها أمّا بحيث لا يمكن بعد ذلك أن تخفي عنها شيئاً فإن في وجود أي حاجز بين الأم وابنتها خطر كبير.

- تكليف البنت بشيء من المسؤولية في المنزل وعدم إهمالها بالكلية بحيث يهيأ لها كل شيء دون أن تتحمل أي مسؤولية، فهذا إفساد وليس عناية.
- إشعار الأب بكل ما يحصل، وإشراكه في العملية التربوية خاصة في هذه المرحلة وعدم إخفاء أي تصرف يحدث من الأبناء ذكوراً أو إناثا.

إن الأم هي الحاضنة والمربية والراعية والمعلمة والمديرة والمنفذة وقد صدق الشاعر حين قال:

الأم مدرسة إذا أعددتها
أعددت شعباً طيب الأعراق

فهي مخرّجة العلماءِ والمربية والمدربة والأمومة أعظم مهمة على وجه الأرض، ذلك أن العظماء والعلماء والمجاهدين والدعاة والمصلحين ما خرجوا إلا بعد توفيق الله ثم بتربية أمهات مربيات عالمات.

ومما يجب العناية به للأولاد عموماً إظهار حبهم وإشعارهم به بالكلمة والقبلة والضم فإنه من الرحمة التي يؤجر عليها العبد، ففي حديث أبي هريرة -رضي الله عنه أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قبَّل الحسن وعنده الأقرع بن حابس رضي الله عنه جالسًا، فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدًا، فنظر إليه النبي -صلى الله عليه وسلم- ثم قال: (من لا يَرحم لا يُرحم).

وربما استنكف بعض الناس من ذلك وما علم أنه حين يفقد الولد ذكرًا كان أو أنثى هذا الحنان وذلك الحب فقد يقع فريسة للعابثين ومدعي الحب والحنان. واسأل عن حالات الانحراف، والأمر كذلك حتى بين الزوجين.

وأسوق قصة عناية نبي الأمة صلى الله عليه وسلم بحِبِّه أسامة رضي الله عنه تدل على عنايته بالصغار ورحمته بهم فعن عائشة -رضي الله عنها قالت: أراد النبي -صلى الله عليه وسلم- أن ينحي مخاط أسامة، قالت عائشة: دعني حتى أكون أنا الذي أفعل، قال: (يا عائشة أحبيه؛ فإني أحبه) أخرجه الترمذي وابن حبان وحسنه الألباني.

ومن المشاهد والمواقف النبوية في تربية الأطفال ممازحتُهم، فقد كان صلى الله عليه وسلم- يمازح الصغار؛ فقد قال لأحدهم: «يا ذا الأذنين»، ومجَّ -صلى الله عليه وسلم- الماء في وجه محمود بن الربيع وهو ابن خمس سنين، وقال لأخ صغير لأنس بن مالك: «يا أبا عمير، ما فعل النغير؟». ومنه يعلم جواز تكنية الصغير، ويسن مداعبته ومن القصة يُعلم جواز حبس الطير ما دام يعتنى به في طعامه وشرابه.

وكان -عليه الصلاة والسلام- يردفهم على الدابة؛ يقول عبد الله بن جعفر -رضي الله عنه: كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إذا قدم من سفر تُلُقِّيَ بالصبيان من أهل بيته. قال: وإنه قدم مرة من سفره، فسيق بي إليه، فحملني بين يديه، ثم جيء بأحد ابني فاطمة إما حسن وإما حسين، فأردفه خلفه. قال: فدخلنا المدينة ثلاثة على دابة)، وقال ابن عباس -رضي الله عنهما: لما قدم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مكة استقبله أغيلمة بني عبد المطلب، فحمل واحدًا بين يديه وآخر خلفه).

ومر ابن عمر -رضي الله عنهما- في طريق فرأى صبيانًا يلعبون، فأعطاهم درهمين.

ومن المواقف النبوية العظيمة ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أنه صلى مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- العشاء، فأخذ الحسن والحسين يركبان على ظهره، فلما جلس وضع واحدًا على فخذه، والآخر على فخذه الأخرى. عليه الصلاة والسلام.

وعن عبد الله بن الحارث -رضي الله عنه- قال: كان -صلى الله عليه وسلم- يصفُّ عبد الله وعبيد الله -من بني العباس- ثم يقول: من سبق إلى كذا فله كذا وكذا، قال: فيستبقون إليه، فيقعون على ظهره وصدره فيقبِّلهم.

ونقل ابن مفلح عن ابن عقيل أنه قال: «والعاقل إن خلا بأطفاله خرج بصورة طفل، ويهجر الجد في ذلك الوقت».

وقد عزل عمر واليًا؛ لأنه لا يلاعب أطفاله.

ومن الأخطاء الشائعة في تربية الأولاد منعهم من مجالسة الكبار وهذا خطأ لأنه حرمان له من مجالس أهل الخبرة والتجربة، وقد مر عمرو بن العاص -رضي الله عنه- على حلقة من قريش فقال: «ما لكم قد طرحتم هؤلاء الغلمان؟ لا تفعلوا! أوسعوا لهم في

المجلس، وأسمعوهم الحديث، وأفهموهم إياه؛ فإنهم صغار قوم أوشكوا أن يكونوا كبارهم، وقد كنتم صغار قوم فأنتم اليوم كبارهم».

وكان ابن شهاب الزهري -رحمه الله- يشجع الصغار ويقول: «لا تحتقروا أنفسكم لحداثة أسنانكم؛ فإن عمر بن الخطاب كان إذا نزل به الأمر المعضل دعا الفتيان فاستشارهم يتبع حدة عقولهم».

فلنحافظ على نعمة الأولاد بالقيام لهم بما أوجب الله.

اللهم أصلح لنا نياتنا وذرياتنا واجعلهم قرة عين لوالديهم وانفع بهم الإسلام والمسلمين.

وصلى الله على نبينا محمد


حسن
الخلق

حسن الخلق

قال تعالى: ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾ وقال سبحانه ﴿ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك﴾ وقال تعالى: ﴿الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس واللّه يحب المحسنين﴾

إن حسن الخلق صفة من صفات الأنبياء والصديقين والصالحين، بها يستحق المرء الثواب وبها تُنال الدرجات، وحُسن الخلق يوجب التحاب والتآلف، وسوء الخلق يُثمر التباغض والتحاسد والتدابر.

وقد حث النبي صلى اللّه عليه وسلم على حسن الخلق، والتمسك به، وجمع بين التقوى وحسن الخلق، فقال عليه الصلاة والسلام: أكثر ما يدخل الناس الجنة، تقوى اللّه وحسن الخلق (رواه الترمذي والحاكم.

وحُسن الخُلق: بذل المعروف، وكف الأذى عن الناس، وطلاقة الوجه، والكلام الحسن، ومدارة للغضب، واحتمال الأذى.

قال ابن عمر رضي الله عنهما: البر شيء هين وجه طلق وكلام لين.

وأوصى النبي صلى اللّه عليه وسلم أبا هريرة بوصية عظيمة فقال: يا أبا هريرة! عليك بحسن الخلق، قال أبو هريرة رضي اللّه عنه: وما حسن الخلق يا رسول اللّه؟ قال: (تصل مَنْ قطعك، وتعفو عمن ظلمك، وتُعطي من حرمك (رواه البيهقي.

وانظر أخي إلى ثمرة من ثمرات حسن الخلق: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم (رواه أحمد.

بل عدَّ النبي صلى اللّه عليه وسلم حسن الخلق من كمال الإيمان، ففي الحديث: (أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً (رواه أحمد وأبو داود.

ومن أوجه حسن الخلق التي أمر بها المسلم الكلمة الطيبة ففي الحديث: (والكلمة الطيبة صدقة (متفق عليه.

وللأخلاقِ الفاضلة مكانةٌ عظيمةٌ في شريعتنا، فإنها تثقّلُ ميزانَ العبدِ يومَ الحساب، ويبلغُ بها درجةَ الصائمِ القائم، وهي سببٌ رئيسٌ لدخول الجنة ؛ فإن النبي صلى الله عليه وسلم لما سئل عن أكثرِ ما يدخل الناسَ الجنةَ؟، قال: (تقوى الله، وحسنُ الخلق) رواه أحمد.

وهذا ما يلحظه المسلم في نصوص الشريعة حيث نجد تلازماً بين التقوى وحسنِ الخلق.

وفي الحديث عن أبي ذر جندبِ بنِ جنادة، و أبي عبد الرحمن معاذِ بنِ جبل رضي الله عنهما، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن). رواه الترمذي وقال: حديث حسن.

ولكن ما حسن الخلق؟:

قال الخليفة الراشد علي بن أبي طالب رضي الله عنه: - (حسن الخلق في ثلاث خصال: اجتنابُ المحارم وطلبُ الحلال والتوسعةُ على العيال) إحياء علوم الدين (٥٧/٣).

- (وعن الحسن رضي الله تعالى عنه قال: (حسن الخلق: الكرمُ والبِذلةُ والاحتمال) جامع العلوم الحكم (١٦٠)

و قال الإمام أحمد - رحمه الله: حسن الخلق أن لا تغضبَ ولا تحقدَ) المرجع السابق.

و(قال ابن القيم - رحمه الله: (جمع النبي صلى الله عيه وسلم بين تقوى الله وحسنِ الخلقِ لأن تقوى الله بينه وبين خلقه فتقوى الله توجب له محبةَ الله وحسنُ الخلق يدعو الناس إلى محبته) الفوائد (٧٥).

وثمرات حسن الخلق لا تعد

ويكفي أنه باب إلى الجنة كما ثبت في الحديث بل ولصاحب الأخلاق الحسنة بيتٌ في أعلى الجنة كما قال صلى الله عليه وسلم (أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقًا و ببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وان كان مازحًا وببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه) احيح الجامع ١٤٦)

وقال تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً﴾ (الفرقان:٦٣). وقولَ رسولِ الله: ﴿إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم﴾ (رواه أبو داوود)، قال الحسن البصري رحمه الله: (من ساء خلقُه عذبَ نفسَه).

ويعظم الخطبُ ويزيدُ الشرُ والضررُ إن كان المتأذي بسوء الخلقِ الأهلُ أو الأقاربُ، فبعض الناس لا يتحمل الخطأ اليسير من أهله وربما صفح وعفا عن عظائم الأمور من الناس، وهذه انتكاسةٌ، فإن أولى الناس بحسن خلقِك أهلُك ومن تحت يدك. والإحسان إليهم أفضلُ والأجرُ فيهم أعظمُ.

وعن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم: (ما من شيء أثقل في ميزان العبد يوم القيامة من حسن الخلق) والأدلة متظافرة من الكتاب والسنة في الحث على حسن الخلق واحتمال الأذى، ولنا في رسول الله أسوة حسنة فقد كان نموذجاً يُحتذى به في الخلق مع نفسه، ومع زوجاته، ومع جيرانه، ومع ضعفاء المسلمين، ومع جهلتهم، بل وحتى مع الكافر، وينبغي أن يكون المسلم كذلك،قال تعالى: ﴿وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ (المائدة:٨)

ومن فوائد حسن الخلق: كسب القلوب: فهو يحبب صاحبه للخلق. والسلامة من شر الخلق: لأن صاحب الخلق الحسن لا يقابل الإساءة بالإساءة، وصاحب الخلق الحسن في راحة بال.

وجاء في الحكم: من قعد به حسبه نهض به أدبه. وجاء أيضا: من كثر أدبه شرف وإن كان وضيعاً، وساد وإن كان غريباً، وكثرت الحاجة إليه وإن كان فقيراً. ومما قيل: من لم يعرف الخير من الشر فألحقه بالبهائم. وقال بعضهم: ما ورثت الآباءُ الأبناءَ شيئاً أفضل من الأدب، إنها إذا ورثتها الآداب: كسبت بالآداب الأموال والجاه والإخوان، والدين والدنيا والآخرة، وإذا ورثتها الأموال: تلفت الأموال، وقعدت عدماً من الأموال والأدب.

ولحسن الخلق ثمرات منها:

١. أنه من أفضل ما يقرب العبدَ إلى الله تعالى.

٢. وطريقٌ لحب الله ومن ثم محبةُ الخلق.

٣. وإكرامٌ للنفس.

٤. ورفعٌ للدرجات.

٥. والقرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم القيامة.

٦. ويحوّل العدو إلى صديق.

٧. وسببٌ لعفو الله ومغفرتهِ.

٨. ومحوٌ للسيئات.

٩. ويدرك درجةَ الصائمِ القائم.

١٠. ويُدخلُ الجنة.

١١. ويثقّل الموازينَ يومَ القيامة.

أخي المستمع:إن مما يجب عليك: الاقتداء بخير البرية في أخلاقه وتعامله وسيرته وأحواله كلها مع القريب والبعيد مع الصغير والكبير مع المسلم وغير المسلم.

احرص على أن تعود نفسك كتم الغضب، حتى ترتاح ويرتاح من حولك مِن: والدين، وزوجة وأبناء،وأصدقاء، ومعارف، وزملاء، واحتسب الأجر في كل ذلك، امتثالاً لأمر الله عز وجل، قال تعالى: ﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾

وعملاً بوصية النبي صلى اللّه عليه وسلم الجامعة، فقد قال عليه الصلاة والسلام: (اتق اللّه حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحُها، وخالق الناس بخُلق حسن) رواه الترمذي

حتى تكون ممن قال فيهم الرسول صلى اللّه عليه وسلم: إن أقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحسنكم أخلاقاً رواه أحمد والترمذي وابن حبان

اللهم إنا نسألك الاقتداء بنبيك صلى الله عليه وسلم، والسير على نهجه، اللهم اجعلنا ممن حسنت أخلاقهم، أسأل الله أن يوفقنا وإياكم لكل خير وأن يلهمنا رشدَنا وأن يرزقَنا خير الأخلاق والأقوال والأعمال. إنه سميع مجيب.


ذم التكلف

ذم التكلف

يقول تعالى: ﴿قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين﴾ (سورة ص الآية: ٨٦)

التّكلّف مصدر: تكلّف الشّيء يتكلّفه، مأخوذ من مادّة (ك ل ف)، وهي تدور حول معنى الولوع بالشّيء والتّعلّق به، وتكلّفُ الشّيء: معناه أن يفعل الإنسان الشيء بإظهار كلف وعناية مع مشقّة تناله في تعاطيه، والكلف: الولوع بالشّيء مع شغل قلب. وكلّفه تكليفا أي أمره بما يشقّ عليه، وتكلّفت الشّيء: تجشّمته على مشقّة وعلى خلاف العادة.

قال المناويّ: التّكلّف: أن يحمل المرءَ على أن يَكلُفَ بالأمر، كَلَفَه بالأشياء الّتي يدعو إليها طبعه، التوقيف (١٠٧).

وقال الرّاغب: التّكلّف: اسم لما يفعل بمشقّة أو تصنّع أو تشبّع، المفردات (٤٣٩).

وقال الفيروزاباديّ: التّكلّف: تحمّل الأمر بما يشقّ على الإنسان، بصائر ذوي التمييز (٤/ ٣٧٦).

والتّكلّف قد يكون محمودًا، وهو ما يتوخّاه الإنسان ليتوصّل به إلى أن يصير الفعل الّذي يتعاطاه سهلا عليه ويصير كلِفا به ومحبّا له، ولهذا النّظر استعمل التّكليف في تكلّف العبادات، وقد يكون مذموما، وهو ما يتكلّفه الإنسان مراءاة وهو المقصود هنا. بصائر ذوي التمييز (٤/ ٣٧٦).

وفي حديث عمر- رضي الله عنه- (نهينا عن التّكلّف) البخاري- الفتح ١٣ (٧٢٩٣). وقصد رضي الله عنه: كثرة السّؤال والبحث عن الأشياء الغامضة الّتي لا يجب البحث عنها، والأخذ بظاهر الشّريعة وقبول ما أتت به.

والتكلف في فعل الشيء مذموم في أصله لأن الإنسان إذا تكلف في أمر ما ناله منه مشقة في تعاطيه سواء كان قولاً أو عملاً وهذا يعارض مقاصد الشريعة المبنية على اليسر



والسماحة، ومن ذلك أمور العبادات فإن الإنسان يقوم بأدائها حسب قدرته وطاقته لقوله تعالى: ﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾، وأما ما ورد من ذلك في قول النبي صلى الله عليه وسلم: (فاكلفوا من العمل ما تطيقون) أخرجه البخاري (برقم: ١٩٦٦) فالمراد به: اعملوا العمل بما لكم من طاقة، فالمسلم يبذل ما يستطيعه في فعل العبادة ولا يتكاسل في ذلك ولا يتهاون. وفي الحديث (ولا يمل الله حتى تملوا) فالمتكلف يفعل ما ملّ منه وثقل عليه وتَكَلّفه وهو ما لايحبه الله تعالى.

ومن التكلف المذموم التكلف في ادعاء العلم فيُظهر الإنسان أنه عالم ومطلع على كل العلوم، وقد يسأل عن شيء لا يعلمه، فيتحرج أن يقول لا أعلم لما لا يعلم؛ خشية أن ينقص ذلك من قدره أو يقلل من شأنه، والحق أنه لا يتكلف ذلك، وفي صحيح البخاري (٤٨٠٩)

وعن مسروق قال: أتينا عبد الله بن مسعود- رضي الله عنه- قال: يا أيّها النّاس من علم شيئا فليقل به، ومن لم يعلم فليقل: الله أعلم، فإنّ من العلم أن يقول الرّجل لما لا يعلم الله أعلم فإنّ الله- عزّ وجلّ- قال لنبيّكم صلّى الله عليه وسلّم: قُلْ ما أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَما أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ (ص/ ٨٦) تفسير ابن كثير (٤/ ٤٤).

هذه الآية أمر من الله تعالى لنبيه أن يقول للمشركين لا أطلب منكم على هذا البلاغ وهذه الدعوة شيئاً من أعراض الدنيا، ولست من المتقولين لما جئتكم به من القرآن.

(قال ابن كثير- رحمه الله تعالى-: يقول تعالى: قل يا محمّد لهؤلاء المشركين: ما أسألكم على هذا البلاغ وهذا النّصح أجرا تعطونيه من عرض الحياة الدّنيا وَما أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ (ص/ ٨٦) أي وما أريد على ما أرسلني الله تعالى به، ولا أبتغي زيادة عليه بل ما أمرت به أدّيته لا أزيد عليه ولا أنقص منه، وإنّما أبتغي بذلك وجه الله- عزّ وجلّ- والدّار الآخرة) تفسير ابن كثير (٤/ ٤٤).

وقال الطبري وغيره: في معنى الآية: وما أنا ممّن يتكلّف تخرّصَ القرآن وافتراءَه، وقيل: لا أتكلّف ولا أتخرّص ما لم أومر به. تفسير الطبري (١٠/ ٦٠٨)، وتفسير القرطبي (١٥/ ١٥٠).

(قال الماورديّ في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: وما أنا من المتكلّفين لهذا القرآن من تلقاء نفسي.

الثّاني: وما أنا من المتكلّفين لأن آمركم بما لم أومر به.

الثّالث: وما أنا بالّذي أكلّفكم الأجر) النكت والعيون (٥/ ١١٢).

ومن صور التكلف المنهي عنه التقعر والتنطع في الكلام في الخطب وغيرها، وفي الحديث العام مع الناس، واختيار ما لا يعرف من الكلام كالغريب والبعيد وغير المفهوم، لورود التحذير من ذلك في قوله عليه الصلاة والسلام: (هلك المتنطعون) قالها ثلاثًا أخرجه مسلم (٢٦٧٠) والمتنطعون هم المتعمقون الغالون المتجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم.

ذلك أن الإسلام دين اليسر والبعد عن التكلف، ويجب أن تكون حياة الإنسان وتصرفاته مبنية على اليسر والسماحة وترك التكلف، ومن التزم ذلك حلت البركة في أقواله وأعماله وتصرفاته، وكثر محبوه، واستفاد وأفاد.

ومن المؤسف أنك ترى بعض الناس يسارع إلى التصنع في الأشياء والتوغل في الغرابة ما استطاع، ظناً منه أن ذلك يرفع من شأنه ويعلي من قدره، والحقيقة أن هذا لا يكسبه إلا ازدراءً وانحطاطاً وكراهية من الناس وبغضاً وتجنباً، وعلى العاقل أن يراجع الإنسان نفسه في تصرفاته وتعاملاته وكلماته حتى يكون على وفق هدي النبي صلى الله عليه وسلم.

مما يدل على نهيه عليه الصلاة والسلام عن التكلف ما روته أمنا عائشة- رضي الله عنها- : أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم دخل عليها وعندها امرأة. قال: «من هذه؟»، قالت: فلانة- تذكر من صلاتها-. قال: «مه عليكم بما تطيقون، فو الله لا يملّ الله حتّى تملّوا» وكان أحبّ الدّين إليه ما داوم عليه صاحبه) البخاري- الفتح ١ (٤٣) واللفظ له. ومسلم (٧٨٥).

وعن أنس- رضي الله عنه-: أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم رأى شيخًا يهادى بين ابنيه، قال: «ما بال هذا؟»، قالوا: نذر أن يمشي. قال: «إنّ الله- عن تعذيب هذا نفسه- لغنيّ»،

وأمره أن يركب. البخاري- الفتح ٤ (١٨٦٥) واللفظ له. ومسلم (١٦٤٢).

وعن ابن عبّاس- رضي الله عنهما- أنّه قال بينا النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم يخطب إذا هو برجل قائم، فسأل عنه، فقالوا: أبو إسرائيل نذر أن يقوم ولا يقعد ولا يستظلّ ولا يتكلّم ويصوم، فقال النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم: «مره فليتكلّم وليستظلّ، وليقعد، وليتمّ صومه» البخاري- الفتح ١١ (٦٧٠٤).

وعن أنس بن مالك- رضي الله عنه- قال: دخل النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم فإذا حبل ممدود بين السّاريتين فقال: «ما هذا الحبل؟»قالوا: هذا حبل لزينب فإذا فترت تعلّقت. فقال النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم: لا «حُلّوه، ليصلّ أحدكم نشاطه، فإذا فتر فليقعد» البخاري- الفتح ٣ (١١٥٠) واللفظ له. ومسلم (٧٨٤)

وعن جابر بن عبد الله- رضي الله عنهما- قال: كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، في سفر، فرأى رجلًا قد اجتمع النّاس عليه، وقد ظلّل عليه، فقال: «ما له؟»قالوا: رجل صائم. فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «ليس من البرّ أن تصوموا في السّفر» البخاري- الفتح ٤ (١٩٤٦). ومسلم (١١١٥) واللفظ له.

وقال ابن عبّاس- رضي الله عنهما-: في وصف بني إسرائيل لما طلب منهم موسى- عليه السّلام- أن يذبحوا بقرة: لو أخذوا أدنى بقرة لاكتفوا بها، ولكنّهم شدّدوا فشدّد عليهم. تفسير ابن كثير (١/ ١١٠)، وقال: إسناده صحيح.

قال قتادة: وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّماءَ الدُّنْيا بِمَصابِيحَ (الملك/ ٥): خلق هذه النّجوم لثلاث: جعلها زينة للسّماء، ورجوما للشّياطين، وعلامات يهتدى بها، فمن تأوّل فيها بغير ذلك أخطأ وأضاع نصيبه وتكلّف مالا علم له به. (وصله عبد بن حميد من طريق شيبان عنه به) فتح الباري (٦/ ٣٤١).

قال ابن المنيّر- رحمه الله-: رأينا ورأى النّاس قبلنا أنّ كلّ متنطّع في الدّين ينقطع، وليس المراد منع طلب الأكمل في العبادة فإنّه من الأمور المحمودة، بل منع الإفراط المؤدّي إلى الملال والمبالغة في التّطوّع المفضي إلى ترك الأفضل، أو إخراج الفرض عن وقته كمن بات

يصلّي اللّيل كلّه ويغالب النّوم إلى أن غلبته عيناه في آخر اللّيل، فنام عن صلاة الصّبح في الجماعة، أو إلى أن خرج الوقت المختار، أو إلى أن طلعت الشّمس فخرج وقت الفريضة. فتح الباري (١/ ١١٧).

(وعلامة المتكلّف كما قال ابن المنذر ثلاث: أن ينازل من فوقه، ويتعاطى مالا ينال، ويقول مالا يعلم) روح المعاني (٢٣/ ٢٣٠).

والمتكلف مبعد من الخالق وبعيد من الخلق، يشعر بالضيق والقلق في نفسه. ناهيك عن كون التكلف محبط للعمل.

اللهم إنا نسألك من الخير كله عاجله وآجله ما علمنا منه وما لم نعلم، ونعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ما علمنا منه وما لم نعلم.

اللهم ألهمنا رشدنا واكفنا شر الشيطان وشركه.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.


صلة الرحم

صلة الرحم

﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾ وقال سبحانه: ﴿وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ وقال جل من قائل ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾

صلة الرحم من أبرز أخلاق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قبل أن يُبعث، فقد قالت له خديجة رضي الله عنها لما جاء خائفاً وقال: (زملوني زملوني): «والله لا يخزيك الله أبداً، إنك لتصلُ الرَّحم، وتصدُق الحديث، وتحمل الكلَّ، وتَكسبُ المعدوم، وتَقري الضيف، وتُعين على نوائب الحق» متفق عليه.

ورسول الله صلى الله عليه وسلم أكد على الإحسان إلى الأرحام، في نصوص كثيرة، وقد كان أفضل الناس صلة، وهو قدوتنا عليه الصلاة والسلام، ومما ثبت عنه قوله: (الرحم معلقة بالعرش تقول: من وصلني وصله الله، ومن قطعني قطعه الله). وقال: (صلة الرحم، وحسن الجوار، - أو حسن الخلق - يعمران الديار، ويزيدان في الأعمار) .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الرحم شجنة متمسكة بالعرش (تقول) تَكلَّم بلسان ذلْق: اللهم صِلْ من وصلني، واقطع من قطعني، فيقول الله -تبارك وتعالى-: أنا الرحيم الرحمن، وإني شققت للرحم من اسمي، فمن وصلها وصلته، ومن نكثها نكثته). كما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: (إن الله خلق الخلق، حتى إذا فرغ من خلقه قامت الرَّحِمُ فقالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة، قال: «نعم، أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك ؟» قالت: بلى يا رب، قال: «فذاك لك») ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (اقرؤوا إن شئتم: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ۞ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ﴾.

ولما سأل هرقلُ أبا سفيان -قبل أن يسلم وكان في تجارة في بلاد الشام- عن صفات النبي صلى الله عليه وسلم وبماذا يأمرهم ؟ قال: يقول: (اعبدوا الله واتركوا ما يقول آباؤكم ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة..) الحديث. فكانت الدعوة إلى صلة الأرحام من أول ما دعا إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم..

والرحم ميثاق أخذه الله على مَن قبلنا فقال: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَذِي الْقُرْبَى﴾

وصلة الرحم مثراة في المال بركة في الأعمار، فعن أنس بن مَالك رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّه صلى الله عليه وسلم قَالَ: (مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِه وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِه فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ) متفق عليه. أي يُوسع له في رزقه، ويُؤخر أجله ؛ لأن الله يقدر الأمور بأسبابها.

وصلة الرحم مجلبة لعون الله وتيسير الأمور، ومصداق ذلك قول خديجة رضي الله عنها السابق للنبي صلى الله عليه وسلم: »والله لا يخزيك الله أبداً «وبنَتْ ذلك على أمور أهمها صلته للرحم.

صلة الرحم تسلك بالمرء سبيل الجنان، فعَنْ أَبِي أَيُّوبَ رضي الله عنه قَالَ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ أَعْمَلُهُ يُدْنِينِي مِنْ الْجَنَّة وَيُبَاعِدُنِي مِنْ النَّار. قَالَ: (تَعْبُدُ اللَّهَ لَا تُشْرِكُ بِه شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصِلُ ذَا رَحِمِكَ). فَلَمَّا أَدْبَرَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: (إِنْ تَمَسَّكَ بِمَا أُمِرَ بِه دَخَلَ الْجَنَّةَ) متفق عليه.

وقال عبد الله بن سلام: لَمَّا قَدمَ رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم الْمَدِينَةَ انْجَفَلَ النَّاسُ إِلَيْه وَقِيلَ: قَدمَ رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم. فَجِئْتُ فِي النَّاسِ لأَنْظُرَ إِلَيْه، فَلَمَّا اسْتَثْبَتُّ وَجْهَ رَسُولِ اللَّه صلى الله عليه وسلم عَرَفْتُ أَنَّ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْه كَذَّاب، وَكَانَ أَوَّلُ شَيْءٍ تَكَلَّمَ بِه أَنْ قَالَ: (أَيُّهَا النَّاسُ أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصِلُوا الأَرْحَامَ، وَصَلُّوا وَالنَّاسُ نِيَامٌ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ) رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه وصححه الألباني.

- وصلة الأرحام علامة كمال الإيمان وحسن الإسلام.

- وهي سبب في سعة الرزق والبركة في العمر.
- وصلة الأرحام تكسب العبد رضا الله عنه.
- وصلة الرحم تزيد الصلات وتقوي العلاقات الاجتماعية بين أفراد الأسرة الواحدة، والأقارب بنسب أو مصاهرة.
- وصلة الرحم سبب في حسن الخاتمة؛ لأن الصلة إحسان، وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان.

أما قاطع الرحم فهو عاص لله مخالف لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو لا شك مغبون خاسر، أوصد الله الباب بينه وبينه، وقطع العلاقة به، ومن تخلَّى الله عنه فهو هالك. فكما ثبت في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه وفيه (أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ ؟ قَالَتْ: بَلَى يَا رَبِّ. قَالَ: فَهُوَ لَكِ) متفق عليه. ومن قطعه الله فلا ملاذ له.

وقطع الأرحام سبب للعقوبة العاجلة في الدنيا قبل الآخرة، فعَنْ أَبِي بَكْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: (مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُعَجِّلَ اللَّهُ لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا مَعَ مَا يَدَّخِرُ لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ الْبَغْيِ وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ) أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه وصححه الألباني.

وقاطع الرحم لا يُقبل عمله، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: (إِنَّ أَعْمَالَ بَنِي آدَمَ تُعْرَضُ كُلَّ خَمِيسٍ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ فَلَا يُقْبَلُ عَمَلُ قَاطِعِ رَحِمٍ) رواه أحمد وحسنه الألباني.

وقاطع الرحم لا يدخل الجنة لقول النبي صلى الله عليه وسلم: (لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعٌ) متفق عليه أي: قاطع رحم

قال عمرو بن دينار: (تعلمُنَّ أنه ما من خطوة بعد الفريضة أعظم أجراً من خطوة إلى ذي

رحم) وقال سليمان بن موسى: (قيل لعبد الله بن محيريز: ما حق الرحم؟ قال: تُستقبَلُ إذا أقبلت، وتُتبعُ إذا أدبرت (مكارم الأخلاق) صـ ٦٢ و ٦٤.

وقال عطاء بن أبي رباح: (لَدِرهمٌ أضعه في قرابتي أحب إلي من ألف أضعها في فاقة، قال له قائل: يا أبا محمد وإن كان قرابتي مثلي في الغنى؟ قال: وإن كانوا أغنى منك!) (مكارم الأخلاق) لابن أبي الدنيا صـ ٦٢.

وقد يرد سؤال هنا: من هم الأرحام؟

وجوابه أن الظاهر من كلام أهل العلم: أن ذا الرحم كلُ من لك به علاقة من جهة الأب أو من جهة الأم، سواء كان وارثاً أم غير وارث. وسواء كان من المحارم أم لم يكن.

يدل لذلك أن الله تعالى ندب أبا بكر إلى صلة قريبه مسطح بُعيد آيات الإفك فقال: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُوْلِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (النور ٢٢). ومسطح ابن خالته انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٢٧٧/٣.. وابن الخالة ليس من الورثة، ولا من المحارم.

والمسلم مطالب بصلة رحمه الأقرب فالأقرب، ومطالب بتقوى الله قدر استطاعته.

أما كيف تكون صلة الرحم فجوابه أنها تتحقق: بالزيارة، والمهاتفة، والمكاتبة. كما تتحقق الصلة بجميع أوجه إيصال الخير ؛ من تلبية دعوتهم، والسلام عليهم والسؤال عن أحوالهم، والوقوف معهم في أفراحهم ومواساتهم في أتراحهم، وبسط النفس لهم، وإرشادهم إلى الخير، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر بالحكمة والموعظة الحسنة وهم أولى الناس منك بذلك، والتغاضي عن قبيح فعالهم، ومساعدتهم وبذل المال لهم ؛ فإن الصدقة عليهم صدقة وصلة لقول النبي صلى الله عليه وسلم: (الصَّدَقَةُ عَلَى الْمِسْكِينِ صَدَقَةٌ، وَهِيَ عَلَى ذِي الرَّحِمِ ثِنْتَانِ: صَدَقَةٌ وَصِلَةٌ) الترمذي وصححه الألباني.

قال أَنَسُ بن مَالك رضي الله عنه: »كَانَ أَبُو طَلْحَةَ أَكْثَرَ الْأَنْصَارِ بِالْمَدِينَةِ مَالًا مِنْ نَخْلٍ، وَكَانَ أَحَبُّ أَمْوَالِهِ إِلَيْهِ بَيْرُحَاءَ، وَكَانَتْ مُسْتَقْبِلَةَ الْمَسْجِدِ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه

وسلم يَدْخُلُهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَاءٍ فِيهَا طَيِّبٍ. فَلَمَّا أُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ قَامَ أَبُو طَلْحَةَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾، وَإِنَّ أَحَبَّ أَمْوَالِي إِلَيَّ بَيْرُحَاءَ، وَإِنَّهَا صَدَقَةٌ لِلَّهِ أَرْجُو بِرَّهَا وَذُخْرَهَا عِنْدَ اللَّهِ. فَضَعْهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ حَيْثُ أَرَاكَ اللَّهُ. قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: (بَخٍ، ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ، ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ. وَقَدْ سَمِعْتُ مَا قُلْتَ، وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا فِي الْأَقْرَبِينَ). فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: أَفْعَلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَقَسَمَهَا أَبُو طَلْحَةَ فِي أَقَارِبِهِ وَبَنِي عَمِّهِ) رواه البخاري ومسلم.

وتوعد نبينا صلى الله عليه وسلم من منع رحمه فضلاً عنده، فقال: «ما من ذي رحم يأتي رحمه، فيسأله فضلاً أعطاه الله إياه، فيبخل عليه، إلا أخرج له يوم القيامة من جهنم حية يقال لها: شجاع، يتلَمَّظُ ومعنى يتلمظ (يتبعه بلسانه).، فيُطَوَّقُ به» الطبراني في الكبير والأوسط، وحسنه الألباني..



عضل النساء

عضل النساء

قال تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (البقرة ٢٢٨)

ويقول جل وعلا ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۗ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة ٢٣٢)

ديننا جاء كاملاً في كافة شؤون الحياة. وإن كل ما قرره الإسلام فإنما هو لخير الخلق في معاشهم ومعادهم، ومن محاسن الإسلام العظيمة أنه رفع عن المرأة الظلم والضيم الذي كان واقعا عليها قبل الإسلام، وحافظ على كرامتها ورفع قدرها، فالنساء شقائق الرجال، وقرر لها من الحقوق والواجبات مثل ما للرجل لا فرق بينهما.

وحين منع الشارع الحكيم المرأة من تزويج نفسها بغير ولي فإنما كان ذلك حفاظا عليها ورعاية لها وصيانة لحيائها وكرامتها، إذ كيف يقبل أن تزوج المرأة نفسها؟

والله تعالى حينما جعل الولاية في يد الرجال أمرهم بتقوى الله في النساء اللواتي ولّاهم اللهُ عليهن. وأوجب عليهم الحرص على مصالحهن وشدد على اختيار الأزواج الصالحين المرضيين في الدين والخلق، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير».

ومما شاع ووقع عضل النساء ويقع هذا في صور شتى منها، وعضل المرأة، هُوَ حَبْسُهَا عَنِ الزَّوَاجِ مِنْ كُفْئِهَا لِأَيِّ سَبَبٍ كَانَ. أوحجرها لتتزوج ممن يريد وليها لا من الكفء الذي تقدم لها.

ذلك أن الزَّوَاج حَقٌّ مِنْ حُقُوقِ المرأة، لاَ يَحِلُّ لِوَلِيِّهَا أَنْ يَمْنَعَهَا مِنْهُ، وَلاَ أَنْ يَرُدَّ الخُطَّابَ الأَكْفَاءَ عَنْهَا، وَإِلاَّ كَانَ عَاضِلاً لَهَا.

ومن يقع في هذا يرتكب منكرًا وإثمًا مبينًا، ويخالف كتاب الله وشرعه، حيث نهى الله تعالى عن العضل بقوله سبحانه: ﴿فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن إذا تراضوا بينهم بالمعروف﴾ (البقرة: ٢٣٢).

وقد وقع العضل في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنزل القرآن ناهياً عنه، وذلك أن معقل بن يسار رضي الله عنه، زوّج أخته رجلا من المسلمين فطلقها فلما انقضت عدتها جاء يخطِبها فرفض معقل بن يسار وقال: أكرمتك وزوجتك فطلقتها، والله لا ترجع إليها أبدا. وكانت المرأة تريده فنزل قولُ الله تعالى: ﴿وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن إذا تراضوا بينهم بالمعروف﴾، فَلَمَّا نَزَلَت الآيَةُ رَضَخَ مَعْقِلٌ لأَمْرِ اللهِ تَعَالَى، وَقَالَ: «سَمْعٌ لِرَبِّي وَطَاعَةٌ» ثُمَّ دَعَاهُ، فَقَالَ: «أُزَوِّجُكَ وَأُكْرِمُكَ»، فَزَوَّجَهَا إِيَّاهُ.

ومن صور العضل أن يجبرَها وليُّها على الزواج ممن لا ترغب فيه، خصوصا إن كان فاسقًا أو فاجرًا، أو كان السبب مجرد ماله وغناه أو وجاهتُه أو حسبُه ونسبُه، مع أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا تنكح الأيم حتى تُستأمر، ولا البكر حتى تستأذن». قالوا: يا رسول الله كيف إذنها؟ قال: «أن تسكت». (رواه البخاري).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن جارية بكرًا أتت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت أن أباها زوّجها وهي كارهة، فخيرها النبي صلى الله عليه وسلم.

وعن خنساء بنت خُذام الأنصارية أن أباها زوّجها وهي ثيّب فكرهت ذلك، فأتت النبي صلى الله عليه وسلم فرد نكاحها.

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: (القول الراجح في هذه المسألة أنه لا يحل للأب ولا لغيره أن يجبر المرأة على التزوج بمن لا تريد وإن كان كفئاً لأن النبي صلى الله عليه وسلم

قال: «لا تُنكح البكر حتى تستأذن»وهذا عام لم يستثن منه أحد من الأولياء، بل قد ورد في صحيح مسلم: «البكر يستأذنها أبوها»، فنص على البكر ونص على الأب، وهذا نص في محل النزاع فيجب المصير إليه، وعلى هذا فإن إجبار الرجل ابنته على أن تتزوج بشخص لا تريد الزواج منه يكون محرماً.)

ومن صور العضل التي تقع في بعض المجتمعات أن تُحجز الفتاة لقريب لها كابن عم أو غيره، دون أن يكون لها رأي أو مشورة منها، وربما كان غير كفء، وربما وقع حَجرها على قريبها فيتأخر زواج الفتاة بحجة أنها محجوزة لهذا القريب ولكن حين أراد ذلك الرجل الزواج لم يلتفت لها، وربما يكون قد مضى عمرها، وربما انصرف عنها الناس لما عرف وشاع أنها لفلان. وَلَرُبَّمَا تنافس أَبْنَاءُ قرابتها عَلَيْهَا لسبب من الأسباب من جَمَالٍ أو مال أو جاه أو غيره؛ فيعَضْلُهَا أبوها، وَيمَنْعُهَا مِنْ جَمِيعِهِمْ؛ لِئَلاَّ يُحْرَجَ فِي بَنِي عَمِّه. والضحية هنا الفتاة.

وهذه العادة القبيحة جريمة نكراء في حق المرأة وإثمها عظيم، وظلم ينبغي محاربته والقضاء عليه، والواجب الأخذ بالمنهج الشرعي، في الاستئذان من الفتاة إذا تقدم لها أحد، فإن جاء الفتاةَ من هو أهل لها مرضي الدين والخلق، فيجب أخذ رأيها ولا تجبر على من لا تريده، ولا تؤخَّر أو يرفض من يتقدم لأنها لقريبها.

وَمِنَ الآبَاءِ مَنْ يَكُونُ ذَا مَالٍ أو عَقَارٍ، وَيَتوهم أَنّ كُلّ متقدم لبناته طَامِعٌ، فيمنع بناتَه وَيَعْضِلُهن بِسَبَبِ ذَلِكَ، وما درى المسكين أنه حرم بنياته مما هو أهم من المال والدنيا كلِّها.

فالمَرْأَةَ ولو مُلّكَتْ خَزَائِنَ الأَرْضِ، وَأُعْطِيَتْ أَمْوَالَ قَارُونَ، وَحَازَتْ أَعْلَى الشّهَادَات، وعملت بأرقى المواقع، وكان لها من حطام الدنيا أكبر نصيب، فإنه لاَ سَعَادَةَ لَهَا إلاّ بِزَوْجٍ وَأَوْلاَدٍ!

ومن صور العضل أن يصر الولي على ألا يُزوج موليته إلا من قرابته أو قبيلته أو جماعته، وربما تأخرت الفتاة ولم يأت من يرجوه ذلك الولي، وتأمل قصة نكاح زيد بن حارثة رضي

الله عنه مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين زوّجه عليه السلام من زينب بنت جحش وهي بنت عمته وهي من قبيلة قريش، بل أفضل قبائل العرب.

وفي عصرنا الحاضر تنوعت وسائل العضل وصوره فمن ذلك أن بعض الأولياء يمنع موليته من الزواج لماذا؟ طمعًا في راتبها، فيرد الأكفاء والخطّاب زاعماً أنه لم يأت المناسب، وكم سمعنا من تلك القصص الكثير، فقد حدثت إحداهن تقول إنها وأختيها ثلاث معلمات يمنعهن أبوهن من الزواج بحجة عدم قدوم الكفء وحقيقة الأمر أنه يرغب في رواتبهن.

والعاقل الحصيف يخطب لبنته ويسعى في إعفافها وتزويجها من الكفء، بل ويبذل من ماله لتحقيق ذلك، وليس عيبًا أن يخطب الرجل لبنته، وكم علمنا من قصص الزواج الناجح كان أصله عرض كريم من ولي عاقل، وهذا منهج شرعي أصيل فهذا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يعرض ابنته حفصة على الصديق أبي بكر ثم على عثمان، ثم يخطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم؟!!.

وكذلك الرجل الصالح الذي عرض على نبي الله موسى عليه السلام أن يتزوج إحدى ابنتيه كما قال تعالى في حكاية قصته: (قال إني أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين على أن تأجرني ثماني حجج) (الآية، القصص:٢٧).

ومن صور العضل أن يمنع المرأةَ أبناؤها من الزواج بعد وفاة والدهم، ويرونه عيبًا وحرجا، وأنه غير لائق، وهذا عضل حتى ولو كبر سنها قليلا فلها حق ولها احتياج.

وَمِنَ الأَوْلِيَاءِ مَنْ يَعْضِلُ الفَتَاةَ إِذَا تَرَمَّلَتْ أَوْ طُلِّقَتْ؛ بِحُجَّة حَبْسِهَا عَلَى أَوْلادهَا لتربيهم وتكون معهم أو حتى لا يُشغل بهم لو تزوجت وتركتهم، أَوْ لِئَلاَّ يُقَالُ: إِنَّهَا تُرِيدُ الرِّجَالَ، فَتُمْنَعُ حَقَّهَا بِسَبَبِ ذَلِكَ.

وَقَدْ يَمُوتُ الزَّوْجُ فَيَعْمَدُ أَهْلُهُ إِلَى امْرَأَته فَيَمْنَعُونَهَا مِنَ الزَّوَاجِ إِلاَّ بِمَنْ يُرِيدُونَ؛ لأَنَّهَا أَرْمَلَةُ ابْنِهِمْ، وَهَذَا عَضْلٌ كَانَ يَفْعَلُهُ أَهْلُ الجَاهِلِيَّة، ولا يزال يُوجَدُ فِي بَعْضِ القَبَائِل، وقد ورد النهي في كتاب الله تَعَالَى عَنْهُ يقول سُبْحَانَهُ: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُم أَن

تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرهًا﴾ (النساء من الآية:١٩).

قَالَ ابْنُ عَبّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «كَانُوا إِذَا مَاتَ الرّجُلُ كَانَ أَوْلِيَاؤُهُ أَحَقّ بِامْرَأَتِه، إِنْ شَاءَ بَعْضُهُمْ تَزَوّجَهَا، وَإِنْ شَاؤُوا زَوّجُوهَا، وَإِنْ شَاؤُوا لَمْ يُزَوّجُوهَا؛ فَهُمْ أَحَقُّ بِهَا مِنْ أَهْلِهَا، فَنَزَلَتْ هَذِه الآيَةُ فِي ذَلِكَ».

وقد يقع العضل من الزوج، نعم من الزوج، وصورته أنه قد يضيق عليها ويسيء عشرتها لتفتدي منه فتطلب الطلاق أو الخلع وتدفع لذلك مالاً، وهذا منكر ومحرم وجرم عظيم وفيه دناءة ولا يليق بالرجل، وما يأخذه الزوج من هذا السبيل محرم وسحت لا يحل له وقد نهى الله تعالى عن ذلك فقال سبحانه ﴿يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا. وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا أتأخذونه بهتانا وإثما مبينا. وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذن منكم ميثاقا غليظا﴾ (النساء: ١٩-٢١).

وَقَدْ ذَكَرَ بَعْضُ المُفَسّرِينَ أَنّ الخطَابَ فِي قَوْلِه تَعَالَى: ﴿فَلَا تَعضُلُوهُنّ﴾ مُتّجهٌ لأَفْرَاد المُجْتَمَع كُلّه، وَأَنّهُمْ مَسْؤُولُونَ عَمّا يَقَعُ فِيه مِنْ عَضْلٍ لِلْفَتَيَات؛ لأَنّهُ إِذَا وُجِدَ العَضْلُ بَيْنَهُمْ وَهُمْ سَاكِتُونَ رَاضُونَ كَانُوا فِي حُكْمِ العَاضِلِينَ.

وعلى من ولاه الله تعالى أمر امرأة أن ينصح لها ويتقي الله فيها فإنه مسؤول عنها أمام الله وليعلم أنها أمانة عنده فكيف سيؤدي الأمانة، فهل يؤديها بحقها أو سيقصر ويخون تلك الأمانة، وليتذكر الولي أن المرأة تشعر وتحس وتعاني ولها حقوقها واحتياجاتها النفسية والجسمية، ولا يسوغ ولا يجوز حرمانها من تلك الحقوق.


عمل المرأة

عمل المرأة

قال تعالى ﴿ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان قال ما خطبكما قالتا لا نسقي حتى يُصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير﴾ فسقى لهما ثم تولى إلى الظل فقال رب إني لما أنزلت إلي خيرفقير﴾

في هاتين الآيتين هدايات عظيمة ودلالات عميقة لمن تأملها وهو منهج القرآن حينما يحكي أحوال الأمم السابقة ويقص القصص فكم من آية قي كتاب الله تحكي قصة للاعتبار والتفكر والاستفادة من دلالاتها وهداياتها بل وأحكامها في بعض الأحوال، ولذا يأمر تعالى في أكثر من موضع في كتابه عند حكاية القصص بالتفكر والتدبر قال تعالى: ﴿فاقصص القصص لعلهم يتفكرون﴾ وقال سبحانه ﴿لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب﴾ وكم جاء في القرآن الكريم من القصص والأخبار ما استنبط أهل العلم منه أحكاماً وتوجيهات شرعية، وآدابًا وفضائل عديدة، ومن المقرر عند علماء الأصول أن شرعَ من قبلنا شرع لناً ما لم يأت في شرعنا ما ينسخه.

وفي قصة موسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم لما توجه تلقاء مدين -المشار لها في الآيتين - موقف يتجلى فيه أعظم معاني التوكل على الله سبحانه والانقياد والتسليم له جل وعلا والرضى بقضائه والاستجابة لأمره سبحانه، وهو ما ينبغي على المسلم أن يكون عليه في كل أحواله من الرضى بقضاء الله والتسليم لأقداره جل وعلا وعدم التسخط أو الجزع، واحتساب ذلك عند الباري جل وعلا، والاقتداء بأنبياء الله ورسله عليهم صلوات الله وسلامه، فقد كانوا أئمة في التسليم والطاعة والانقياد والامتثال لأوامر الله وشرعه، وعدم استعجال الثمرة بل الصبر مع اليقين بنصر الله تعالى فهو جل وعلا معز أولياءه و مذل أعداءه.

وفي هذه القصة يحكي ربنا جل وعلا في كتابه العزيز مشهدًا وموقفًا يتكرر كل حين وكل آن، سيما وحاجة الناس له دائمة مستمرة لا تتوقف، وهو مشهد سقيا الماء، إذ إن الناس بحاجة للماء دائماً ولا يستغنون عنه، يقول تعالى: ﴿وجعلنا من الماء كل شيء حي﴾ وفي هذا الموقف يبين الله تعالى أن نبي الله موسى لما ورد ماء مدين أي لما أقبل على ماء مدين وجد مشهدًا مألوفًا وهو أن القوم يسقون، ولكن شده منظر كان دون تلك الجموع والمراد خلفها أي بعد جموع الناس وليس بقربها، إنه مشهد لامرأتين تمنعان أغنامهما من الاختلاط بغيرها من الأغنام فقد حرصتا على ألا يختلط أغنامهما بأغنام غيرهما فإنهما كانتا

تذودان.

وهنا يأتي السؤال من نبي الله موسى لأنه من غير المعتاد أن تخرج المرأة للعمل فسألهما كالمستنكر خروجهما وكأنه يسأل: أين من يفترض أن يعمل عنكما؟ ما خطبكما وما شأنكما وما أمركما؟ وهنا يأتي الجواب مفصلاً بالحال والعلة والمآل، فتكلمتا ونلحظ هنا أخواتي المستمعات إخواني المستمعين: أنه لم تتكلم إحداهما فقط بل تكلمتا، بعداً عن التهمة وسلامة للصدور وبراءة للذمة ﴿قالتا لا نسقي حتى يُصدر الرعاء﴾ والمراد أننا لا يمكن أن نختلط بالرجال من الرعاة بل ننتظر حتى ينتهوا من السقيا ثم نتوجه بعدهم للسقيا، ومن هذا يتضح المنهج الشرعي في عمل المرأة، إن هي اضطرت أن تخرج للعمل عند فقد العائل، أو عند عدم من يقوم بالعمل عنها، المنهج الشرعي أن تكون بعيداً عن الاختلاط وبعيداً عن مزاحمة الرجال، وبعيداً عن مواطن الريبة والشبهة. ومنعاً لشبهة قد ترد أو فهم خاطئ قد يقع، لم تكتف المرأتان بهذا الجواب، بل أكملتا لأن كل سامع لقولهما سيتبادر لذهنه وأين العائل ولمَ لم يأت الرجل لهذا العمل وليقوم بواجبه؟ ولماذا تخرجان وليس من شأنكما ذلك؟ فجاء الجواب لكل ما يتردد في الصدر ومنعاً لأي تهمة أو سوء ظن ﴿وأبونا شيخ كبير﴾ إنها العلة لخروجهما وتجشمهما عناء العمل، وهما ليستا من أهله، إذ لو وجد عائل أو من يعمل عنهما لما خرجتا، وهو ما يدل دلالة أكيدة على أن خروج المرأة للعمل ما هو إلا استثناء وليس أصلاً، وأنها إنما تخرج للضرورة عند عدم العائل أو عند وجود الحاجة وليس خروجاً بلا سبب وبلا مبرر، ثم إن خروجها يقدر بقدر الحاجة ودون توسع.

وليس كما يريد أهل الشر والفساد في هذا الزمان وغيره من السعي المحموم لإخراج المرأة من بيتها ودفعها لمخالفة التوجيه الشرعي فالله تعالى يقول ﴿وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى﴾ فخروجها من بيتها وعدم قرارها لغير حاجة أو ضرورة هو من عمل الجاهلية الأولى، وهو ما يطالب به ويبحث عنه أهل الجاهلية المعاصرة.

ويكذب أعداء الله حينما يحاولون الزعم بأن في خروج المرأة مساواة لها بالرجل، وأنها تقوم بواجبها مثل الرجل، فالجواب أن المرأة في الإسلام ليست ملزمة بالنفقة، بل يلزم وليها من أب أو زوج أو غيره بالإنفاق عليها، ولا تكلف بذلك لأنها ليست من أهله، فهي درة مصونة يجب على وليها المحافظة عليها وعدم تعريضها لما يضرها، ويقوم هو بالإنفاق والرعاية، ولا تكلف من ذلك شيئاً.

وإن العالم الغربي الآن أدرك خطأه في إخراج المرأة من بيتها وتركها لوظيفتها الأساسية بالقيام برعاية بيتها وشؤونه والعناية بأولادها، حيث لم تسلم من الأذى والضرر والتحرش

والاعتداء حينما خرجت، وهذا ما صرح به الكثير من الباحثين والباحثات من الغربيين على وجه الخصوص.

فقد أوردت عدة دراسات أن المرأة الغربية تفضل النجاح في الزوجية على النجاح في العمل، حيث ذكرت إحدى الصحف الشهيرة أنه «في ألمانيا أجريت إحصائيات ضخمة بين السيدات اللاتي يمتلكن المراكز الكبيرة في الشركات والمصالح، وسئلت كل واحدة منهن: هل تفضل نجاحها في العمل أم نجاحها في الحياة الزوجية؟ وكانت الإجابات واحدة دون استثناء، فقد أجابت كل سيدة متزوجة بأنها تفضل النجاح في حياتها الزوجية على النجاح في عملها، وأنها مستعدة للتضحية بعملها ومركزها الكبير ولا يمكن أن تضحي ببيتها وزوجها وأولادها، وأجابت مجموعة كبيرة من السيدات المتزوجات بأنهن كن يفضلن الزواج مع البقاء في مراكز صغيرة جداً وتقاضي مرتبات ضئيلة جداً من الوصول إلى هذه المراكز المرموقة بدون زواج؛ فقد تبين لهن أن النجاح في العمل لم يعطهن الاستقرار والسعادة الحقيقية التي تتمناها كل واحدة لنفسها».

وصرحت زعيمة حركة «كل نساء العالم»جويس ومقرها أمريكا: قائلة» هناك بعض النساء حطمن حياتهن الزوجية عن طريق إصرارهن على المساواة بالرجل، إن الرجل هو السيد المطاع، ويجب على المرأة أن تعيش في بيت الزوجية وأن تنسى كل أفكارها حول المساواة»، وتقول الخبيرة في شؤون الأسرة الأمريكية «هيلين»: «إن فكرة المساواة بين الرجل والمرأة غير عملية أو منطقية، وإنها ألحقت أضراراً جسيمة بالمرأة والأسرة والمجتمع».

وقالت ميراهنت الأمريكية: «إن النساء الأمريكيات أصبحن يصبن بالشيخوخة في سن مبكرة نتيجة صراعهن لتحقيق المساواة مع الرجال».

وقالت رئيسة الجمعية النسائية الفرنسية: »إن المطالبة بالمساواة الكاملة بين الرجل والمرأة تصل إلى مرحلة الضياع حيث لا يحصل أحد الطرفين على حقوقه»

وتقول زوجة رئيس جنوب أفريقيا السابق: «إن المكان الطبيعي للمرأة هو البيت الذي فيه تكون الأسرة، وترعى فيه الأبناء أجيال المستقبل وأمل الأمة المنشود.».

هذه بعض أقوالهن بعد أن خضن التجربة، وتعمدت ألا أعرض لبعض المآسي التي صرح بها الكثير منهن، نسأل الله أن يرينا الحق حقاً ويرزقنا اتباعه، وأن يرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه، وأن يحفظ نساءنا والمسلمين أجمعين من كل بلاء وفتنة.



غض البصر

غض البصر

قال تعالى: ﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم﴾ وقال سبحانه ﴿وقل للمؤمنات بغضضن من أبصارهن﴾

يقول القرطبي (البصر هو الباب الأكبر إلى القلب وأعمر طرق الحواس إليه، ولذا كثر السقوط بسببه ووجب التحذير منه)بتصرف من تفسيره ١٤٨/٢

وقال صلى الله عليه وسلم: «النظرة سهم مسموم من سهام إبليس فمن تركها خوفاً من الله آتاه الله عز وجل إيماناً يجد حلاوته في قلبه»(أخرجه الحاكم وصحح إسناده).

وفي حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال(إياكم والجلوس في الطرقات قالوا يا رسول الله ما لنا بد من مجالسنا نتحدث فيها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا أبيتم إلا المجلس فأعطوا الطريق حقه قالوا وما حقه قال غض البصر وكف الأذى ورد السلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) متفق عليه واللفظ لمسلم

قال بعض السلف (من حفظ بصره أورثه الله نوراً في بصيرته)

وكان العربي الأول يقول:

وأغض طرفي ما بدت لي جارتي
حتى يواري جارتي مثواها

وفي الحديث أنه صلى الله عليه وسلم (يا علي لا تتبع النظرة النظرة، فإن لك الأولى وليست لك الثانية)

وعن جرير بن عبد الله أنه قال سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن نظر الفُجَاءَة، قال: فأمرني أن أصرف بصري) رواه مسلم

ويقول الكرماني في قوله تعالى: «يعلم خائنة الأعين»: إن الله يعلم النظرة المسترقة إلى ما لا يحل.

ومن آثار إطلاق البصر: لوعة القلب وفساد الخلق وهو بريد الزنا، وباب لانتشار الفساد، وقلة الحياء، والجرأة على ما حرم الله،

قال الشاعر

كل الحوادث مبدؤها من النظر
ومعظم النار من مستصغر الشرر
كم نظرة فتكت في قلب صاحبها
فتك السهام بلا قوس ولا وتر
والمرء ما دام ذا عين يقلبها
في أعين الغيد موقوف على الخطر
يسر مقلته ما ضر مهجته
لا مرحباً بسرور عاد بالضرر

وغض البصر ليس مقتصراً على الرجال فالنساء قد أمرن بغض البصر كما مر قال تعالى: ﴿وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن، ويحفظن فروجهن﴾ وغض البصر باب عظيم لحفظ الفروج وعكسه بعكسه فإطلاق البصر باب للوقوع في محرمات الشهوات من الزنا والفجور.

وغض البصر طاعة وعبادة يجد المسلم والمسلمة أثرها في قلبه، لما فيها من مخالفة للهوى ومعصية للنفس الأمارة بالسوء، ولا يقوى على غض البصر إلا من كان ذا نفس مؤمنة قوية مطمئنة، وهي عبادة تزيد إيمان العبد وتقربه من ربه.

ولغض البصر ثمرات منها: طاعة الرحمن، وتحصيل حلاوة الإيمان، ونور في القلب وقوته وثباته.

وفي غض البصر راحة للنفس عجيبة يجدها من وفقه الله لغض بصره، وراحة للبدن عظيمة يلمسها الموفق لغض بصره. وفي غض البصر، حفظ للمحارم بإذن الله، وبُعد عن الفواحش، وتحصين من الخنا والفجور والفساد، وفي غض البصر حفظ للمجتمع، ومراغمة للشيطان.

وحين أمر الله بغض البصر من الطرفين الرجال والنساء أتبعه بنهي النساء عن إبداء

الزينة وأمر بضرب الخمر على الجيوب وكرر النهي عن إبداء الزينة، والاستثناء في قوله تعالى: ﴿ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن﴾ المراد به على الصحيح من قولي العلماء أنها الثياب الظاهرة التي ليس فيها تبرج ولا فتنة كالعباءة التي لا تستطيع سترها. كما نقله الشيخ ابن باز رحمه الله عن ابن مسعود رضي الله عنه.

وأمر سبحانه بإرخاء الجلابيب لئلا يعرفن ولا يؤذين. وذلك منعاً وحماية من النظر المحرم.

وفي هذه السياق جاء في الحديث تحذير عظيم في قول المصطفى صلى الله عليه وسلم (صنفان من أهل النار لا أراهما بعد: نساء كاسيات عاريات مائلات مميلات على رؤوسهن مثل أسنمة البخت المائلة لا يرين الجنة ولا يجدن ريحها ورجال معهم أسواط كأذناب البقر... قال الشيخ ابن باز رحمه الله: وهذا تحذير شديد من التبرج والسفور ولبس الرقيق والقصير من الثياب والميل عن الحق والعفة وإمالة الناس إلى الباطل ومن أعظم الفساد التشبه بالكافرات في لبس القصير والرقيق وإبداء الشعر والمحاسن وفي الحديث (من تشبه بقوم فهو منهم)

وقد أورد ابن تيمية تفسيراً لقوله كاسيات عاريات بقوله: أن تكتسي ما لا يسترها فهي كاسية وفي الحقيقة عارية كالثوب الرقيق أو الضيق. وقال القرطبي معناه كاسية الثياب عارية التقوى كما قيل:

إذا المرء لم يلبس ثياباً من التقى
تقلب عريانا وإن كان كاسيا

ومن ثمرات غض البصر والبعد عن النظر المحرم:

السعادة التي ينالها المؤمن وهو يتجنب ما حرم الله. وأي لذة يجدها في قلبه عندما يحيد عن طريق الزلل والفجور. يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَا مِنْ مُسْلِم يَنْظُرُ إِلَى مَحَاسِنِ امْرَأَةٍ أَوَّلَ مَرَّةٍ ثُمَّ يَغُضُّ بَصَرَهُ إِلَّا أَحْدَثَ اللَّهُ لَهُ عِبَادَةً يَجِدُ حَلَاوَتَهَا. رواه أحمد، وفي الحديث (النظرة سهم مسموم من سهام إبليس فمن تركها خوفاً من الله آتاه الله عز وجل إيماناً يجد حلاوته في قلبه»(أخرجه الحاكم وصحح إسناده).

إن من يركب الفواحش سرا
حين يخلو بسره غير خالي
كيف يخلو وعنده كاتباه
شاهداه وربه ذو الجلال

وقال الحجاوي: فضول النظر أصل البلاء لأنه رسول الفرج، أعني الآفة العظمى والبلية الكبرى، والزنا إنما يكون سببه في الغالب النظر، فإنه يدعو إلى الاستحسان ووقوع صورة المنظور إليه في القلب والفكرة، فهذه الفتنة من فضول النظر، وهو من الأبواب التي يفتحها الشيطان على ابن آدم.

قال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ ذالِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ (النور: ٣٠).

ولنتأمل أيها الاخوة ما في هذه الآية من البلاغة الغوية، وسمو التشريع، وفصاحة الخطاب، فقد قال الله عز وجل: يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَارِهِمْ ولم يقل يغضوا أبصارهم، ومن هنا على رأي كثير من المفسرين للتبعيض، لأن أول نظرة لا يملكها الإنسان، وإنما يغض فيما بعد ذلك، فقد وقع التبعيض بخلاف الفروج، فلم يقل: يحفظوا من فروجهم، بل قال تعالى: وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ، إذ حفظ الفرج عام.

ثم تأمل كيف بدأ بالأمر بحفظ البصر ثم أتبعه بحفظ الفرج، وذلك لأنّ البصر الباب الأكبر إلى القلب، وبحسب ذلك كثر السقوط من جهته ووجب التحذير منه.

ولهذا قيل: النواظر صوارم مشهورة، فأغمدها في غمد الغض والحياء من نظر المولى، وإلا جرحك بها عدو الهوى (١). تفسير الثعالبي ١١٦/٣

وما أحسن ما قيل:

وغض عن المحارم منك طرفًا
طموحا يفتن الرجل اللبيبا
فخائنة العيون كأسد غاب
إذا ما أهملت وثبت وثوبا
ومن يغضض فضول الطرف عنها

يـجـد ﻓﻲ قـلـبـه روحـــا وطـيـبـا

ومن نتائج وثمرات غض البصر:

أنه يورث القلب نوراً وإشراقاً يظهر في العين وفي الوجه وفي الجوارح.

ومن الثمرات: أنه يورث صحة الفراسة.

ومن الثمرات: أنه يورث قوة القلب وثباتَه وشجاعتَه فيجعل له سلطانَ البصيرة مع سلطان الحجة.

ومن ثمرات غض البصر: تخليص القلب من ألم الحسرة:

فإن من أطلق نظره دامت حسرته، فأضر شيء على القلب إرسال البصر، فإنه يريه ما يشتد طلبه ولا صبر له عنه ولا وصول له إليه، وذلك غاية ألمه وعذابه. قال الشاعر:

وكنت متى أرسلت طرفك رائداً
لقلبك يومـــاً أتعبتك المناظر
رأيــت الـــذي لا كله أنـت قـادر
عليه ولا عن بعضه أنت صابر

اللهم إنا نسألك أن تطهر قلوبنا وأن تحصن فروجنا وأن ترزقنا خشيتك في الغيب والشهادة، وأن تعصمنا عما يغضبك.


غلاء
المهور

غلاء المهور

سمع أحدهم إحدى الحلقات في هذا الإذاعة المباركة فأثنى خيرا ورغب أن أتحدث عن غلاء المهور، وبالفعل سألت مجموعة من الشباب عن سبب تأخرهم في الزواج فكان جل إجابتهم أن غلاءَ المهور سببٌ رئيس. ولو طرحنا استبيانا لاستقصاء أسباب تأخر الزواج لكانت النسبة الأكبر للتأخر هي غلاء المهور.

وهنا أسأل كل ولي أمر فتاة ألا ترغب في الستر على بنتك ألا تفكر في زوج صالح يسعدها وتسعده، ألا تريد السعادة لبناتك، كل عاقل سيجيب بلى، ولكن إذا تقدم لبناته أو مولياته أحد، بدأ بوضع العراقيل والشروط والمطالبات، مما يضطر الشاب لتركه وترك التفكير في الزواج أصلا؛ فهو سبب في عنوسة مولياته وتأخر زواجهن شعر أو لم يشعر.

المهر في الشريعة الإسلامية للمرأة قال تعالى: ﴿وآتوا النساء صدقاتهن نحلة﴾

وللأسف أن بعض الآباء والأولياء يظن أنه له أو للأسرة ككل، وكم سمعنا في قصص ليست قليلة أن للأب كذا وللأم كذا ولإخوانها كذا، فالمسألة ليست بيعا بارك الله فيكم. وبعض الآباء والأولياء يظن أن هذا أدعى لنجاح الزواج واستمراره، ودافع لتشبث الشاب بزوجته وهذه جهل وعدم معرفة بالواقع، فإنه إن أحبها أكرمها وحافظ عليها لحبه لها، وليس لأنه بذل مالا كثيرا، وإن كرهها ولم يرض بها وقد دفع مالا كثيرا، ربما آذاها وعذبها وعضلها إذا لم يكن ممن يخاف الله تعالى.

بل إن دفع الأموال الطائلة ولو رغب الزوج في زوجته وأحبها فسيبقى يتذكر ديونه وما بذله وما تحمله من نفقات في زواجه فجعل ينظر لهذه الزوجة المسكينة أنها سبب شقائه وكثرة ديونه، وربما أثر على علاقته بها.

وربما بقي الشاب السنوات الطوال ليسدد ما عليه من ديون، وقد يترتب على ذلك تقصير في حق الزوجة في نفقة أو غيره، ومن يتتبع هذه القضايا يسمع العجب العجاب.

فاتقوا الله في مولياتكم وبناتكم واتقوا الله في شباب المسلمين، واتقوا الله في أمة الإسلام. فهذه الشرور وهذه الآفات وهذه المنكرات من أكبر مسبباتها تأخر الزواج وغلاء المهور سبب رئيس.

وتخفيف مؤونة النكاح، هو هدي الإسلام وهو ما جاءت به سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم: حديث «أعظم النساء بركة أيسرهن مؤنة «والحديث فيه ضعف، حيث رواه النسائي وابن أبي شيبة والحاكم والبيهقي وأحمد عن القاسم بن محمد عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: فذكره. إلا أن الحاكم والبيهقي قالا: «صداقا» . وقال الحاكم: «صحيح على شرط مسلم» . ووافقه الذهبي.

وروى مسلم في صحيحه وأبو داود والنسائي عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال: سألت عائشة رضي الله عنها كم كان صداق رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت: كان صداقه لأزواجه اثنتي عشرة أوقية ونَشًّا. قالت: أتدري ما النش؟ قلت: لا. قالت: نصف أوقية، فذلك خمسمائة درهم وقال عمر رضي الله عنه: «ما علمت رسول الله صلى الله عليه وسلم نكح شيئاً من نسائه ولا أنكح شيئاً من بناته على أكثر من اثنتي عشرة أوقية». قال الترمذي: حديث حسن صحيح وقد ثبت في الصحيحين وغيرهما عن سهل بن سعد الأنصاري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم زوج امرأة على رجل فقير ليس عنده شيء من المال بما معه من القرآن وروى أحمد والبيهقي والحاكم أن من يمن المرأة تيسير خطبتها وتيسير صداقها

وتزوج عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه امرأة على وزن نواة من ذهب متفق عليه والله تعالى يقول: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا﴾

ومن أراد المزيد في هذا فليقرأ هدي النبي صلى الله عليه وسلم في تزوجه وتزويجه، وتوجيهه لأصحابه. وكذلك كان هدي صحابته - رضي الله عنهم - في النكاح. وهو ما سار عليه السلف الصالح إلى زماننا هذا.

وقد رأينا وعلمنا من قصص نجاح وتميز وسعادة لنكاح ميسر خلا من التكلفة والمبالغة والمباهاة والمفاخرة، التي عمت وطمت هذه الأزمان والله المستعان.

وعكس ذلك رأينا وعلمنا قصصاً وحالات من عدم الاستقرار وعدم الاستمرار ووجود المشكلات وفشل الزواج بسبب المغالاة والمباهاة ووقوع بعض المنكرات. ومن المسلم به والمؤكد أنه ليس من الحكمة ولا من المصلحة المغالاة في المهور والإسراف في حفلات الزواج وطلب الأولياء من المتزوج الأموال الباهظة التي يعجز عنها كثير من الناس وتكون سبباً للحرمان من الزواج وتأيم الشباب والفتيات.

والمغالاة في المهور وجعل الزوجة كأنها سلعة تباع وتشترى مما يخل بالمروءة وينافي الشيم ومكارم الأخلاق.

وقد يظن بعض الجهال أن تخفيف المهر فيه إهانة للمرأة، وهذا والله من أعظم الجهل، إن إكرام المرأة ليس في زيادة مهرها وليس في الإسراف في تكاليف زواجها، بل هو في إعانتها على العفاف والستر وإلحاقها بالزوج الصالح الذي يكرمها ويصونها، وهي من ثم تكون ربة بين تعنى ببيتها وزوجها وأسرتها هذه هي الكرامة الحقيقية والتكريم الفعلي، واسأل من تأخرن في الزواج أو انشغلن بدراسة أو وظيفة عن أعظم وظيفة للمرأة وهي القيام بواجب الزوجية وأمور الأسرة يجبنك بالحسرة والندامة والأسف على ما فاتهن وقد يكون الكثير منهن تأخرن في الزواج بسبب المغالاة في المهور ورد الأكفاء، وفي الحديث (إذا جاءكم من ترضون دينه وأمانته فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض) ولم يقل من ترضون قدرته المالية أو رصيده أو المهر الذي سيدفعه أو منصبه أو شهادته، كما هو حال بعض الأولياء حينما يتقدم لموليته أحد فإن أول معيار في نظره هو المال

والرصيد والغنى والمكانة والوظيفة، وليس الدين والتقوى والخلق.

خطب عمر رضي الله عنه فقال: ألا لا تغالوا في صدقات النساء فإنها لو كانت مكرمة في الدنيا أو تقوى عند الله لكان أولاكم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ ما أصدق قط امرأة من نسائه ولا بناته فوق اثنتي عشرة أوقية. أخرجه أبو حاتم البستي في صحيح مسنده عن أبي العجفاء السلمي، وأخرجه ابن ماجه في سننه، وزاد بعد قوله: أوقية. وإن الرجل ليُثقِّل صدقة امرأته حتى تكون لها عداوة في نفسه.

وقد يحتج بعضهم بالآية ﴿وآتيتم إحداهن قنطاراً﴾ بأنه يجوز المبالغة في المهر لأن الله تعالى لا يضرب مثلا إلا بمباح، وأجيب بأن الآية لا تدل على جواز المغالاة بالمهور ؛ لأن التمثيل بالقنطار إنما هو على جهة المبالغة ؛ كأنه قال: وآتيتم هذا القدر العظيم الذي لا يؤتيه أحد. وهو مثل قوله صلى الله عليه وسلم: «من بنى لله مسجدا ولو كمفحص قطاة بنى الله له بيتا في الجنة.»ومعلوم أنه لا يكون مسجد كمفحص قطاة.

وقد أجمع العلماء كما نقله القرطبي على أنه لا تحديد في أكثر الصداق، إلا أنه باتفاق أهل العلم لا يجوز ما يضر أو يؤدي لمفسدة.

ثم إن المهر - كما مر- إنما هو للمرأة فالله تعالى يقول ﴿وآتوا النساء صدقاتهن﴾ أي مهورهن، وآتوا بمعنى أعطوا، فليس في المهر أي حق للأب أو الولي أن يتصرف فيه، إلا فيما تأذن فيه المرأة صاحبة الصداق. ولا يحق لأحد أيا كان أن يأخذه بدون رضاها، وقد قال تعالى: ﴿فإن طبن لكم عن شيء منه نفساً فكلوه هنيئاً مريئا﴾ وفي هذا يحرم إكراهها ولو إكراها أدبيا معنوياً لتتنازل عن مالها أو عن جزء منه، ومن أخذه دون طيب نفس منها فهو يأخذ مالاً محرماَ يبوء بإثمه.

فيا عباد الله اتقوا الله في أنفسكم وفيمن ولاكم الله عليهن من البنات والأخوات وغيرهن وفي إخوانكم المسلمين واسعوا جميعاً إلى تحقيق البر في المجتمع وتيسير أمر النكاح، ودفع

أسباب انتشار الفساد والجرائم، ولا تجعلوا نعمة الله عليكم سلَّماً إلى عصيانه، وتذكروا أنكم مسؤولون ومحاسبون على تصرفاتكم كما قال تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

قال الشيخ محمد بن إبراهيم في كلمة له عن غلاء المهور (فإن مشكلة غلاء المهور في زماننا هذا من أكبر المشاكل التي يجب الاعتناء بحلها وذلك لما يترتب على غلاء المهور في زماننا هذا من أضرار كثيرة نخص منها بالذكر ما يأتي:

١. قلة الزواج التي تفضي إلى كثرة الأيامى وانتشار الفساد.

٢. الإسراف والتبذير المنهي عنهما شرعاً.

٣. غش الولي لموليته بامتناعه من تزويجها بالكفء الصالح الذي يظن أنه لا يدفع له صداقاً كثيراً رجاء أن يأتي من هو أكثر صداقاً ولو كان لا يرضى ديناً ولا خلقاً ولا يرجى للمرأة الهناء عنده وهذا مع كونه غشاً فيه العضل الذي يعتبر من تكرر منه فاسقاً ناقص الدين ساقط العدالة حتى يتوب، وفيه مخالفة حديث «إذا جاءكم من ترضون دينه وأمانته فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير». انتهى كلامه رحمه الله.


نعمة الولد

نعمة الولد

قال الله تعالى: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ، يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثاً وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ أو يزوجهم ذُكرانا وإناثا ويجعل من يشاء عقيما إنه عليم قدير﴾ (سورة الشورى: ٥٠)

الولد... هبة وعطاء وكرم وفضل من الله تعالى وحده، فهو سبحانه الذي يخلق وهو الذي يرزق وهو الذي يوجِد وهو الذي يُمِد وهو الذي يعطي، وهو الذي يرزق بالولد ذكرا كان أو أنثى وهو سبحانه يجعل من يشاء عقيما.

فنعمة الولد يختص الله بها من يشاء من عباده ولو كان فقيرا، ويمنعها عمن يشاء من خلقه ولو كان غنيًّا، يقول تعالى: ﴿أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾.

فالواجب على الوالد أبا وأمّا شكرُ المُنعم الذي له الخلق والأمر، فمن يؤمن بأن الله أكرمه وأعطاه ولو شاء لحرمه، يدرك قيمة إنعامه سبحانه، ويدرك أهمية ووجوب شكر الله الواهب الكريم على ما وهب وتكرم. فإن قيد النعم بالشكر، قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (لا شيء أسلب للنعمة من كُفرانها. وإن الشكر أَمْنٌ للغِير، ونماءٌ للنعمة، واستجلابٌ للزيادة) (من كتاب صبح الأعشى للقلقشندي).

وحقيقة الشكر العمل، يقول سبحانه: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْراً وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾، فدوام العمل شكرا لله برهان الصدق. وقد كان المصطفى صلى الله عليه وسلم يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه، ولما سُئل قال: أفلا أكون عبدا شكورا؟

وإذا أردت أن تعرف عظيم منة الله عليك بهذه النعمة فانظر إلى من حُرمها كيف هي حياته ويتمنى أن يُرزق ولدًا يملأ عليه دنياه فرحًا وسروراً.

بل قال أحدهم أتمنى ولو قطعة ولد، فآتاه الله بنتًا معاقة لا تمشي، والله تعالى المقدر.

الأولاد زينة الحياة الدنيا، وهم زهرتها، يخففون عن آبائهم متاعب الحياة وهمومها، وجودهم في البيت كالزهر في الحدائق، يضفون البهجة والسرور، تسر الفؤاد مشاهدتهم، وتقر العين رؤيتهم، وتبتهج النفس بمحادثتهم، وصدق الله تعالى: ﴿المال والبنون زينة الحياة الدينا﴾ (الكهف: ٤٦)

ونعمة الولد كما النعم عمومًا تُنسب حقيقة إلى المُنعِم لا إلى المُنعَم عليه فالله تعالى يقول ﴿وما بكم من نعمةٍ فمن الله﴾ و من أوتي نعمة ولم يشكر ذهبت منه وهو لا يشعر.

وطلب الولد طبيعة وفطرة بشرية ولا يلام الإنسان على بحثه وسعيه لتحصيل الولد فإن وجوده صفة كمال للبشر، وفقده وعدمه يعد صفة نقص في الإنسان حيث يعد عقيما، لكن عدم الولد لله سبحانه تعد صفة كمال له جل جلاله، وادعاء الولد لله صفة نقص كما قال تعالى: ﴿ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله﴾ (المؤمنون ٩١) والسر في ذلك والله تعالى أعلم: أن البشر محتاجون لمن يعينهم ويساندهم ويقف معهم في أمورهم وخاصة عند الكبر وهذا منتف في حق الله تعالى، فهو ليس بحاجة لأحد مستغن بذاته جل وعلا.

قال ابن القيم: وقال جل وعلا: ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ﴾ (يونس: ٦٨)، وقال - حكاية عن الجن -: ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلا وَلَدًا﴾ (الجن: ٣)، أي تعالت عظمته؛ فبني التنزيه عن الولد على منافاته لكمالات الرب التي تجمعها صمديته وعظمته؛ كالوحدانية والغنى والقهر؛ إذ الولد يبطل الوحدانية، وينافي الغنى لدلالته على القصور والاحتياج، ويبطل عموم القهر لما في العالم العلوي والسفلي؛ لأن الولد سيكون إلهاً قاهراً لا مقهوراً (بدائع الفوائد لابن القيم ١/١٦٠، ١٦٨، تفسير السعدي ٦/٤٤٨، ٤٨٩)

وعلى الوالد أن يستقبل أمانة الولد بحُسن التلقي وحُسن الأداء والتبليغ والحفظ، بدءًا من حُسن اختيار الأم من نَسلٍ طيب بالحرص على المنبت الحسن وتجنب المنبت السوء، وبذل المال الطيب من مكسب حلال، وأن يكون زواجه بنِية طيبة بالتقرب لله وتحقيق الاستخلاف وقضاء وطره بالطريق الشرعي.

واختيار الزوجة الصالحة جاء التوجيه إليه في الحديث (تنكح المرأة لأربع ثم قال فاظفر بذات الدين تربت يداك)

وورد في حديث ضعيف (إياكم وخضراء الدمن. قالوا: وما خضراء الدمن؟ فقال: المرأة الحسناء في المنبت السوء). (قال ابن عبد البر: شبهها بنبات أخضر نضر نبت على دمنة، وهي الأبعار والأبوال تبلل بعضها على بعض. فإن المناكح الكريمة مدرجةٌ للشرف)(بهجة المجالس وأنس المجالس، لابن عبد البر القرطبي).

والعناية بالولد وتربيته أمر واجب ومتحتم فهو مما أوجبه الله على الوالد أما وأبا، والتقصير في ذلك والإهمال من أعظم صور الغش ففي الحديث يقول صلى الله عليه

وسلم: "من غشَّ فليس منا". وإن كان الحديث ورد في أمر البيع إلا أن التقصير في تربية الولد من أعظم الغش بل أيُّ غشٍّ أكبر من الإهمال والتقصير والضعف في تربية الولد وبذل الوُسع في أداء أمانة الرعاية والولاية على أحسن وجه يرضي الله تعالى والله جل وعلا يقول: إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها.

وفي الحديث: «كفى بالمرء إثما أن يُضيع مَن يعُول» وأكبر تضييع وأعظمه تضييع أمانة تربية الولد فبه بعد توفيق الله تستقيم شؤون دنياه وأمور آخرته، ومن غش أبناءه في الدين فقد قطع رحمه وعق آباءه وضيَّع أمانته، حتى ولو أدركوا من الدنيا ما أدركوا. إذ لا قيمة للدنيا كلها إذا كان صاحب الدنيا مقطوعا عن الله؟ وما جدوى دنيا بلا آخرة، أو عاجل بلا آجل؟

وعلى المسلم إذا دعا بالوالد أن يدعو بالولد الصالح.

والولد عمل واستثمار بل هو أعظم استثمار، وتأمل حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له)(أخرجه مسلم)، يموت الإنسان ويبقى من عمله شيء في الدنيا: ولد (ذكر أو أنثى) ثم صالح بميزان الشرع (في دينه وعقله وخلقه) ثم (يدعو له)(يكثر الدعاء ويخلصه لوالديه).

فتأمل أخي إن أحسنت تربية ولدك ذكرًا كان أو أنثى استمر لك الخير والأجر إلى ما شاء الله، وإن حصل العكس لا قدر الله استمر الأثر السيء إلى ما شاء الله فأي رصيد تريد بعد رحيلك من الدنيا.

فالولد عمل يحتاج إلى اهتمام وعناية ورعاية، ففي الحديث قال صلى الله عليه وسلم: (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، الإمام راع ومسئول عن رعيته، والرجل راع في أهله ومسئول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده ومسئول عن رعيته، فكلكم راع ومسئول عن رعيته)(أخرجه البخاري)، فهل من ترك أولاده لفوضى الشارع أو فيضان الإعلام والشبكات، وهيجان الشرور والأخطار، هل قام بواجب الرعاية؟.

في الحديث عن النبي صلى عليه وسلم، أنه قال: (ما نحل والد ولده خيراً من أدب حسن)، وهو حديث مرسل وقال المنذري في الترغيب والترهيب: إسناده صحيح أو حسن أو ما

قاربهما.

ومعناه خير ما يهدى للابن الأدب الحسن، وخاصة في زماننا هذا فالحاجة إلى التربية أكثر في عصرنا الذي تداعت فيه وسائل التواصل والشبكات ومجالات التلقي وكثرت فيه الفتن والملهيات وانتشرت فيه الشبهات والشهوات وتسلط شياطين الإنس والجن وتكالب الأعداء. وخاصة على الشباب من الجنسين. مما يستدعي همة وحرصا وتنبها يفوق ما سبق من الأزمان.

والتقصير في تربية الولد تقصير في حق نفسك أيها الأب وأيتها الأم فإنك لن ترى ثمرة لجهدك ولن ترى أثرا لزرعك ولن تفرح بنتاج محصولك بل ربما ساءتك الثمرة وأزعجك مرراة النتاج.

ومن الأخطاء الكبيرة والشنيعة التساهل في وجود المنكرات في البيت وسماع المحرم والنظر للمحرم فماذا يرجى من شاب أو فتاة نشؤوا على ذلك.

ومن الأخطاء في حق الأولاد -وهو خطأ كبير وخطير- ما نسمعه من دعاء على الولد وشتم له وإساءة إليه فهذا خُلق منهي عنه لقول رسول اللّٰه صَلَّى اللّٰهُ عليه وَسَلَّم: لا تَدعوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ ولا تَدْعُوا علَى أولَادكم ولا تَدعُوا علَى خَدَمكُمْ ولا تَدْعُوا علَى أموالكُمْ لا تُوَافقُوا منْ اللَّه تبارك وتعالَى سَاعَةً نَيْل فِيهَا عَطَاءٌ فَيَسْتَجيبَ لَكُمْ، أخرجه أبو داود (٢/٨٨، رقم ١٥٣٢)، وصححه الألباني (صحيح أبي داود، رقم ١٥٣٢).

ومن الأخطاء الشائعة والعادات الجاهلية التي لا يزال أثرها باقيا كراهية البنات فهذه عادة جاهلية حري بالمؤمن أن يتجاوزها، وأن يترفع عنها. قال عز وجل: ﴿وإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بالأُنثى ظَلّ وَجْهُهُ مُسْوَدًا وَهُوَ كَظِيمٌ ۞ يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ من سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلاَ سَاء مَا يَحْكُمُونَ﴾ (سورة النحل٥٨-٥٩)

ولكل من رُزق البنات استمع لهذه البشرى يقول صلى الله عليه وسلم: (من عال ثلاث بنات، أو ثلاث أخوات أو ابنتين أو أختين كنّ له حجاباً من النار، فإن صبر عليهن حتى يزوّجهن دخل الجنة). فهذا وعد كريم من الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام بأن من تولى رعاية بناته ورباهن ضمن له الجنة، فيا سرور من فاز بذلك ويا خسارة من كره وتأفف من البنات.

ونبه بعض أهل العلم إلى لطيفة في قول الله تعالى: ﴿يهب لمن يشاء إناثا﴾ أن الله تعالى بدأ بالبنات.

وأوجه رسالتي للشاب وللفتاة أتدري ما الذي يحبه والدك وأملك أن يروه فيك إنه صلاحك فهذا غاية أملهم ومنتهى طلبتهم وقمة سعادتهم وأعظم الثمار المرجوة من ترتبيتهم فهلا سررتهم بذلك وأعنتهم على نفسك لتكون بإذن الله من الصالحين.

ذكر الإمام القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم﴾ أنه يحصل الولد يوم القيامة في ميزان أبيه ويُشفّع الله تعالى الآباء في الأبناء والأبناء في الآباء يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعًا﴾ وروي عن عائشة رضي الله عنها أنها اعتكفت عن أخيها عبد الرحمن وأعتقت عنه وروي أن سعد بن عبادة قال للنبي صلى الله عليه وسلم إن أمي توفيت أفأتصدق عنها؟ قال: نعم، قال: فأي الصدقة أفضل؟ قال سقي الماء. و قال صلى الله عليه وسلم: «ما من مسلم يموت له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث إلا أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم»(أخرجه البخاري عن أنس بن مالك) وروي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: (الولد الصالح من ريحان الجنة).

من صور الابتلاء عدم الإنجاب أو (العـقم) وقد قال تعالى: ﴿أو يزوجهم ذُكرانًا وإناثًا ويجعل من يشاء عقيما إنه عليم قدير﴾ (الشورى ٥٠)

ولعلك تلحظ آخر الآية يقول سبحانه (إنه عليم) فهو جل وعلا يعلم ما هو مُحبب لنفوس عباده من البشر وتطلعهم للولد، لكن على المسلم أن يسلم ويصبر ويحتسب ولا يمنعه هذا أن يبذل السبب، ولا حرج عليه شرعًا في أن يجتهد لطلب الولد بالطرق التي أحلها الله تعالى ولا شبهة فيها.

ولعل من التجارب النافعة ما ذكره بعضهم أنه لما تأخر عنه إنجاب الولد التزم الدعاء الوارد في قوله تعالى: ﴿رب لا تذرني فردًا وأنت خير الوارثين﴾ يقول فلم يمر عام إلا ويبشرني الله بوجود الحمل.

وينصح العلماء لمن لم يُرزق بالذرية أن يلزم الاستغفار ففيه بعد توفيق الله الرزق بالولد كما قال تعالى: ﴿فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارًا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارًا﴾


وعاشروهن
بالمعروف

وعاشروهن بالمعروف

يقول الله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ (النساء: ١٩).

ويقول سبحانه: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (البقرة:٢٢٨).

الحياة الزوجية رباط إلهي يسمو ويرتقي ويستمر بالتكامل والتعاون والتفاهم والبذل والعطاء والتنازل والتسامح والتغاضي والتغافل.

ومن المسلَّم به أنه قلَّما يتفق اثنان من البشر في جميع طباعهما والزوجان ليسا بدعًا من ذلك؛ فقلما يتطابقان من جميع الوجوه، فقد طبع الله البشر على طباع مختلفة ومتنوعة وربما متضادة في بعض الأحوال. فلن تجد بشرًا يوافق هوى الآخر في كل صغيرة في الخُلق والخِلْقة، وفي دقائق التفكير والسلوك، وخبايا الروح والعاطفة، هذا تقدير الله.

وهذا الاختلاف وعدم التوافق التام ليس بضار بل يمكن التعايش معه وتقبله، إذا ما تعاشر الزوجان بالمعروف، وطرحا الهوى جانبًا وأكرم كل واحد منهما صاحبه، وحَكَّما العقل وتركا نزعات النفس والهوى والشيطان وجليس السوء. وأحسن الظن كل منهما بالآخر.

العلاقة بين الزوجين أمرٌ مهمٌ، فإنّ استقامتها سببٌ لاستقامة الحال وعمارةِ المنزل، وانتظامِ شأن الأولاد واستقرار حياتهم، وقد بين الله تعالى أن للمرأة حقًا كما أن عليها حقاً، وللرجل حق على امرأته كما أن له عليها حق، فإذا قام الزوجُ بالواجب عليه وقامت المرأة المسلمة بالحق الواجب عليها وتعاونا على ذلك فعند ذلك تكون الحياة الزوجية حياةً طيبة سعيدة.

وأكبر ما يهدد الرابطة الزوجية تتبع كل واحد من الزوجين لهفوات الآخر، يستشفها من وراء الحجب أو يستنبطها من فلتات اللسان، فيغريهما ذلك بالتنازع، وكثيرًا ما يفضي إلى التقاطع والتدابر. وتحميل الكلام مالا يحتمل، وتفسير المواقف بما يزيد النزاع ويصب الزيت على النار كما يقال.

وفي حال حدوث شيء من ذلك أو وقوع تقصير أو خطأ وخاصة من الزوجة فالله تعالى قد وجه الأزواج بقوله ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ (النساء: ١٩).

وفي سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم توجيه ووصية للأزواج للقيام بحق النساء، يقول صلى الله عليه وسلم: «استوصوا بالنساء خيرًا، فإن المرأة خُلقت من ضلع، وإن أعوجَ ما في الضلع أعلاه، فإن ذهبتَ تقيمه كسرتَه، فاستوصوا بالنساء خيرًا»، ويقول صلى الله عليه وسلم: «المرأة كالضلع إن أقمتها كسرتَها وإن استمتعت بها استمتعت بها وفيها عوج»، فالرجل يجب أن يكون أكثر تحمّلاً منها، وأشدّ صبرًا، لا يعاتِب على كلّ قليل وكثير، ولا يأمَل الكمالَ المطلق، وإنما يقبل منها ما جاء، ويتحمّل بعضَ ما فات، فبذا تستقيم الحياة، وفي لفظ: «ولن تستقيم لك على طريقة»، فهي لا تستقيم لك على كلّ ما تريد، لكن الزوج هو أقوى وأشد تحملاً وصبرًا وعلاجًا للمشاكل.

كما بين صلى الله عليه وسلم أن المرأة المؤمنة قد يكون منها شيء من الأخلاق التي لا يرضاها الزوج، وهي أخلاق لا تتنافى مع الشرف والفضل والفضيلة، ولكن طباع بعض الناس، فيقول - صلَّى الله عليه وسلَّم -: (لا يفرك مؤمن مؤمنة، إن كره منها خُلقًا، رضي منها آخر)؛ رواه مسلم.

وبتدبّر القرآن والسنة يعلم كل من الزوجين ما له وما عليه، وإن قيامَ كلٍّ منهما بما يجب عليه هو الذي يحقّق السعادة، وهو الذي يرسي دعائمَ الاستقرار في المنزل، وهو الذي يجعل الأبوين يقومان بالواجب المُلقى عليهما نحوَ أولادهما، فينشأ الولدُ وتنشأ البنتُ

نشأةً صالحة بين أبوين مسلمين، يحترم بعضهم بعضًا، فتنشأ البنت تحترم زوجَها، وينشأ الابن يحترم أمّه وأباه وزوجته، وخاصة إذا طبقا المنهج الشرعي في التعامل يقول تعالى: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا﴾.

فالتعامل بالأخلاق الكريمة بين الزوجين، واحترامُ كلٍّ منهما لصاحبه، وقيامُ كلّ منهما بالواجب عليه، هو ما دعا إليه القرآن، وأرشدت إليه سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم.

والعلاقة بين الزوجين علاقة في غاية الأهمية، عُني الإسلام بتوثيقها، وعمل على بقائها واستمرارها، وأكد على ضرورة المحافظةِ على هذه الرابطة، وحضّ الزوجين على الحرص على إنمائها وديمومتها.

ولذلك نجد أن حسن العشرة بين الزوجين من أهم الركائز التي يؤكد عليها الإسلام، فكم تعيش الأسر بحسن العشرة في صفاء ووئام واستقرار، وبعد عن كل ما يعكر صفو الحياة، تطبيقا لقوله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾، وقوله عليه الصلاة والسلام: «خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي»، وقال صلى الله عليه وسلم: «أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا وألطفهم بأهله».

وعكس ذلك تعيش الأسرة وأولادُهم حالة من القلق وعدم الاستقرار، وتحدث المشكلات، بل إن كثيرا من الجرائم والمخالفات والتصرفات غير السوية إنما تحدث من أولاد عاشوا في بيئات أسرية غير مستقرة، فيخرجون مضطربين مشوشين وربما حاقدين على المجتمع وأفراده.

ومن أبرز الأخلاق وهي صور لحسن العشرة بين الزوجين:

الصبر والتحمل والتغاضي عن الهفوات، والعمل معا لإنجاح الحياة الأسرية، والاجتهاد لإبعاد كل منغص ومفسد لحياتهما، والتعاون فيما بينهما على أعباء الحياة. وتكميل كل

منهما لعمل الآخر، في المنزل وفي التربية والمتابعة.

وهناك على وجه الخصوص حقوق تلزم الزوجة لزوجها والقيام بها من العشرة بالمعروف ومن أهم هذه الحقوق:

عدم الإذن بالدخول لمن يكره الزوجُ دخوله، لحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: لا يحل للمرأة أن تصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه ولا تأذن في بيته إلا بإذنه. والحديث محمول على إذا كانت لا تعلم رضا الزوج به، أما لو علمت رضا الزوج بذلك فلا حرج عليها إذا كان من محارمها.

ومن حق الزوج على زوجته عدم الخروج من البيت إلا بإذن الزوج.

ومن حق الزوج أن تحفظه في نفسها وماله.

ومن حق الزوج على زوجته أن تخدمه إذا كانت قادرة على ذلك، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قسم الأعمال بين علي وفاطمة فجعل أعمال الخارج على علي رضي الله عنه، والداخل على فاطمة رضي الله عنها، مع أنها سيدة نساء العالمين، فإن كان لها خادم فعلى الزوج نفقته.

ومن حق الزوج على زوجته السفر بها والانتقال من بلد إلى بلد، لأن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه كانوا يسافرون بنسائهم.

ومن حق الزوجة على الزوج المهر؛ لقول الله تعالى: وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً (النساء:٤).

ولا يحل للزوج أن يأخذ شيئاً من مهرها إلا برضاها وطيب نفسها؛ لقول الله تعالى: ﴿وَلا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئاً﴾ (البقرة:٢٢٩).

ومن حقها عليه النفقة؛ لقول الله تعالى: ﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ﴾ (الطلاق:٧).

قال ابن هبيرة: اتفقوا على وجوب نفقة الرجل على من تلزمه نفقته كالزوجة والولد الصغير والأب.

ومن حق الزوجة على زوجها البيات عندها، وصرح بعض الفقهاء (الشافعية) بأن أدنى درجات السنة في البيات ليلة في كل أربع ليال اعتباراً بمن له أربع زوجات.

ومن حقها عليه القسم بالعدل إذا كان له أكثر من زوجة، فعن أمنا عائشة قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم فيعدل ويقول: اللهم هذا قسمي فيما أملك، فلا تلمني فيما تملك ولا أملك. رواه أبو داود وقال يعني: القلب.

ومن حسن العشرة تطييب خاطر الزوجة ومراعاة مشاعرها

وفي سير أعلام النبلاء عن صفية بنت حيي أن النبي صلى الله عليه وسلم حج بنسائه، فبرك بصفية جملُها فبكت، وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أخبروه، فجعل يمسح دموعها بيده، وهي تبكي وهو ينهاها. (سير أعلام النبلاء: ٢ / ٢٣٣، ٢٣٤.

ومن حُسن العشرة وهو من الحقوق بين الزوجين الإغضاء عن الهفوات.

وقد أوصى جمع من السلف بناتهم بوصايا فقد قال عبدالله بن جعفر لابنته: «يا بنيَّة، إياكِ والغيرة؛ فإنها مفتاح الطلاق، وإياكِ والمعاتبة؛ فإنها تورث الضغينة، وعليكِ بالزينة والطِّيبِ».

وقيل: «وإياكِ وكثرة المعاتبة؛ فهي مقطعة للمودة، وإيَّاكِ والغيرة في غير موضعها؛ فهي مفتاح الطلاق».

وقال عمر لرجل همَّ بطلاق امرأته، وزعم أنه لا يحبها: «أو كلُّ البيوت بُني على الحب؟ فأين الرعاية والتذمم؟».

وأوصت أسماء بنت خارجة امرأة عوف الشيباني، ابنتها قبل زفافها، بوصية شملت أصول المعاملات الزّوجية، والآداب التي يجب أن تتحلى بها كل فتاة مقبلة على الزّواج.

تقول أسماء لابنتها:

«أي بنية! إن الوصية لو تركت لفضلِ أدبٍ لتركتُ ذلك منك، ولكنّها تذكرةٌ للغافل، ومعونةٌ للعاقل، ولو أن امرأة استغنت عن الزّوج لغنى والديها وشدة حاجتها إليها كنت أغنى الناس عنه، ولكن النساء للرّجال خُلِقنَ، ولهنّ خُلِقَ الرجالُ.

أي بنية! إنّك تفارقين بيتك الذي منه خرجت وتتركين عشّك الذي فيه درجت، إلى رجل لم تعرفيه، وقرين لم تألفيه، فكوني له أرضاً يكن لك سماءً، وكوني له مهاداً يكن لك عماداً، وكوني له أمةً يكن لك عبداً واحفظي له خصالاً عشراً يكن لك ذخراً.

- **أما الأولى والثانية:** فالخشوع له بالقناعة، وحسن السمع والطاعة.

- **وأما الثالثة والرابعة:** فالتفقد لموضع عينه وأنفه، فلا تقع عينُهُ منكِ على قبيح، ولا يشم منك إلا أطيب ريح.

- **وأما الخامسة والسادسة:** فالتفقد لوقت منامه وطعامه، فإن الجوع ملهبة، وتنغيص النوم مغضبة.

- **وأما السابعة والثامنة:** فالاحتراس بماله، والادعاء على حشمه وعياله، فملاك الأمر في المال حسن التقدير، وفي العيال حسن التدبير.

- **وأما التاسعة والعاشرة:** فلا تعصين له أمراً ولا تفشين له سراً، فإنك إن خالفت

أمرهُ أوغرت صدره، وإن أفشيت سرَّه لم تأمني غَدرَهُ.

ثم إياك والفرحَ بين يديهِ إن كان تَرِحاً، أو التَرحَ بين يديه إن كان فرحاً، فإن الخصلة الأولى من التقصير، والأخرى من التكدير.

وكوني ما تكونين له إعظاماً، يكن أشد ما يكون لك إكراماً، وأشدَّ ما تكونين له موافقةً، يكن أطول ما يكون لك مرافقةً، واعلمي أنك لا تصلين إلى ما تُحبين حتى تؤثري رضاهُ على رضاكِ، وهواهُ على هواكِ، فيما أحببتِ أو كرهتِ والله يخيرُ لكِ».

اللهم أصلح أحوال المسلمين وجنبهم السخط والغضب.

وألّف بين قلوبهم.

وصل اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

والسلام


وقرن في
بيوتكم

وقرن في بيوتكم

﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾

معنى القرار: أي: كن أهل وقار وهدوء وسكينة يقال وقر فلان في منزله يقر وقورًا إذا هدأ فيه واطمأن به.

وقيل إن معنى ﴿وقرن﴾ المراد به: البقاء والقرار والثبات وفي كلا المعنيين: دلالة على أن النساء مأمورات بلزوم البيوت منهيات عن الخروج.

والسؤال: لمَ عبر بـ ﴿وقرن﴾ ولم يقل اجلسن.قال أهل العلم: لأن الأمر بـ ﴿وقرن﴾ أكثر دلالة على وجوب لزوم البيت.

والخطاب في الآية لنساء النبي صلى الله عليه وسلم في الدرجة الأولى ثم يدخل فيه سائرُ نساء المسلمين.

والأمر للمرأة وعلى الأولياء تحقيق الامتثال كيف لا وقد ولاهم الله المسؤولية.

وليس معنى هذا الأمر ملازمة البيوت فلا يبرحنها إطلاقًا، إنما هي إيماءة لطيفة إلى أن يكون البيت هو الأصل في حياتها، وهو المَقر، وما عداه استثناء طارئ لا يتثقل فيه ولا تستقر. إنما هي الحاجة تقضى وبقدرها، فإذا حدث وخرجت فلا بد أن يكون تحت ضوابط تصون لهن كرامتها، وأعظم ذلك: ﴿ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى﴾ وهذا عند الاضطرار إلى الخروج.

لقد كانت المرأة في الجاهلية الأولى تتبرج. ولكن ذلك التبرج الذي يحكى عن تبرج الجاهلية الأولى يبدو يسيرًا وضعيفًا وقليلًا، بل قد يقال محتشمًا حين يقاس ببعض التبرج في أيامنا هذه فهي جاهلية معاصرة.

والجاهلية ليست فترة معينة من الزمان، مضت وانتهت، بدلالة القيد في الآية الجاهلية



الأولى فهناك جاهليات غيرها. فقد توجد جاهلية غير الأولى وغير المعاصرة.

جاء الأدلة متضافرة ومتواترة على وجوب القرار للمرأة ولزوم البيت:

يقول تعالى: ﴿وقرن في بيوتكن﴾ وقال جل وعلا ﴿أسكنوهن من حيث سكنتم﴾ وقال سبحانه ﴿لا تخرجوهن من بيوتهن﴾.

وأصل عمل المرأة أن يكون في بيتها فهو أجل عمل وأكبر وظيفة وأسمى مهمة.

وفي قوله تعالى: ولا تخرجوهن من بيوتهن، مع أن البيت يؤمنه الرجل للمرأة وهذا دلالة على أن الأصل أن البيت لها بالسكنى والقرار.

والإجماع العملي منعقد على أن الأصل للنساء القرار في البيوت

وفي الحديث والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها

قال الجصاص: وهذه وصايا من الله تعالى لنساء النبي صلى الله عليه وسلم صيانة لهن وسائرُ نساء المؤمنين مرادات بها.

قال ابن كثير: هذه آداب أمر الله تعالى بها نساء النبي صلى الله عليه وسلم ونساء الأمة تبع لهن وقرن في بيوتكن أي: إلزمن بيوتكن فلا تخرجن لغير حاجة

قال القرطبي عند تفسير قوله تعالى: ﴿وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى﴾ معنى هذه الآية الأمر بلزوم البيت، وإن كان الخطاب لنساء النبي صلى الله عليه وسلم فقد دخل فيه غيرهن بالمعنى. هذا لو لم يرد دليل يخص جميع النساء، فكيف والشريعة طافحة بلزوم النساء بيوتهن والانكفاف عن الخروج منها إلا لضرورة. فقد أخرج البزار والترمذي وابن حبان والطبراني من حديث أبي الأحوص عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (المرأة عورة فإذا خرجت استشرفها الشيطان، وأقرب ما تكون من رحمة (بروحة) ربها وهي في قعر بيتها). كما أخرج من حديث أنس رضي الله عنه أنه قال: (جئن النساء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلن: يا رسول الله: ذهب الرجال بالفضل والجهاد في سبيل الله تعالى فما لنا عمل ندرك به عمل المجاهدين في سبيل الله؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من قعدت -

أو كلمة نحوها - منكن في بيتها، فإنها تدرك عمل المجاهدين في سبيل الله)

والأمر بالقرار نهي عن الانتقال ولأن خروجهن سبب الفتنة بلا شك، والفتنة حرام، وما أدى إلى الحرام فهو حرام. انتهى.

قيل لسودة بنت زمعة ألا تخرجين كما تخرج أخواتك؟ قالت والله لقد حججت واعتمرت ثم أمرني الله أن أقر في بيتي، فوالله لا أخرج فما خرجت حتى أخرجوا جنازتها.

وكانت أم سلمة تقول لا يحركني ظهر بعير حتى ألقى النبي صلى الله عليه وسلم

وفي الحديث الذي أخرجه أبو داود: قال «صلاة المرأة في مخدعها أفضل من صلاتها في بيتها وصلاتها في بيتها أفضل من صلاتها في حجرتها.»وإسناده جيد

وفي مسند أحمد عن أم سلمة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال خير مساجد النساء قعر بيوتهن.

ومن الآية يستفاد وجوب النفقة لها على زوجها إذ لم تلزم بالخروج وعليه أن يأتيها بالنفقة.

قال ابن مسعود ما تقربت امرأة إلى الله بأعظم من قعودها في بيتها.

فيعلم من هذا أن الأصل للمسلمة هو لزوم البيت لا الخروج، وقد حث الرسول صلى الله عليه وسلم الرجل على لزوم البيت في قوله صلى الله عليه وسلم (أمسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابكِ على خطيئتك) (رواه الترمذي وقال حديث حسن)، فكيف بالمرأة التي يجب أن تحفظ وتصان عن الأنظار؟

وهي درة مكنونة وجوهرة مصونة وبيتها حرز وحفظ لها من الطامعين والعابثين.

فالخير كل الخير في بقاء المرأة في بيتها وانشغالها في تأدية حق الزوج وتربية الأولاد.

ولما سُئل النبي صلى الله عليه وسلم هل على النساء من جهاد؟ قال: (جهاد لا قتال فيه: الحج والعمرة). رواه أحمد وابن خزيمة في صحيحه. قال ابن حجر: وإنما لم يكن الجهاد واجبًا عليهن لما فيه من مغايرة المطلوب منهن من الستر ومجانبة الرجال، فلذلك كان الحج أفضل لهن من الجهاد. «الفتح ٦٠٦ ٤٤»

قال الشيخ ابن باز رحمه الله: سمى الله مكث المرأة في بيتها قرارًا، وهذا المعنى من أسمى المعاني الرفيعة، ففيه استقرار لنفسها وراحة لقلبها وانشراحا لصدرها، فخروجها عن هذا القرار يفضي إلى اضطراب نفسها وقلق قلبه وضيق صدرها وتعريضها لما لا تحمد عقباه. ا. هـ

وهو كذلك استقرار لقلب زوجها ووليها وراحة له واطمئنان.

ولنتذكر قول الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون﴾

يقول السعدي رحمه الله في هذه الآية: وإياكم أن تردوا أمر الله أول ما يأتيكم فيُحال بينكم وبينه إذا أردتموه بعد ذلك وتختلف قلوبكم، فإن الله يحُول بين المرء وقلبه فيُقلب القلوب حيث شاء ويصرفها أنى يشاء.ا.هـ

والأمر بالقرار في الآية واضح وظاهر ﴿وقرن في بيوتكن﴾ فالاستجابة له اختبار للإيمان واختبار لمدى الاستجابة لأمر الله وأمر رسوله. صلى الله عليه وسلم.

فلا يجوز أن تخرج المرأة من بيتها إلا عند وجود الحاجة كزيارة الآباء ، والأمهات ، وذوي المحارم، وشهود موت من ذكر، وحضور عرسه وقضاء حاجة لا غناء للمرأة عنها ولا تجد من يقوم بها فيجوز لها الخروج حينذاك. فإذا خرجت تخرج بعيدا عن الفتنة مطبقة لضوابط الشرع، بلا تبرج ولا تختلط بالرجال ولا تقرب منهم.

وقد روى ابن بطة في أحكام النساء عن أنس (أن رجلا سافر ومنع زوجته من الخروج فمرض أبوها ، فاستأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في عيادة أبيها فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقي الله ولا تخالفي زوجك فأوحى الله إلى النبي صلى الله عليه وسلم: إني قد غفرت لها بطاعة زوجها) ولأن طاعة الزوج واجبة ، والعيادة غير واجبة فلا يجوز ترك الواجب لما ليس بواجب. ولا ينبغي للزوج منع زوجته من عيادة والديها، أو زيارتهما لأن في منعها من ذلك قطيعة لهما، وحملا لزوجته على مخالفته، وقد أمر الله تعالى بالمعاشرة بالمعروف، وليس هذا من المعاشرة بالمعروف.

ثم إن لأمر الله بالقرار حكم وأسرار: فالله عز وجل لا يأمر إلا بما يحقق المصلحة علمت

أو جهلت وكذا لا ينهى إلا وهناك حكمة ومصلحة علمت أو لم تعلم.

ومن أهمها: طاعةُ الله بامتثال أمره، و أداءٌ للواجب، وسلامةٌ من العقوبة، وبعد عن النتائج الوخيمة لخروجها، فالقرار أصل الفضيلة، ومن الحكم: أن في القرار غضّاً للبصر وحفظاً للفرج امتثالا لقوله تعالى: ﴿وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن﴾، ثم إن بقاءها في بيتها أحرى ألا تُعرف فلا تؤذى، وهو ما أمر الله بالحجاب لأجله، وفي القرار بعد عن الشبهة، وحصن من الشيطان ففي الحديث (إن المرأة إذا خرجت من بيتها استشرفها الشيطان) وهو أسكن لقلبها وقلب وليها وخصوصاً زوجها، وفي القرار في البيت حماية لها من الذئاب، وقطع للأطماع والخواطر الشيطانية، وبعد عن مشابهة السافرات. والقرار في البيوت يعوّد على مكارم الأخلاق من العفة والحياء والاحتشام والغيرة، والقرار علامة على الطهر والعفاف.

وخروج المرأة من بيتها وتبرجها دليل على ضعف القوامة أو فقدها من وليها.

ودعاة تحرير المرأة إنما هم دعاة للرذيلة ودعوى تعطيل نصف المجتمع دعوة لتعطيل المجتمع، حقيقة ذلك أن خروجها إهمال لبيتها وأسرتها، والخسارة هنا أعظم وأكبر

كما قيل:

الأم مدرسة إذا أعددتها
أعددت شعبا طيب الأعراق.


ولا تنسوا
الفضل
بينكم

ولا تنسوا الفضل بينكم

قال تعالى: ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ ۚ وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾

من معالي الأخلاق التي جاء بها الإسلام الحنيف، الاعتراف بالفضل وشكر النعم، وحفظُ الجميل وهو من محاسن الأخلاق وجميلِ الصفات التي دعا إليها الإسلام، بل وجعل لها منزلة ومكانة ومزية خاصة.

وقد تمثلها رسول الله صلى الله عليه وسلم قولًا وعملًا مع كل من كان له فضل ونعمة أسداها قبل البعثة وبعدها من المسلمين ومن غيرهم.

وهذا الأمر أعني حفظ السابقة ورد الفضل هو ما تقر به الفطر السليمة والنفوس الطيبة، ولا يقع ضده فينكر السابقة ولا يجازي بالفضل إلا ذوو الطباع الرديئة والأخلاق الدنيئة.

قال أبو حاتم البستي: الحر لا يكفر النعمة، ولا يتسخط المصيبة، بل عند النعم يشكر، وعند المصائب يصبر، ومن لم يكن لقليل المعروف عنده وقع أوشك أن لا يشكر الكثير منه، والنعم لا تستجلب زيادتها، ولا تدفع الآفات عنها إلا بالشكر» اهـ.

ووصف ابن سعدي رحمه الله في تفسيره الفضل بأنه أعلى درجات المعاملة فقال: «الإنسان لا ينبغي أن يهمل نفسه من الإحسان والمعروف، وينسى الفضل الذي هو أعلى درجات المعاملة؛ لأن معاملة الناس فيما بينهم على درجتين: إما عدل وإنصاف واجب، وهو: أخذ الواجب، وإعطاء الواجب. وإما فضل وإحسان، وهو إعطاء ما ليس بواجب والتسامح في الحقوق، والغض مما في النفس، فلا ينبغي للإنسان أن ينسى هذه الدرجة، ولو في بعض

الأوقات، وخصوصاً لمن بينك وبينه معاملة، أو مخالطة، فإن الله مجازٍ المحسنين بالفضل والكرم » اهـ.

والآية الكريمة ﴿ولا تنسوا الفضل بينكم﴾، جاءت في سياق آيات الطلاق في سورة البقرة، حيث قال تعالى: ﴿وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾. والمعنى: أن الله تعالى يأمر من جمعتهم علاقة الزواج أن لا ينسوا في غمرة التأثر بما يحدث من فراق وانفصال لا ينسوا ما بينهم من سابق العشرة، والمودة والرحمة، والمعاملة.

ثم إن هذه القاعدة جاءت بعد التوجيه بالعفو في قوله سبحانه: ﴿إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ﴾ من أجل زيادة الترغيب في العفو والتفضل والإعطاء والبذل. قال قَتَادَة في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ يُرَغِّبكُمْ اللَّه فِي الْمَعْرُوف، وَيَحُثّكُمْ عَلَى الْفَضْل، وقال سُفْيَان: حَثّ بَعْضهمْ عَلَى بَعْض فِي هَذَا وَفِي غَيْره، حَتَّى فِي عَفْو الْمَرْأَة عَنْ الصَّدَاق وَالزَّوْج بِالْإِتْمَام، وقال الضَّحَّاك: الْمَعْرُوف، وقال سَعِيد: سَمِعْت تَفْسِير هَذِهِ الْآيَة ﴿وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ قَالَ: لَا تَنْسَوْا الْإِحْسَان.اهـ.

وقال الطبري في تفسيره: يَقُول تَعَالَى ذِكْره: وَلَا تُغْفِلُوا أَيّهَا النَّاس الْأَخْذ بِالْفَضْلِ بَعْضكُمْ عَلَى بَعْض فَتَتْرُكُوهُ، وَلَكِنْ لِيَتَفَضَّل الرَّجُل الْمُطَلِّق زَوْجَته قَبْل مَسِيسهَا، فَيُكْمِل لَهَا تَمَام صَدَاقهَا إِنْ كَانَ لَمْ يُعْطِهَا جَمِيعه، وَإِنْ كَانَ قَدْ سَاقَ إِلَيْهَا جَمِيع مَا كَانَ فَرَضَ لَهَا، فَلْيَتَفَضَّلْ عَلَيْهَا بِالْعَفْوِ عَمَّا يَجِب لَهُ، وَيَجُوز لَهُ الرُّجُوع بِهِ عَلَيْهَا، وَذَلِكَ نِصْفه؛ فَإِنْ شَحَّ الرَّجُل بِذَلِكَ، وَأَبَى إِلَّا الرُّجُوع بِنِصْفِهِ عَلَيْهَا، فَلْتَتَفَضَّل الْمَرْأَة الْمُطَلَّقَة عَلَيْهِ بِرَدِّ جَمِيعه عَلَيْهِ إِنْ كَانَتْ قَدْ قَبَضَتْهُ مِنْهُ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ قَبَضَتْهُ فَتَعْفُو عَنْ جَمِيعه، فَإِنْ هُمَا لَمْ يَفْعَلَا ذَلِكَ وَشَحَّا وَتَرَكَا مَا نَدَبَهُمَا اللَّه إِلَيْهِ مِنْ أَخْذ أَحَدهمَا عَلَى صَاحِبه بِالْفَضْلِ فَلَهَا نِصْف مَا كَانَ فَرَضَ لَهَا فِي عَقْد النِّكَاح، وَلَهُ نِصْفه.

والآية وإن كانت جاءت في سياق آيات الطلاق وأشار المفسرون فيها للصورة الأولية في

الفضل والمراد به، فإن الصحيح الثابت من كلام أهل العلم وهو المقرر في قواعد الشرع وقواعد التنزيل أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فتشمل الفضل في حال الطلاق وتشمل أنواع الفضل وصوره وأحواله. وقصرها على حال الطلاق دون غيره تحكم لا يسنده الدليل.

وعليه فقد ضرب النبي صلى الله عليه وسلم أروع الأمثلة في حفظ الجميل ورده، وفي الوفاء لمن أحسن، فها هو صلى الله عليه وسلم يرد الجميل لعمه أبي طالب الذي تكفل بتربيته بعد وفاة جده عبد المطلب، فلا ينسى له ذلك، من ذلك أنه لما تزوج أم المؤمنين خديجة رضي الله عنه أخذ ابن عمه عليًّا في كنفه ورعايته رداً لجميل عمه ومساعدة له.

كما ضرب النموذج الأعلى في الوفاء للزوجة التي واسته ووقفت بجواره ، فلم يتنكر لها ، ولم ينس جميلها ، فعن مسروق، عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكاد يخرج من البيت حتى يذكر خديجة، فيحسن عليها الثناء، فذكرها يوما من الأيام، فأدركتني الغيرة فقلت: هل كانت إلا عجوزًا، فقد أبدلك الله عز وجل خيرًا منها، فغضب حتى اهتز مقدم شعره من الغضب، ثم قال: « لا والله ما أخلف الله لي خيرا منها، وقد آمنت بي إذ كفر بي الناس، وصدقتني وكذبني الناس، وواستني من مالها إذ حرمني الناس، ورزقني الله عز وجل الأولاد منها، إذ حرمني أولاد النساء » قالت عائشة رضي الله عنها: فقلت: بيني وبين نفسي لا أذكرها بسيئة أبدًا». مسند أحمد (١١٧/٦) عن عائشة رضي الله عنها، وأخرجه أيضا الطبراني في الكبير (١٣/٢٣)، وحسن إسناده الهيثمي في المجمع (٢٢٤/٩).

وأخرج مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها أن النبي عليه السلام كان إذا ذبح الشاة قال: (أرسلوا إلى أصدقاء خديجة، فذكرت له يومًا، فقال: إني لأحب حبيبها)، وفي رواية: (إني رُزقت حبها).

وروت عائشة رضي الله عنها قالت: جاءت عجوز إلى النبي عليه السلام وهو عندي، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من أنت؟)، قالت: أنا جثامة

المزنية، قال: (بل أنت حسّانة المزنية، كيف أنتم، كيف حالكم، كيف كنتم بعدها؟). قالت: بخير بأبي أنت وأمي يا رسول الله، فلما خرجت، قلت: يا رسول الله، تُقبل على هذه العجوز هذا الإقبال! قال: (إنها كانت تأتينا زمن خديجة، وإن حسن العهد من الإيمان). أخرجه الحاكم (١/٦٢، رقم ٤٠)، وقال: صحيح على شرط الشيخين.

ولقد أعطى صلى الله عليه وسلم عمه العباس قميصه لما جيء به أسيراً يوم بدر، رداً للجميل ووفاء لمواقفه معه وبخاصة في بيعة العقبة. انظر: صحيح السيرة النبوية، ص٦٢٢،٦٢١؛ السيرة لأبي شهبة (٢٨٥٣٤).

وهذا الوفاء وهذا الفضل وهذا المعروف ليس منه صلى الله عليه وسلم مع أهل بيته وعشيرته فقط بل مع جميع أصحابه؛ فها هو صلى الله عليه وسلم يذكر فضل أبي بكر ومواقفه الطيبة معه فيقول: «مَا لأَحَد عنْدَنَا يَدٌ إلاَّ وَقَدْ كَافَيْنَاهُ مَا خَلاَ أَبَا بَكْر فَإِنَّ لَهُ عنْدَنَا يَدًا يُكَافئُهُ اللَّهُ بهَا يَوْمَ الْقيَامَة وَمَا نَفَعَني مَالُ أَحَد قَطُّ مَا نَفَعَني مَالُ أَبى بَكْر وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخذًا خَليلاً لاَتَّخَذْتُ أَبَا بَكْر خَليلاً أَلاَ وَإِنَّ صَاحبَكُمْ خَليلُ الله. قَالَ أَبُو عيسَى هَذَا حَديثٌ حَسَنٌ غَريبٌ منْ هَذَا الْوَجْه. أخرجه الترمذي (٣٦٦١) الألباني: صحيح، ابن ماجة (٩٤) ورواه أبو هريرة رضي الله عنه. وتطبيقا لهذه الآية أمر عليه الصلاة والسلام: بحفظ الجميل ومقابلة صاحبه بالشكر والجزاء فقال صلى الله عليه وسلم «من صنع إليكم معروفا فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه» أخرجه أبو داود وصححه الألباني.

وهذا ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم مع المطعم بن عدي مع أنه مات مشركًا، وذلك لأنه ممن سعى في نقض الصحيفة التي علقتها قريش على الكعبة وفيها مقاطعة بني هاشم وبني المطلب لأنهم نصروا النبي صلى الله عليه و سلم. وكذلك لما رجع عليه الصلاة والسلام من الطائف، كما ذكر ذلك ابن هشام،

بعد أن بقي شهراً يدعو أهلها، ولم يجد منهم إلا الأذى، رجع إلى مكة، فدخل في جوار المطعم بن عدي، فأمر المطعم أولاده الأربعة فلبسوا السلاح، وقام كل واحد منهم عند

الركن من الكعبة، فبلغ ذلك قريشاً فقالوا له: أنت الرجل الذي لا تخفر ذمتك!

ومات المطعم مشركاً، لكن النبي صلى الله عليه وسلم لم ينس له ذلك الفضل، بقبول المطعم بن عدي أن يكون في جواره في وقت كانت مكة كلها إلا نفراً يسيراً ضد النبي صلى الله عليه وسلم، فلما انتهت غزوة بدر. قال عليه الصلاة والسلام كما في البخاري: «لو كان المطعم بن عدي حيًا ثم كلمني في هؤلاء النتنى لتركتهم له»(٢).

والمعنى: لو طلب مني تركهم وإطلاقهم من الأسر بغير فداء لفعلت؛ ذلك مكافأة له على فضله السابق في سعيه لنقض الصحيفة وسابقته في قبول الجوار، وهذا تطبيق عملي من القدوة عليه الصلاة والسلام في حفظ الفضل ورد الجميل والمجازاة به.

قال أبو حاتم البستي: «الواجب على المرء أن يشكر النعمة، ويحمد المعروف على حسب وسعه وطاقته، إن قدر فبالضعف، وإلا فبالمثل، وإلا فبالمعرفة بوقوع النعمة عنده، مع بذل الجزاء له بالشكر، وقوله: «جزاك الله خيرا» اهـ.

اللهم اجعلنا من أهل العطاء باذلين للفضل مستحقين له.


وللرجال
عليهن
درجة

وللرجال عليهن درجة

يقول تعالى: ﴿والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهن إن كن يؤمن بالله واليوم الآخر وبعولتهن أحق بردهن في ذلك إن أرادوا إصلاحا ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم﴾ (البقرة: ٢٢٨)،

خلق الله تعالى الذكر والأنثى وجعل بينهم اختلافًا في طبيعتهم وخلقهم كما قال تعالى: ﴿وليس الذكر كالأنثى﴾

قال ابن كثير رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف﴾ قال: أي ولهن على الرجال من الحق مثل ما للرجال عليهن، فليؤد كل واحد منهما إلى الآخر ما يجب عليه بالمعروف لحديث مسلم عن جابر رضي الله عنه أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال في خطبة الوداع: «فاتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله، ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحدًا تكرهونه فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضربًا غير مبرح، ولهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف».

وأخرج الترمذي وصححه والنسائي وابن ماجة عن عمرو بن الأحوص رضي الله عنه «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ألا إن لكم على نسائكن حقًا، ولنسائكم عليكم حقًا. فأما حقكم على نسائكم فلا يوطئن فرشكم من تكرهون، ولا يأذنّ في بيوتكم من تكرهون، ألا وحقهن عليكم أن تحسنوا إليهن في كسوتهن وطعامهن».

وأخرج أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجة وابن جرير والحاكم وصححه والبيهقي عن معاوية بن حيدة القشيري «أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم ما حق المرأة على الزوج؟ قال: أن تطعمها إذا طعمت، وأن تكسوها إذا اكتسيت، ولا تضرب الوجه، ولا تقبح، ولا تهجر إلا في البيت».

وقوله تعالى: ﴿وللرجال عليهن درجة﴾ أي في الفضيلة والخَلق والخُلق والمنزلة والطاعة والإنفاق والقيام بالمصالح والفضل في الدنيا والآخرة كما قال تعالى: ﴿الرجال قوامون

على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم﴾.

في قوله تعالى: ﴿ولهن مثل الذي عليهن﴾ نلحظ أن القرآن بدأ بحق المرأة أولًا فقال: ﴿ولهن﴾، ثم ثنى بحق الرجال فقال تعالى: ﴿عليهن﴾ ومع التساوي في الحقوق والواجبات وعدم التمييز بين الذكر والأنثى وكذا التساوي في الخضوع للأحكام الشرعية، يبقى التقرير الإلهي: وللرجال عليهن درجة.

وهذه الدرجة لنتنبه: لا تعني الطبقية وليس معناها وجود معركة كما يحاول أعداء البشرية وأعداء الدين إظهاره والدعوة له، وإنما هي درجة لصالح النفس الإنسانية بشقيها الرجل والمرأة على السواء، ثم إن هذه الدرجة للرجال ليست من كسبهم وإنما هي من عطاء الله لهم لعلمه سبحانه بهم وبما يصلح شأنهم وشأن من تولوا أمرهم، وبما ينضبط به أمر الحياة واستقامة العيش وصلاح الأمر.

ويؤكد ذلك عدم انتظام الحياة واضطراب شؤون الأسرة حينما تتولى المرأة القيادة في المنزل بل باعتراف المرأة ذاتها أنها بحاجة لمن يشعرها بمكانتها كأنثى لها وضعها الأنثوي اللطيف، فهي تشعر بالأمان والاستقرار عند توفر هذا الشعور لها والعكس بالعكس.

وهذه الدرجة للرجل ليست بأي حال من الأحوال إنقاصًا من قدر المرأة أو تقليلًا من مكانتها بل هي درجةٌ وضعها الله لتستقيم حال الأسرة المسلمة ويعرف كل من الزوج والزوجة واجبة وما يلزمه فيقوم به ويعرف حقه فلا يشق على الطرف الآخر بطلب ما ليس واجبًا عليه.

ولو تأملت حال كثير من الناس لوجدته مستقصيًا لحقوقه مقصرًا في واجباته، وذلك عين المخالفة لنص الآية وللواجب الشرعي بين الزوجين.

إذ الواجب أن يقوم كل منهما بما أوجبه الله عليه ويتوقف عند ما فرضه الله له، عدل وقِسط لا ظلم ولا شطط، وهنا تستقيم الحياة.

وهذا هو ما شرعه الله تعالى وأمر به حيث يقول تعالى: ﴿وعاشروهن بالمعروف﴾ والخطاب للأزواج لأن غالب الظلم والتجاوز يكون من جهتهم.

وهو ما يشهد به الواقع اليوم من تجاوز وتطاول لبعض الرجال على النساء والصواب

أنهم ذكور لا رجال، وهو يدل على نقص يجده الظالم للمرأة في نفسه، فإنه لا يكرمهن إلا كريم ولا يظلمهن إلا لئيم.

وفي الحديث (خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي)

وبإكرام الرجل للمرأة يجد السعادة والهناء وتستمر وتيرة الحياة بصفاء وأنس، وعكسه بعكسه فمن كان ظالما للمرأة وجد أثر ظلمه في حياته وانعكس على أموره في الدنيا ناهيك عن عاقبة الظلم الوخيمة في الآخرة.

أخرج ابن جرير عن الضحاك في قوله: ﴿ولهن مثل الذي عليهن﴾ قال: إذا أطعن الله وأطعن أزواجهن، فعليه أن يحسن خطبتها ويكف عنها أذاه، وينفق عليها من سعته.

وأخرج وكيع وسفيان بن عيينة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنه قال: إني لأحب أن أتزين للمرأة كما أحب أن تتزين المرأة لي، لأن الله يقول: ﴿ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف﴾ وما أحب أن استوفي جميع حقي عليها لأن الله يقول: ﴿وللرجال عليهن درجة﴾.

وأخرج عبد بن حميد وابن جرير عن مجاهد في قوله: ﴿وللرجال عليهن درجة﴾ قال: فضل ما فضله الله به عليها من الجهاد، وفضل ميراثه على ميراثها، وكل ما فضل به عليها.

وأخرج عبد بن حميد وابن أبي حاتم عن أبي مالك ﴿وللرجال عليهن درجة﴾ قال: يطلّقها وليس لها من الأمر شيء.

وأخرج وكيع وعبد بن حميد وابن أبي حاتم عن زيد بن أسلم ﴿وللرجال عليهن درجة﴾قال: الإِمارة. اهـ.

ولعلك تلحظ أن عبارات السلف في معنى الدرجة التي تكون للرجل على المرأة: لا تخرج عما قاله ابن كثير أن الدرجة هي في الفضيلة والخلق والمنزلة وطاعة الأمر والإنفاق.

فالفضل الذي فضل الله -عز وجل- الرجل على المرأة هو ما جاء به الشرع في الميراث، حيث إن الرجل له ما للمرأتين من الميراث، ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ﴾ (سورة النساء:١١)،

وهذا لكونه المأمور بالإنفاق دون المرأة.

وكذلك الجهاد، فالمرأة ليس عليها جهاد. وهذا تكليف على جنس الرجال وليس على النساء.

وربما كانت الدرجة بوجوب صلاة الجماعة على الرجل دون المرأة.

ولعل الدرجة هي أن الرجل مأمور بالإنفاق على المرأة كما قال تعالى: ﴿الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم﴾

وتوقف يسيراً عند هذه الآية وتأمل فالتفضيل لبعضهم على بعض فهناك تفضيل للنساء في جوانب ليست للرجال. فلا يزعم أحد أن التفضيل جاء في كتاب الله للرجال على النساء مطلقا.

وبعضهم يقول: هي الإمرة والطاعة، في قول بعض السلف.

وبعضهم يقول: الدرجة هو ما يعطيها من الصداق -المهر- وما يكون من النفقة التي يبذلها لهذه المرأة، وأنها لو قذفته يقام عليها الحد، وأنه لو قذفها هو فإنه يلاعن ولا يقام عليه الحد إلا إذا امتنع من الملاعنة، فيقولون: هذه درجة للرجل على المرأة.

وبعضهم يقول: وتأمل معي هنا قالوا: هذه الدرجة هي إقباله عليها، وأداء حقها إليها، وصفحه عن الواجب له عليها أو عن بعضه، وهذا القول قال به ابن عباس -رضي الله تعالى عنهما- حيث قال: ما أحب أن أستنظف جميع حقي عليها؛ لأن الله -تعالى ذكره- يقول: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ (سورة البقرة :٢٢٨)

وبعضهم يقول: هذه الدرجة التي للرجل هو أنه له لحية، والمرأة ليس لها لحية، فهذا تفضيل، ولا شك أن تفضيل الرجال باللحى كما قالت عائشة -رضي الله عنها-، لا شك أنه مزية لا توجد لدى النساء، وإن صار بعض الرجال لا يقدِّرون هذه المزية.

ورجح ابن جرير الطبري -رحمه الله- قول ابن عباس، فيقول: «أولى هذه الأقاويل بتأويل الآية ما قاله ابن عباس، وهو أن الدرجة التي ذكرها الله تعالى في هذا الموضع الصفح من الرجل لامرأته عن بعض الواجب عليها، وإغضاؤه لها عنه، وأداء كل الواجب لها عليه». والمعنى أن الرجل يؤدي الحقوق كاملة، وإن حصل منها تقصير في حقوقه فلا

يقوم بالمقاصة، فيقول: قصَّرتْ في بعض حقوقي فأقصر في بعض حقوقها، أو يقول: هذه المرأة تقصر معي إذن لابد أن أحاسبها محاسبة الشريك الشحيح لشريكه لأستنظف جميع الحقوق التي لي عليها، فلا يفوِّت عليها شيئاً، فهو يريد منها كل شيء، يريد منها كلَّ كمال، يريد منها كل حق له عليها، فلا يغض الطرف ولا يغفر الزلل والتقصير، ولا يرحم، وهذا لا يليق بالرجل، فابن عباس يقول: ما أحب أن أستنظف حقي منها، لماذا؟ لأن الأمر كما قال الحسن البصري -رحمه الله-: «ما استقصى كريمٌ قط»

وقد يوجد بعض من الرجال يستقصي ويشدد على زوجته في حقوقه عليها بينما آخر ما يفكر فيه هو حقوقها عليه فلا تجده قائما بما يلزم لها عليه وتجده مقصرا في إعطائها حقوقها وهذا ظلم وجرم ومعصية وسوء عشرة لا يليق بالمسلم الكريم.

وتأمل تجد أن غالب ما ذكره العلماء في تفسير الدرجة لا يعود لذات الرجل حتى يحق له أن يفخر به ويتوهم أنه في منزلة أعلى من المرأة بل هي هبة إلهية وحكم شرعي وليست من كسب الرجل، وعلى القول القائل بأن الدرجة هي قيامه بواجبه وتنازله عما له هذه هي الدرجة والمنزلة التي يحصلها الرجل بكسبه من خلال تعامله وحسن خلقه وتسامحه.

فتأمل أيها الرجل أي درجة هي لك على المرأة هل هي بفرض رأيك وتسلطك أم ببذلك وعطائك وتسامحك وتنازلك، ناهيك عما في هذا العمل الجليل من راحة دنيوية وأجر أخروي.

فهرس المحتويات





مسجلة بوزارة العمل والتنمية الاجتماعية برقم ٤٩٦
ص.ب. ٥٠٩٠ - الدمام ٣٠٤٢٢ - المملكة العربية السعودية
الدمام/ ت : ٠١٣ ٨١١٧٤١٥ - ف : ٠١٣ ٨١١٧٤١٩
الجبيل/ ت : ٠١٣ ٣٤٦١٠٦٢ - ف : ٠١٣ ٣٤٥٠١٩٠
info@weaam.org.sa
www.weaam.org.sa





رقم الإيداع: ١٤٤١/٧٩٨٥
ردمك: ٩-٣٨٥٥-٠٣-٦٠٣-٩٧٨